مسلمة بن عبدالملك بن مروان (٦٣ هـ /٦٨٢م - ١٢١هـ /٧٣٨م) : دراسة تاريخية

بدرية بنت محمد بن شامس النبهاني

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الآداب تخصص : التاريخ

قسم التاريخ
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس
سلطنة عمان

٢٠٠٧م

قال تعالى :

" من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا "

الآية (٢٣) سورة الأحزاب

(لجنة المشروع البحثي / الرسالة)

اسم الطالبة : بدرية بنت محمد بن شامس النبهاني الرقم الجامعي : ١٢٣٧٠ / ٠٤
عنوان الرسالة : مسلمة بن عبدالملك بن مروان (٦٣هـ/٦٨٢م- ١٢١هـ/٧٣٨م) : دراسة تاريخية .

لجنة المشروع البحثي / الرسالة :

١- المشرف الرئيس : أ . د . فاروق عمر فوزي
الدرجة العلمية : أستاذ
القسم : التاريخ
الكلية : الآداب والعلوم الاجتماعية
التوقيع : ....التاريخ: .....٢/١١/٢٠٠٧.........

٢- عضو لجنة الإشراف : د . سعيد بن محمد الغيلاني
الدرجة العلمية : أستاذ مساعد
القسم : التاريخ
الكلية : الآداب والعلوم الاجتماعية
التوقيع : ....التاريخ: ....

(لجنة مناقشة المشروع البحثي / الرسالة)

لجنة مناقشة المشروع البحثي / الرسالة:

١. رئيس اللجنة : ....

الدرجة العلمية : ....

القسم : ....

الكلية/ المؤسسة : ....

التوقيع : .... التاريخ: ....

٢. المشرف الرئيس : أ.د . فاروق عمر فوزي

الدرجة العلمية : أستاذ

القســم : التاريخ

الكلية / المؤسسة : الآداب والعلوم الاجتماعية

التوقيع : .... التاريخ: ....

٣. العضو (ممثل رئيس القسم) : ....

الدرجة العلمية : ....

القســم : ....

الكلية/ المؤسسة : ....

التوقيع : .... التاريخ : ....

٤. الممتحن الخارجي : ....

الدرجة العلمية : ....

القســم : ....

الكلية / المؤسسة : ....

التوقيع : .... التاريخ: ....

الإهداء

إلى والديّ العزيزين ....لدعمهما ومساندتهما الدائمة ، وعطائهما اللامحدود.

إلى أرواح أجدادي المنسية ...
التي ضيعتها صفحات التاريخ كما ضيعت الكثير من الأسماء والأحداث المشكلة حلقات تغيير في التاريخ الإنساني ....

إلى كل من ساندني و ساهم في وصول هذه الدراسة لأهدافها ...

إليكم جميعا اهدي نتاج سنوات من الدارسة والبحث ،

مع خالص محبتي وشكري ،،،،

الباحثة / بدرية بنت محمد بن شامس النبهاني

شكر وتقدير

بسم الله الذي خلق القلم وعلم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيد خلق بني آدم أجمعين سيدنا محمد بن عبدالله ،وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أما بعد ، وقد منّ الله عليّ بإتمام هذه الدراسة ، فانه لابد لي من الوقوف إجلالا وشكرا وتقديرا لأستاذي القدير الأستاذ الدكتور فاروق عمر فوزي على جزيل عطائه العلمي خلال فترة دراستي بالماجستير وتشرفي بموافقته على الإشراف على هذه الدراسة ، فقد كان خير معين لهذه الدراسة لا بعلمه الغزير فحسب وإنما بخلقه ورحابة صدره وحسن معاملته ورعايته لي خلال فترة الإعداد والانجاز لهذه الدراسة ، وأعطاني من وقته ومتابعته المنتظمة لكل ورقة من هذه الدراسة الشيء الكثير ، واني لأدعو الله أن يمنحه الصحة والعافية ، ليظل نبراسا يستنير منه طلاب العلم والمعرفة .

كما أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي سعادة المكرم الدكتور سعيد الغيلاني ، الذي كان بمثابة واضع اللبنة الأولى لموضوع هذه الدراسة ، وأدعو الله تعالى أن يديم في عمره وعطائه ليكون نورا نهتدي به .

والشكر موصول لأخي العزيز (أبو عمر) والذي لولا وقفته معي ، وتحمله مصاعب البحث والدراسة معي لما خرجت هذه الرسالة في وقتها .

ولا يفوتني أن أوجه جزيل شكري لمركز جمعة الماجد للتراث والثقافة بإمارة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة على دوام تواصلهم ، وإمدادي بكل ما احتجت إليه من مصادر ومراجع ودوريات في أوقاتها ، وعلى حسن تعاملهم ودورهم الفعّال لخدمة الباحثين .

وشكر خاص لأساتذتي بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس على وقوفهم الدائم معي ، ومعاونتهم لي في موضوع الدراسة ، فشكرا جزيلا لكم ، وجعله الله في ميزان حسناتكم جميعا .

كما أخص بالشكر كذلك إدارة مدرسة نسيبة بنت كعب للتعليم العام(١٠-١٢) والأخوات الزميلات على مساندتهن لي ووقوفهن بجانبي لإنهاء هذه الرسالة كما ينبغي .....

الباحثة

ملخص الدراسة

هدفت هذه الدراسة التاريخية إلى سد ثغرة في تاريخ الفتوحات الإسلامية في العهد الأموية و محاولة إلقاء الضوء على حياه مسلمة بن عبدالملك بن مروان الأمير الأموي والمجاهد العربي الذي قضى جل حياته وأكثر أيام عمره في الجهاد والحرب من اجل تامين حدود الدولة الشمالية واستقرار الدولة الأموية ، هذا الدور الذي أوكل إليه منذ أيامه والده عبدالملك بن مروان وخلال خلافة إخوته الوليد وسليمان وابن عمه عمر بن عبدالعزيز وأخيه هشام بن عبدالملك . و نجد قلة من المؤرخين الأوائل والمحدثين عملت على دراسة هذه الشخصية وجمع أخبارها وفتوحاتها ، ولم يعره الكثير من الباحثين أهميه رغم دوره في القضاء على الكثير من الثورات في أقاليم متعددة من الدولة ، ودوره في حصار القسطنطينية والتي رجع عنها بقرار من الخليفة عمر بن عبدالعزيز فقط . وهؤلاء الذين حفلوا برواية أخبار مسلمة قله وهم على قلتهم فقد اختلفت رواياتهم عنه ، وتضاربت لديهم فيه الأقوال ، وخاصة تلك المتعلقة بفتوحاته في الحدود الشمالية والشمالية الشرقية للدولة الأموية.

ومن اجل الوصول للحقائق التاريخية التي تفرضها طبيعة موضوع هذه الدراسة من جمع لأخبار مسلمة من المصادر الأولية وفهمهما وتحليلها بطريقة موضوعيه منهجيه ، ومحاولة الربط بين هذه الروايات ومقارنتها للوصول للحقيقة حول الحدث التاريخي ، وإعطاء تفصيلات أوضح فيما يتعلق بالأثر الكبير الذي كان لفتوحات مسلمة في هذه الجبهة الحساسة من الدولة الأموية ، فإن الباحثة اتبعت المنهج التاريخي القائم على التحليل والنقد للخروج بالنتائج المبتغاة لإيضاح الدور الكبير لقائد مسلم كبير .

وتشمل هذه الدراسة على ثلاثة فصول بالإضافة للمقدمة والتمهيد والخاتمة ، حيث ستتناول الباحثة في الفصل الأول سيرة مسلمة بن عبدالملك بن مروان من حيث نشبه ومولده، تربيته ونشأته ، كنيته وألقابه ، صفاته ، أبناؤه وزوجاته ، ثم علاقاته بأفراد البيت الأموي بدءا بوالده الخليفة عبدالملك بن مروان مرورا بإخوته الخلفاء الوليد وسليمان ويزيد وهشام أبناء عبدالملك ، وعلاقته الخاصة كذلك بابن عمه الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، انتهاء بعلاقاته بعدد من قيادات الدولة الأموية عسكريا وإداريا ، وفي نهاية الفصل تناولنا وفاته والمراثي فيه .

أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه دور مسلمة بن عبدالملك في الحفاظ على الاستقرار الداخلي للدولة الأموية ، وضم الفصل محورين رئيسين ، حيث يعالج الأول الأدوار الإدارية لمسلمة بن عبدالملك ، والذي قسمته الباحثة لأربع مراحل إدارية خلال فترات تاريخية

متفاوتة ، أما الثاني فتناول قضاء مسلمة بن عبدالملك على الثورات الداخلية التي مرت بها الدولة الأموية ، والتي ساهم في القضاء عليها وإعادة الاستقرار للدولة كثورة شوذب الخارجي وثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .

وتناول الفصل الثالث دور مسلمة بن عبدالملك العسكري في استقرار الحدود الشمالية والشمالية الشرقية للدولة الأموية ، والذي قسمته الباحثة لخمس مراحل مختلفة بدءا بخلافة عبدالملك بن مروان وحتى خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان .

وقد أوردت الباحثة في خاتمة البحث عددا من النتائج أكدت فيها إن كل مرحلة من مراحل الحملات العسكرية التي قادها مسلمة سواء في بلاد الروم أو في أرمينية وأذربيجان هي صفحة مجيدة لوحدها ، ينبغي دراستها على حده ، وقد لعب فيها مسلمة بن عبدالملك دورا لا يقل عن دور غيره من الأبطال الفاتحين كقتيبة بن مسلم الباهلي وعقبة بن نافع وغيرهما . ويحتل حصار القسطنطينية مكانة كبيرة ليس بالنسبة للتاريخ العسكري للدولة الأموية وإنما لتاريخ المد الإسلامي في أوروبا عامة ، فهذا الحصار رغم عدم نجاحه في تحقيق نصر حقيقي إلا انه كان حصارا عظيما هدد الروم وجعلهم يسعون بأنفسهم –حتى بعد رجوع مسلمة وجيشه – إلى عقد اتفاقيات الصلح والمهادنة مع الدولة الأموية . وخرجت الدراسة بنتيجة لم يؤكد عليها إلا القليل من المؤرخين الذين تحدثوا عن مسلمة وهي إن حياة مسلمة بن عبدالملك هي تجسيدا لأخلاق فارس عربي و أمير نبيل لابد من إبرازها في ضوء ساطع شواء في جوانبها المختلفة . ومع رفعة مقامه لدى أهله ولدى العامة إلا انه لم يسعى إلى الخلافة لا بالقوة ولا بالسلم رغم إن عداد الجيوش التي كانت بيده يفوق الأربعين ألف ، ضاما به خيرة أمراء الجيش الأموي ، ولكن المتتبع لشخصيته يجد إن مسلمة بن عبدالملك رأى بالخلافة تكليف لا يستقيم له ، وإنما رباه أبوه على الصبر والقتال ، وان الجهاد في سبيل الله خير له من أن يجلس على عرش لا يدوم له .

Abstract

Maslama bin Abd-Almalek bin Marwan (63A.H/682A.D – 121A.H/738A.D): A Historical Study

Prepared by : Badria bint Mohammed bin Shamis Al-Nabhani

This study aims to fill a gap in the history of Islamic Extension in the Umayyad era and try to shed light on the life of Maslama bin AbdelMalek bin Marwan, the Arabic prince and the Arabic militant who spent his life in striving to save the northern and the northern eastern boarders of the Umayyad country and stabilizing it. This role is giving to him since the days of his father Abdul AlMalik bin Marwan and during his brothers' caliphate Al-Waleed and Sulaiman , his cousin Omar bin Abdul AlAziz and his brothers Yazid and Hisham. We find a few modern and old historians who study the life of this Umayyad militant despite of his leadership role to destroy some of the revolutions which threatened the stability in the Umayyad State. And those who get the narration of Maslama news are few and different in views, especially his conquests in the northern and northern eastern boarders for the Umayyad State.

In order to reach the historical facts which is imposed by the subject nature of this study by collecting Maslama's news from the first-hand resources and understanding and analyzing them in a subjective and methodic way. Try to link between these narrations and comparing them to reach to fact about the historical event, giving clear details regarding the role of Maslama's conquests to this sensitive front of the Umayyad State. The researcher follows the historical methodic based on analyzing and criticizing to reach the wanted conclusions to clarify the big role of a Muslim Leader Who was neglected in the Islamic history.

The study is divided into an introduction, preface ,the conclusion and three chapters. The first chapter talks about Maslama's bin Abdul Almalek bin Marwan biography regarding his kinship and birth, breeding and growing up, his nickname, surnames and his epithet, his sons and wives and his relations with the persons of the Umayyad's house beginning with his father the Caliphate Abdul AlMalik bin Marwan passing his brothers the Caliphates Al-Waleed, Sulaiman, Yazeed and Hisham sons of Abdul Almalek, and his special relation with his cousin the Caliphate Omar bin Abdul Alaziz , ending with his relations with many of the Umayyad State Leaderships military and

administratively, in the end of the chapter we talk about his death and the Elegies which is said to him.

The second chapter concentrates on the role of Maslama bin Abdul Almalik in protecting the interior security for the Umayyad State. It concludes two main points : in the first the researcher discusses the administrative roles for Maslama bin Abdul Almalik, which is divided into four administrative stages during different historical periods. The second talks about Maslama's role to overcome some interior revolutions in the Umayyad State, he returns the stability to the State; these revelations are the revelations of Shothab AlKarejey and Yazid bin Al-Mohalb bin Abi Sofra which were in the Iraq.

The third chapter talks about the military role of Maslama bin Abdul Almalik in stability of the northern and northern east boarders for the Umayyad State. This role is divided into five different stages beginning with the last days of his father Abdul Almalik bin Marwan caliphate until the era of Hisham bin Abdul Almalik bin Marwan.

The researcher states in the end of the research some conclusions, which we ensures that every stage of the military stages which is led by Maslama either in Rome States or in Armenia and Atherbegan is a history by itself, it should be studied alone. His role is important as other conquests like Qutaiba bin Muslim Al-Bahely and Oqba bin Nafee and others. The embargo of Constantpole holds a big rank not only for the military history of the Umayyad State, but also for the Islamic extension in Europe. The study comes to a conclusion which is mentioned by few historians who talks about Maslama which is state that the life of this Umayyad conquest is embodying the morals of an Arabic horseman and a noble prince who is appreciated by others, and clarify even shortly the most important aspects of his social and political life with his family or with people. Despite his high rank to his family and nation he doesn't care to come to the throne even though his army is about 40,000 included the best Umayyad princes, but the one who follows his character finds that he sees the caliphate is not suitable for him, but his father raises him on fighting and courage, and the conquest is better than sitting on a temporary throne that he deserved to be the Caliph more than any of his half brothers for his noble career and good reputation speaks for itself.

فهرس المحتويات

الاختصارات:

١- ب . ت : بدون تاريخ.
٢- ب . د : بدون دار نشر .
٣- ب. م : بدون مكان النشر .
٤- ب . ط : بدون طبعه .
٥- ت : تاريخ الوفاة .
٦- ج : الجزء/ الأجزاء .
٧- ص : رقم الصفحة .
٨- ط : الطبعة .
٩- م : مجلد .
١٠- مج: مجلدات .
١١- Ed : الطبعة .
١٢- Ibid : المصدر نفسه .
١٣- Op.Cit : مصدر سبق ذكره .
١٤- Vol : رقم المجلد.
١٥- Vols : مجلدات .



المقدمة

إن تاريخ الفتوحات العربية الإسلامية في عهد الدولة الأموية تاريخ مليء بالروايات التاريخية والحكايا التي جمعها المؤرخون الأوائل من هنا وهناك ، ودخل في الكثير منها النزعات الفردية ، من محاباة للسلطة ، وحقد شخصي على أفراد البيت الأموي وذلك إبان الفترة التي أرخت هذا التاريخ وهي الحقبة العباسية . ونجد في خضم هذا التغييب الكثير من الأسماء التي تداخلت أو تلك التي لم تذكر ولم تستوفي حقها من الذكر كشخصية مسلمة بن عبدالملك بن مروان . فمسلمة ظل ولفترة ليست بالقصيرة القائد العام للقوات الأموية في جبهة بلاد الروم وما جاورها شرقا ، ومع هذا فإن كل ما نجده عن سيرته مقتطفات هنا وهناك لا تغني الباحث أو الدارس لمرحلة مهمة من مراحل الفتح العربي الإسلامي ، في منطقة كذلك لا تقل أهمية عن غيرها من الجبهات التي قاتل فيها المسلمون .

وما يثير الاهتمام إن المصادر الأولية تمر على اسم مسلمة بن عبدالملك باقتضاب ، دون التطرق لمكانته أو شخصيته إلا القليل مما نجده في مصادر مثل البلاذري وابن كثير عنه ، وهو وان كان مقتضبا إلا انه يعطي صورة واضحة لشخصية هذا الأمير الأموي. كما إن عددا قليلا من المؤرخين المحدثين اهتم بتأريخ حياة هذا الأمير الأموي ، ونجد هذا في عدد من الدراسات التي أدركت مكانة هذا الأمير وألقت الضوء على جوانب من حياته . كذلك فان الباحث يلاحظ إن مؤرخا كالطبري مثلا والمعروف انه جمّاع للروايات التاريخية لا يذكر عن مسلمة وحياته أي شيء عدا تاريخ جهاده في عدد من السنوات لا أكثر وفي الجبهة الشمالية الشرقية فقط ، مما يجعل مصادر التاريخ الحولي العام فقيرة نوعا ما في إمدادنا بكم كبير من المعلومات عن حياة هذا الأمير المجاهد ، مما يحتم على الباحث أن يبحث في كل المصادر التاريخية منها والأدبية والجغرافية وحتى الاقتصادية وكتب التراجم والنسب ليجد مقتطفات من تاريخ مسلمة بن عبدالملك . وعليه قامت الباحثة بالبحث في المصادر الأولية بمختلف فروعها التاريخية والجغرافية والأدبية والاقتصادية مدونة كل رواية ورد فيها اسم مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، آملين أن تكون هذه الدراسة مفتاحا لدراسات قادمة ليس لتاريخ شخص مسلمة بن عبدالملك فقط وإنما لتاريخ الفتوحات الإسلامية في الحدود الشمالية والشمالية الشرقية من الدولة الإسلامية إذ إننا لا نبالغ إن أكدنا إن التاريخ العسكري لمسلمة بن عبدالملك بن مروان ما هو إلا تاريخ العسكرية الأموية خلال الفترة من ٨٦هـ/٧٠٥م – ١١٤هـ/٧٣٢م .

واشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول . حيث سنتناول خلال الفصل الأول سيرة مسلمة بن عبدالملك بن مروان من حيث نسبه ومولده ، تربيته ونشأته ، كنيته وألقابه ، صفاته ، أبناؤه وزوجاته ، ثم علاقاته بأفراد البيت الأموي بدءا بوالده الخليفة

عبدالملك بن مروان مرورا بإخوته الخلفاء الوليد وسليمان ويزيد وهشام أبناء عبدالملك ، وعلاقته الخاصة كذلك بابن عمه الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، انتهاء بعلاقاته بعدد من قيادات الدولة الأموية عسكريا وإداريا ، وفي نهاية الفصل تناولنا وفاته والمراثي التي قيلت فيه .

أما الفصل الثاني فسيتناول دور مسلمة بن عبدالملك في الحفاظ على الاستقرار الداخلي للدولة الأموية ، وضم الفصل محورين رئيسين هما : الأول هو الأدوار الإدارية لمسلمة بن عبدالملك ، والذي قسمته الباحثة لأربع مراحل إدارية خلال فترات تاريخية متفاوتة ، والثاني تناول قضاء مسلمة بن عبدالملك على الثورات الداخلية التي مرت بها الدولة الأموية والتي ساهم في القضاء عليها وإعادة الاستقرار للدولة كثورة شوذب الخارجي وثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، حيث إن هذه الأخيرة عدها الكثير من المؤرخين من اخطر الثورات في الفترة المروانية نظرا لان الثائر كان واحدا من كبار القادة العسكريين والادرايين ذوو المكانة والرفعة بالدولة الأموية ، والدور الكبير والمشهود لهم به في ترسيخ الحكم الأموي في شرق الدولة الأموية منذ أيام والده المهلب بن أبي صفرة .

أما الفصل الثالث فخصصناه للحديث عن دور مسلمة بن عبدالملك العسكري في استقرار الحدود الشمالية والشمالية الشرقية للدولة الأموية ، والذي قسمته الباحثة لخمس مراحل مختلفة بدءا بخلافة عبدالملك بن مروان وحتى خلافة هشام بن عبدالملك بن مروان ، والتي توفي فيها مسلمة بن عبدالملك.

ولابد لنا في هذه المقدمة من الإشارة إلى أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة ، نبدأ أولا بأهم المصادر التاريخية والأدبية التي رجعنا إليها وهي :

١- كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت : ٢٧٩هـ/٨٩٢م). يعد كتاب البلاذري هذا من أهم كتب التاريخ التي تتحدث عن الفتوح الإسلامية واهم قادتها ، كذلك تعطينا الكثير من المعلومات الإدارية والحضارية ، وهو مصدر مهم فيما يخص الحياة الإدارية والاجتماعية العامة لمسلمة بن عبدالملك ، وان كان البلاذري ناقشها بصورة جدا مختصرة إلا انه مصدر مهم لما به من معلومات لا نجدها لدى سواه . كذلك كتابه انساب الأشراف والذي يعطينا البلاذري فيه لمحات مطوله من حياه مسلمة بن عبدالملك بتخصيصه له جزءا في أجزاء كتابه الكبير ، حيث يتحدث عن مسلمة القائد والابن والأخ ، متناولا أحداثا في حياة هذا القائد خارج إطار العسكرية ، ولربما البلاذري من المؤرخين الأوائل القلائل الذي افرد صفحات بذاتها للحديث عن مسلمة بن عبدالملك ، وعليه فان كتاب الأنساب يعد مصدرا غنيا بمعلوماته هذه ، كما لا ننسى إن البلاذري في الأنساب يحدد

تاريخ مولد مسلمة بن عبدالملك دون غيره من المؤرخين ، ولعل البلاذري هو من المؤرخين القلائل الذي نجده يناقش الفترة الأموية بموضوعية وبأهمية تتناسب وانجازاتهم وبخاصة عهد عبدالملك بن مروان .

٢- كتاب تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م). الكتاب جامع شامل ، ويشمل روايات حول الحياة الإدارية والسياسية والعسكرية في الدولة الإسلامية ، ويعطينا معلومات منوعه وكثيرة عن حركة الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي وعن العديد من الحملات التي قادها مسلمة بن عبدالملك وكذلك يزودنا بعلاقات هذا القائد بإخوته ودوره السياسي والإداري في الدولة الأموية من خلال العديد من الروايات التي يوردها الطبري ، وهو وان لم يفصل في الكثير من رواياته إلا انه يضع الصورة واضحة حول الحياة العسكرية لمسلمة بن عبدالملك بن مروان .

٣- كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي(ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م) . والكتاب معروف بتأريخه لحركة الفتوحات الإسلامية ، فرغم نزعة مؤلفه المائلة للعلويين إلا إننا نجده يعطينا تصورا كبيرا وواضحا لأهم الفتوحات والأحداث التاريخية في الفترة محل الدراسة هنا . وابن اعثم الكوفي يفصل في العديد من حملات مسلمة بن عبدالملك لبلاد الروم كما انه يذكر تفاصيل لحياة مسلمة ودوره الاجتماعي والسياسي في حياة أخوته .

٤- كتاب العقد الفريد لابن عبدربه (ت : ٣٢٨هـ/٩٣٩م) . من أشهر كتب الأدب العربي والذي نجد بين طياته العديد من الروايات التاريخية والمواقف المشهودة لمسلمة بن عبدالملك مع العديد من الشخصيات سواء داخل البيت الأموي أو خارجه . والكتاب ذو قيمة أدبية كبيرة ، وله مواضيع ذات صلة مباشرة بالموضوع .

٥- كتاب الأغاني لابو الفرج الأصفهاني(ت:٣٥٦هـ/٩٦٧م) . الكتاب أدبي يتناول قصص وأخبار العرب على فترات تاريخهم الطويل ، والكتاب يعطينا الكثير من القصص التي مرت بحياة مسلمة بن عبدالملك ودوره في الحياة الاجتماعية ببلاد الشام مع العديد من الشخصيات من شعراء وغيرهم ، كما انه يتناول في احد أجزائه علاقة مسلمة بن عبدالملك بعمر بن عبدالعزيز والتي تعكس للباحث العديد من جوانب شخصية هذا القائد ، وعلى الرغم من نزعة المؤلف العلوية إلا إننا فيما يخص موضوع الدراسة لا نجد ظهور لهذه النزعة ، وذلك لان هناك الكثير من المصادر تتدعم روايات الاصفهاني .

٦- كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر(ت : ٥٧١هـ/١١٧٥م).الكتاب ذو أهمية خاصة ، فابن عساكر مؤرخ دمشقي ، وهو ذو ثقة في تدوينه لتاريخ بلاد الشام وخاصة خلال الفترة الأموية ، وهو عدا ما يزود الباحث من معلومات دقيقه ومفصله عن

حملات مسلمة بن عبدالملك ، هو أيضا يورد العديد من الروايات والأسماء التي ترتبط بمسلمة بن عبدالملك ليس داخل البيت الأموي فحسب وإنما في مجتمع بلاد الشام عامة وبالتالي يفيدنا في العلاقات الاجتماعية التي كانت لمسلمة بن عبدالملك داخل البيت الأموي وخارجه ، وما انعكست عليه حكمته في إدارة الأمور على استقرار الدولة الأموية .

أما بالنسبة للمراجع الحديثة فيجب التأكيد أنها إما نقلت مباشرة من المصادر التاريخية أو أعادة صياغة وترتيب ما بالمصادر من روايات وأضافت العديد من الآراء حول بعض القضايا المهمة لتاريخ الفتوحات الإسلامية عامة ، ومن المراجع التي أثرت هذا البحث فيمكننا إيجازها بالتالي :

١- كتاب مسلمة بن عبدالملك حياته العسكرية والأدبية لعلي صافي حسين . حاول الكاتب في كتابه هذا جمع ما استطاع من فتوحات مسلمه ومناقشة بعض الاختلافات في التواريخ لدى عدد من المؤرخين ، مركزا كما ذكر في مقدمته على القول بان فتوحات مسلمه هي فتوحات للقومية العربية لإضافة المزيد من البلدان للوحدة العربية ، كذلك تناول حياة مسلمه الأدبية بشيء من الاختصار دون التطرق لدوره الاجتماعي في أسرة آل مروان أو لدور أبنائه من بعده في هذا المجال .

٢- كتاب سلسلة قادة الفتح الإسلامي : مسلمة بن عبدالملك بن مروان فاتح شطر الأنضول ومحاصر القسطنطينية لمحمود شيث خطاب . يحتوي هذا الكتاب على تاريخ مسلمه العسكري حيث أن المؤلف لواء ركن ، ولهذا نجده يتناول التكتيكات العسكرية بنظرة العسكري الفاهم القادر على رؤية الأحداث وتحليلها ، وبهذا يدحض الكثير من الروايات التي حاولت التشكيك في إخلاص مسلمة بن عبدالملك أو حنكته العسكرية وقدرته القتالية .ونجد الكاتب ينتقد كتاب سابقه علي صافي في بعض النقاط التي رأى فيها محمود شيث انه اقدر كعسكري على فهمها من سابقه . كذلك لم يتطرق لذكر أبناء مسلمه ودورهم الجهادي في تثبيت دعائم الدولة الأموية وسيرهم على خطا أبيهم وبخاصة ابنه محمد بن مسلمه بن عبدالملك والذي وقف بجانب مروان بن محمد حتى سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ / ٧٤٩م . ويلاحظ إن الكاتب يكرر الحديث عن أكثر من نقطه في أكثر من محور ، حيث انه كما سبق وذكرنا كان هدف التأليف الأول والأخير هو الدفاع عن مسلمة بن عبدالملك القائد العسكري وقدراته القتالية والقيادية العسكرية .

٣- كتاب الأمير مسلمة بن عبدالملك بن مروان (٦٣هـ-١٢١هـ/٦٨٢-٧٣٩م) لعواد مجيد الاعظمي. فالكتاب فصل في جوانب حياة مسلمة بن عبدالملك وقسمها لفترات تاريخية متعددة ، إلا انه لم يورد الكثير من التفاصيل عن حياة مسلمة داخل

البيت الأموي ، أو سير أبنائه وانجازاتهم من بعده . كذلك لا نجده يفصل طويلا في تاريخ الحملات العسكرية لمسلمة ولا يناقش تضارب الروايات وبخاصة في سنوات هذه الحملات . إلا إن الكتاب مفيد لاحتوائه على العديد من التحليلات التي ألقت الضوء على عدد من المحطات المهمة لمسلمة بن عبدالملك ، إضافة إن الباحث لم يذكر أي شيء عن حصار القسطنطينية ذلك لأنه ارتأى تخصيص دراسة مستقلة عنه لأهميته .

٤- كتاب معجم بني أمية والذي استخرجه من تاريخ دمشق لابن عساكر لصلاح الدين المنجد. الكتاب يقع ضمن كتب التراجم التي تناولت أفراد البيت الأموي وابرز انجازاتهم ، ويفيدنا هذا المعجم في تناوله لسيرة الكثير من أبناء مسلمة بن عبدالملك وجوانب حياتهم التي لا نجدها في غيرها من الكتب بهذه الصورة المختصرة والمنظمة، وما يجعل هذا الكتاب مرجعا مهما إن الباحث استقى معظم تراجمه من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر سواء المحقق منها أو المخطوط.

ومن خلال هذه الجملة من المصادر والمراجع ، والتي يضاف إليها مؤلفات أخرى خدمت هذه الدراسة كذلك ، حاولنا من خلال هذه الدراسة إلقاء الضوء والتنقيب عن قصاصات حياة هذا الأمير المجاهد في محاولة منا لإكمال الصورة المشرفة التي عمل من خلالها على تدعيم ونشر الدين الإسلامي في جبهات الدولة البيزنطية المختلفة ، دون أن يفت له عضد أو ينحاز للدعة ورخاء العيش في بلاد الشام ، وإنما حمل الراية واضعا نصب عينه هدفا واحدا وهو نشر الإسلام وإعلاء رايته في تلك المناطق ، واضعين مسلمة بن عبدالملك في مكانته الصحيحة من تاريخ الجهاد والفتوحات الإسلامية .

هذا والله من وراء القصد يهدي السبيل ،،،

بدرية بنت محمد النبهاني

سمائل ،٢٠٠٧م

التمهيد

(الأوضاع العامة في الدولة الأموية في الفترة من ٤١هـ/٦٦١م إلى ٨٦هـ/٧٠٥ م)

الأوضاع العامة في الدولة الأموية في الفترة من ٤١هـ/٦٦١م – ٨٦هـ/٧٠٥م

أدى وصول الأمويين إلى السلطة بزعامة معاوية بن أبي سفيان عام ٤١هـ/٦٦١م إلى تحول كبير في هيكل الدولة الإسلامية من كافة النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية وكذلك العسكرية . فقد جاء التحول الكبير في الخلافة الإسلامية ليعطي المرحلة الأموية خصوصية اختلفت عن تلك التي ألفها المسلمون في فترة الخلفاء الراشدين . فانتقل مقر العاصمة إلى دمشق ، ومعه انتقلت كل السلطات التشريعية والتنفيذية ، لتبقى المدينة المنورة ومكة المكرمة مركزين دينيين لا أهمية سياسية كبيرة له . كما إن التحول في شكلية تداول السلطة كان له أثره الأكبر على علاقات الأمويين مع كافة الأحزاب والفرق في المجتمع الإسلامي ، فولاية العهد في البيت الواحد التي ابتدأها معاوية بن أبي سفيان أدخلت الدولة في صراعات داخلية طويلة ، كان لها أثرها على العلاقات الخارجية وبخاصة مع جيرانها البيزنطيين من حيث الحرب والسلم .

ومنذ الفترة الأولى لتواجدهم بالسلطة بدأت الاضطرابات الداخلية بين أحزاب سياسية و دينية ، لتجعل الدولة الأموية خلال هذه الفترة بين أعوام ٤١هـ/٦٦١م – ٨٦هـ/ ٧٠٥م فترة حافلة بالصراع الداخلي ، والتي نجح الأمويون في تركيز قواتهم على هذا النطاق بعقد معاهدات هدنة مع الروم جيرانهم بالشمال ، وتفرغوا للقضاء على المخالفين لهم داخليا .

ورغم هذه الاضطرابات ، ورغم الاختلاف حول أحقية الأمويين بالسلطة أم لا ، فان المد الإسلامي الذي شهدته هذه الفترة لم تشهده أي فترة سابقة أو لاحقة لهم . فحركة الفتح الإسلامي التي بدأت منذ عهود الخلفاء الراشدين ، شهدت تطورا ملموسا منذ أيام معاوية بن

أبي سفيان والذي ركز على الجبهة البيزنطية ، حيث يرجع إليه الفصل في وضع سياسة عسكرية واضحة المعالم والأهداف فيها ، ويرجع إليه الأسبقية لأولى المحاولات الإسلامية لفتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية المنيعة، كذلك ركز معاوية بن أبي سفيان على جبهة شمالي أفريقيا بشكل خاص ، أما في المشرق فقد كانت الفتوحات هامشية في عهده لا تكاد تذكر . و أكمل المروانيون المد الأموي إلى المشرق من الدولة . فمنذ اجتماع الجابية وتولي مروان بن الحكم الخلافة في الدولة الأموية بدأت مرحلة جديدة تختلف عن سابقتها . فإذا كان السفيانيون قد وضعوا الأساس القوي للدولة الأموية ، فإن المروانيين ساهموا بصورة كبيرة في توسع الدولة وإعطائها الطابع الحضاري الشاهد على قوتهم ليومنا الحالي . فعلى سبيل الجبهات فقد خضعت خراسان والسند وما جاورهما وبلاد ما وراء النهر من الشرق للدولة الإسلامية ، أما غربا فوصل نفوذهم إلى شمالي إفريقيا وجنوب غرب أوروبا حيث أنشئوا ولأول مره قاعدة إسلامية مهمة في الأندلس . ووصل نفوذهم إلى جنوب السودان وشرقها ، وسادت الأساطيل الأموية والقوات البرية على كل هذه الرقعة من العالم المعروف آنذاك ، حاملين معهم راية الإسلام ومبادئه ، ليقيموا مجتمعات إسلامية حضارية فيها ، لا زلنا نرى آثارها إلى يومنا الحاضر ، وليتحول بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) إلى بحر لا سيادة فيه إلا للأساطيل العربية .

أما الجبهة البيزنطية بالذات فقد اضطر الخليفة عبدالملك بن مروان ونتيجة للثورات الداخلية التي كانت تعصف بالدولة آنذاك إلى توقيع هدنة مع الروم يدفع فيها المسلمون ضريبة كبيرة للروم مقابل تعهد هؤلاء بعدم انتهاك الحدود مع المسلمين وعدم تأليب القبائل الموالية لهم متمثلة في الجراجمة (المردة) . إلا انه ما كاد الخليفة عبدالملك بن مروان يقضي على عبدالله بن الزبير سنة ٧٣هـ/٦٩٢م حتى أعاد للدولة الإسلامية هيبتها ، فأوقف الضريبة وحارب الجراجمة ووضع حدا للمشاكل التي كانوا يثيرونها، واجبر الروم على

الخضوع للمسلمين . بل وبدأ بإرسال الحملات لفتح الحصون في كل من أرمينية وأذربيجان والتي قاد الحملات فيها أخيه محمد بن مروان والذي رافقه مسلمه بن عبدالملك بن مروان في عدد منها . ويعود الفضل لعبدالملك بن مروان كذلك للعديد من الأعمال والإصلاحات الداخلية . فقد عمل على الاستقرار الاقتصادي في الدولة الأموية ، وقام بالعديد من الأعمال الحضارية المشهودة له من تعريب الدواوين والنقود إلى بناء المساجد الكبيرة في الدولة كمسجد قبة الصخرة الشريفة ، فكانت الدولة الإسلامية في عهده ذات هيبة ومكانة كبيرة على مختلف الأصعدة وبين كل الأمم آنذاك . وهكذا وصل الوليد بن عبدالملك للسلطة بعهد من والده عبدالملك له ليجد الدولة مستقرة سياسيا داخليا ليبدأ باستكمال الأعمال الحضارية داخل الدولة ، وتثبيت حدود الدولة الشمالية بل وتوسيعها شرقا وغربا وشمالا ، فقد بنى الجامع الأموي التحفة الأموية المعمارية القائمة ليومنا الحاضر ، ويذكر له إنشاء البيمارستانات والإنفاق على طلاب العلم والأيتام ، وإصلاح شؤون الرعية ، وإصلاح الأحوال الإدارية بالدولة بمعاونة من كبار رجال الدولة الأموية .

بل إننا نجد الوليد ينتهج نهج والده في الضغط على الإمبراطورية البيزنطية . ليبرز في عهده من القادة العظماء الكبار كثير كمحمد بن القاسم الثقفي فاتح السند وقتيبة بن مسلم الباهلي فاتح بلاد ما وراء النهر في الجهة الشرقية ، وعقبة بن نافع فاتح افريقية ، وموسى ابن نصير فاتح الأندلس في الجبهة الغربية ، أما في الشمال فقد كانت بيد أمير أموي كبير هو مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، والذي تولى هذا الدور في هذه الجبهة في أواخر أيام والده ، ليستكمله في عهود إخوته الوليد وسليمان وهشام أبناء عبدالملك بن مروان ، كما ساهم في تثبيت أركان الدولة بالقضاء على الثورات الداخلية في عهود ابن عمه عمر بن عبدالعزيز وأخيه يزيد بن عبدالملك بن مروان ، كما لا ننسى الدور الإداري المهم الذي استطاع من خلاله تثبيت استقرار هذه الثغور لفترات زمنية طويلة .

الفصل الأول

سيرة مسلمة بن عبدالملك بن مروان

أولا : نسبه ومولده

١- نسبه

هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية[1] ابن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2] . وبنو أمية ولوا الخلافة وفيهم الكثير من الخلفاء والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين [٣] .

" وفي صعيد مصر بأعمال الاشمونيين جماعة من بني إبان بن عثمان ابن عفان وبني خالد بن يزيد وبني مسلمة بن عبد الملك وبني حبيب بن الوليد بن عبد الملك ، وقد مرت الدولة الفاطمية وهم بأماكنهم من ديار مصر لم يروع لهم سربا ، ولم يكدر لهم شرب وهم على ذلك إلى الآن" [٤]. وقد ذكر المقريزي ذلك أيضا وأكد إن بمصر توجد طائفة تنتسب لمسلمة بن عبد الملك بن مروان [٥] .

أما نسبه من جهة آمه فهو مجهول ، إذ لا تورد المصادر الأولية أي ذكر لها من أي ناحية تذكر لا اسما ولا نسبا ولا غيره وإنما اكتفوا بالقول إن أم مسلمة كانت من أمهات الأولاد في هذا يقول البلاذري :" ... وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسه ومحمدا وسعيد الخير

---

1 – ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن (ت:٥١٧هـ/١١٢٣م) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامه العمروي ، دار الفكر : دمشق ، ب . ت ، ج٥٨ ، ص ٢٧ ، انظر أيضا : المنجد ، صلاح الدين ، معجم بني أمية : استخرجه من تاريخ دمشق وزاد فيه، دار الكتاب الجديد: بيروت، ١٩٧٠م ، ص ١٦٤.

2 –الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله (ت:٢٣٦هـ/٨٥٠م)، نسب قريش،عنى بنشره لأول مره وتصحيحه والتعليق عليه ليفي بروفنسيال ، ط٣، دار المعارف: القاهرة، ١٩٨٢، ج٣ ،ص ص ٩٧-٩٩، انظر أيضا : السرحاني ، سلطان طريخم المدهن، جامع أنساب قبائل العرب ، دار الثقافة: قطر ، ب.ت ، ص ص ١٣- ١٤ .

3 – السمعاني،أبو سعيد عبدالكريم بن محمد (ت:٥٦٢هـ/١١٦٦م)، الأنساب ، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي،ج١،دار الفكر:بيروت،١٤١٩م/١٩٩٨م ، ص ٢٠٩ .

4 – القلقشندي ، أحمد بن علي (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، دار الكتب العلمية : بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٠٠ .

5 – السرحاني ، المرجع السابق ، ص ص ١٣-١٤ . وسنتناول ذلك في الحديث عن أبناء مسلمة الذين سكنوا مصر.

... لأمهات أولاد شتى "[6]. فعبد الملك بن مروان كانت لديه العديد من الزوجات والإماء اللاتي أنجبن له العديد من الأولاد.

والواقع إن القارئ لسيرة مسلمة بن عبد الملك لا يواتيه الشك أبدا إن أمه كانت ذات حسب ونسب ، يقول البلاذري :" أجرى عبد الملك الخيل ، فحمل مسلمة على فرس ، وكانت أمه أم ولد فجاءت سابقا ، فقال لمصقلة بن رقية العبدي : إن صاحبكم لقليل المعرفة بأولاد أمهات الأولاد ... فقال: يا أمير المؤمنين: إن من الإماء ذوات شرف، فيمن هن فيه... وقد يشتري الرجل الجارية فيعتقها وتكون حرة ". ونستطيع من رواية أخرى أن ندرك اعتزاز مسلمة بأمه أيا كان نسبها ، فقد ناظر عبد الملك ابنه مسلمة مناظرة شعرية وقعت في حالة سباق خيل بين مسلمة وأخيه سليمان ... فجعل مسلمة أباه يخرج من هذه المناظرة الشعرية خجلا مستحيا من نفسه ... فعن جبلة بن عبد الملك قال : سابق عبد الملك بين سليمان ومسلمة ، فسبق سليمان مسلمة . فقال عبد الملك أبياتا من الشعر :

ألـم أنْهَكُم أن تَحْمِلوا هُجـنَـاءَكم	على خَيْلِكُم يومَ الرِّهانِ فَتُدْرَكُ؟!
وما يَستوي المرءان ؛هذا ابنُ حُرَّةٍ	وهذا ابنُ أُخرى طِهْرُها مُتَشَرِّكُ
وتَضْعُفُ عَضُداهُ ويَقْصُرُ سَوطُـه	وتَقْـصُرُ رِجلاهُ فـلا يَتَحَـرَّكُ
وأَدْرَكَـنَـهُ خـالاتُـه فنَـزعْنَهُ	ألا إنَّ عِرْقَ السَّوءِ لا بُدَّ يُـدْرِكُ

ثم اقبل عبدالملك على مصقلة بن هبيرة الشيباني فقال : أتدري من يقول هذا ، قال: لا ادري ، قال: يقوله أخوك . فأجابه مسلمة قائلا : يا أمير المؤمنين ما هكذا قال حاتم الطائي.
قال عبد الملك : وماذا قال حاتم ؟فقال مسلمة : قال حاتم :

وما أَنْكحونا طائعينَ بناتِهمْ	ولكنْ خَطَبْناها بأسيافِـنا قسـرا
فما زادَها فينا السِّباءُ مَذلَّةً	ولا كُلِّفتْ خبزاً ولا طَبَختْ قِدْرا
ولكنْ خَلَطناها بخَيرِ نِسائنا	فجاءَتْ بهم بيضًا وجوهُهمْ زُهْرا
وكائنْ تَرى فينا ابن سَبِيَّةٍ	إذا لَقِيَ الأبطالَ يَطْعنُهُم شَـزْرا
ويأخذُ راياتِ الطِّعانِ بكفِّهِ	فيُورِدُها بيضًا ويُصْدِرُها حُمْـرا
أَغرُّ إذا اغْبَرَّ اللئامُ رأيتَهُ	إذا ما سَرى ليلَ الدُّجى قَمرًا بَدْرا

فقال عبد الملك كالمستحي :

وما شَرُّ الثلاثةِ أُمَّ عمرو	بِصاحِـبِك الذي لا تَصْبَحينا[7]

---

[6] – البلاذري ، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت:٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ، جمل من كتاب أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف : القاهرة ، ١٩٥٩ ، ج٧، ص ١٩٥ .

[7] – ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد الأندلسي (ت:٣٢٨هـ/٩٣٩م) ، العقد الفريد ،دار مكتبة الهلال : بيروت، ١٩٨٦م، ج٦ ، ص ١٠١.البيت لعمرو بن كلثوم وقيل الثلاثة هم جده المهلهل وأباه كلثوم .

هذه الرواية بلا شك تعطينا صورة واضحة إن مسلمة كان يدرك نسب أمه وكان يدرك مكانتها . وقد شبه الشاعر الفُرس بالجرادة بسبب الصفرة حيث يقول :

مهارشة العنان كان فيها   جرادة هبوة فيها اصفرار

لربما تدلنا إن أم مسلمة بن عبد الملك كانت فارسيه ، والفرس معروفون بحب العلم والقوة والشدة ، وهي صفات اجتمعت في مسلمة بصورة كبيرة ، كما إن حديث مسلمة عن أبيه حين يقول " إن من الإماء ذوات شرف ، فيمن هن فيه" به إشارة إلى كرم النسب والأصل . وفي إشارة لدى البلاذري حول عبدالملك بن مروان تدعم رأينا في نسب أم مسلمة بن عبدالملك وغيره من الأبناء ممن كن أمهاتهم إماء . حيث يقول البلاذري : "قال أبو اليقظان : حدثنا جويرية بن أسماء قال : كان لعبدالملك بيت مال لا يدخله إلا مال طيب ، لم يظلم فيه مسلم ولا معاهد ، وقد عرف وجوهه . فكان يشتري منه الإماء اللاتي يتخذهن أمهات أولاد ويتزوج منه ، ويقول : لا استحل إلا طيبا فان ذلك في الأولاد "[8]. روى عن مسلمة معاوية ابن حديج وعبيد الله بن قزعة الحرشي [9] ، كذلك روى عنه يحيى بن يحيى الغساني[10] وعيينة ابن أبي عمران والد سفيان وعبدالملك بن أبي عثمان [11].

٢- مولده

ولد بالمدينة المنورة في أواخر خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦٠/٦٧٩م - ٦٤هـ/٦٨٣م) . وقد اختلف الرواة في تحديد تاريخ مولده إلا إن رواية واحده تؤكد انه ولد سنة ٦٣هـ/٦٨٢م حيث يقول البلاذري :" وأما مسلمة ابن عبد الملك فسنذكره بعد هذا الموضع إن شاء الله ، وكان صاحب رأيهم ... وكان مولده عام اخرج ابن الزبير[12] بني أمية

---

[8] – البلاذري ، أنساب ، ج٧ ، ص ص ٢٩٤٧ – ٢٩٤٨ .

[9] – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٢٩ .

[10] – الذهبي، محمد بن احمد (ت:٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيق الكتاب وأخرج أحاديثه شعيب الارناؤط،ط٣،مؤسسة الرسالة: بيروت،١٩٨٥-١٩٨٨،ج٥،ص٢٤١.

[11] – ابن عساكر ، المصدر السابق ، ص ٢٧ ، انظر أيضا : المنجد ،المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

[12] – يقصد به عبدالله بن الزبير بن العوام، أول مولود ولد للمهاجرين في المدينة بعد عشرين شهرا من الهجرة ، وفرح المسلمون بولادته كثيرا لان اليهود كانوا يقولون: سحرناهم فلا يولد لهم ولد، فحنكه الرسول صلى الله عليه وسلم وسماه عبد الله ، وكناه أبا بكر باسم جده الصديق وكنيته ، روى عن النبي ثلاث وثلاثون حديثا . وكان ممن رفض البيعة لمعاوية بن أبي سفيان في بادئ الأمر ثم بايعه تحت الضغط ورفض ولاية العهد ليزيد بن معاوية وفر إلى مكة لم يبايعه ولم يعلن نفسه خليفة. قضى عليه الحجاج بن يوسف الثقفي حيث صلبه. انظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق احمد إبراهيم زهوة وسعيد بن احمد العيدروسي، دار الكتاب العربي : بيروت ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ، ص ص ١٦٣ – ١٦٦ .

من المدينة "[13]. والثابت إن العام الذي اخرج فيه الأمويين من المدينة كـان عـام ٦٣هــــ / ٦٨٢م ،وفيه يقول الطبري : " فمن ذلك ما كان من إخراج أهل المدينة عامل يزيد بن معاوية عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة وإظهارهم خلع يزيد بن معاوية وحـصارهم مـن كان بها من بني أمية..."[14].

ثانيا : تربيته ونشأته وكنيته وألقابه وصفاته

١- تربيته ونشأته

مما لا شك فيه إن المتتبع لسيرة مسلمة بن عبد الملك بن مروان يصل لكثير من النتائج حول ماهية التربية التي كان عبد الملك بن مروان يوليها لأبنائه سواء كانت أمهاتهم حرات أم كانوا أبناء إماء . والمتتبع لسيرة مسلمة وصفاته يرى كيف إن مسلمة بن عبـد الملـك اخـذ الكثير من صفات والده ، ولهذا كان مسلمة بن عبد الملك صوره كريمه ومجيده للأمويين من كافة النواحي.ومن قول مسلمة : " ما قرأت كتابا قط لأحد إلا عرفت عقله منه " فإننـا نـرى في شخصية مسلمة بن عبد الملك انعكاسا واضحا للتربية التي ترباها والعناية التـي حـرص والده الخليفة أن يزرعها في نفس ولده . وكذلك سنرى اثر تربية مسلمة بن عبد الملك نفـسه على أبنائه في هذا الفصل . ولكل شخصية هناك عوامل عده تؤثر في بنائها ، مـن المنـزل الذي ينشأ فيه إلى القدوة الصالحة إلى الرفقة الصالحة ، فكل هذه العوامل توافرت لمسلمة بن عبد الملك ، فمثلت شخصية والده بالنسبة له مكانه كبيره ، وانعكست على كثير من صـفات مسلمة . فبالإضافة للقدوة المتمثلة بوالده كان هناك عمه محمد بن مروان الذي رافقه في كثير من الحملات قبل أن يتولى هو بنفسه حملة عسكرية في أواخر حياة والده ، أضف إلى الكثير من القواد الذي رافقوا مسلمة بن عبد الملك في عهد والده أو في عهود إخوته مـن الخلفـاء التاليين ، وتدلنا وصية والده له في حملته العسكرية الأولى لبلاد الروم عام ٨٦هـــ /٧٠٥م ذكرا لأسماء كبار القادة الذين يوصيه والده بتوليتهم قيادات في الجيش ليكونـوا لـه عونـا ، حيث يقول عبد الملك لابنه يوصيه : " ... فان عزمت على حرب عدوك فاجعل عمك محمد ابن مروان على ميمنتك واجعل ابن عمك محمد بن عبد العزيز[15] على ميـسرتك ، واجعـل محمد بن الأحنف بن قيس على طلائعك ، وعبد الرحمن بن صعصعه بـن صـوحان علـى جناحك ، واعتمد في حربك على البطال بن عمرو[16] فانه بطل شجاع ومقداع شياع ... "[17].

---

[13] – البلاذري ، أنساب ، ج٧ ، ص ١٩٩ .

[14] – الطبري ،أبو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك ، راجعه وقدم له واعد فهارسه نواف الجراح ، ط٢ ، دار صادر : بيروت ،٢٠٠٥م ، ج٣ ، ص ١٠٦٣ .

[15] – لم نجد له أي ترجمة في كتب التراجم .

[16] – هو أبو محمد عبدالله البطال كان من كبار القادة الذي شهدوا مع مسلمة بن عبدالملك الكثيـر مـن حملاته على بلاد الروم وشهد معه كذلك حصار القسطنطينه ، وللعامة حوله حكايـات وقـصص-

كذلك من الأشراف المشهورين ممن صحب مسلمة بن عبد الملك همام بن معقل وهو من بني الحارث بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ [18] ، والمغيرة بن هشام بن الحارث من بني مخروم، والذي عرف بالأعور لان عينه أصيبت أثناء حصار القسطنطينية مع مسلمة بن عبدالملك [19].

ولنبدأ بدور والده في نشأته وتربيته . فإننا لو تتبعنا حياة عبد الملك بن مـروان[20] فـي المدينة المنورة وقبل توليه الخلافة لوجدناها تنعكس في شخصية مسلمة بصورة كبيرة ، فعبد الملك بن مروان تميزت شخصيته قبل توليه منصب الخلافة بالتقوى والورع والاهتمام الكبير بالقران والسنة ، كما عرف عنه سعة العلم والمعرفة باللغـة والأدب ، والـشعر والفـصاحة والمنطق . وكان مؤدب مسلمة ويزيد وعنبسة يدعى إسماعيل بن مهاجر ، وأوصاه الخليفـة عبدالملك بن مروان فيهم فقال له : " علم بني القرآن ، وخذهم بمكارم الأخلاق ، وحثهم على

-وكانت وفاته سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م .و هو الذي قتل شمعون قائد الكفار في فتح عمورية وألقاه بين يدي مسلمة بن عبد الملك ، وكذلك حز رأس اقريطون ورفعه على رمحه ، انظر : القلقشندي،أحمد علي(ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمـان ، تحقيـق إبـراهيم الابياري، ط٢، دار الكتاب المصري:القاهرة،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م،ص ١١٦ ، ويعرف الأتراك باسـم السيد عبدالله وفي التراث العربي قصة عربية حكاية دلهما والبطال نسجت لبطولاته . وهـو مـن موالي الأمويين ولد في أنطاكية ، و في المصادر الاوليه نجده باسم عبدالله البطال تبدأ ذكـره منـذ تاريخ ١٠٩هـ/٧٢٧-٧٢٨م أي في أيام هشام بن عبدالملك ، ولكننا نجد اسم البطال بن عمرو فـي فترة فتوحات مسلمة بن عبدالملك في بلاد الروم منذ أيام والده عبدالملك بن مروان . انظر أيـضا : Canard,M , Al-Battal Abd Allah , Encyclopedia of Islam , Edited by an editorial committee, E.J.Brill: Leiden ; 1968 ,Vol I, pp1102-1103 ويبـدو إن المصادر التاريخية خلطت بين الأسماء ، ولهذا فان الباحثة تميل لما ورد لدى القلقشندي من تعريف عبدالله البطال بأنه هو البطال بن عمرو .

[17] -ابن أعثم ، احمد الكوفي (ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م) ، كتاب الفتوح ، تحت مراقبة محمد عبـد المعـين خان، دار الندوة الجديدة: بيروت،١٩٦٨ ، ج٤ ، ص ص ١٢٢- ١٣٥ .

18 - ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٢٢ .

[19] - الزبيري ، المصدر السابق، ج٩، ص ٣٠٥ .

[20] - هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ، أبو الوليد ، ولد سنة ست وعشرين للهجـرة (٦٤٦م) ، بويع له في شهر ربيع من سنة ٦٥هـ بدمشق ، ولعبدالعزيز أخيه ، واستخلف في شـهر رمضان سنة ٦٥هـ ، وكانت ولايته عبد مقتل عبدالله بن الزبير سنة ٧٣هـ ، توفي وله ٦٢سـنة وصلى عليه الوليد بن عبدالملك ، ودفن بمقبرة الباب الصغير سنة ٨٦هـ . كان عابدا زاهدا ناسكا بالمدينة قبل الخلافة ، قال الثعالبي : كان عبد الملك يقول : ولـدت فـي رمـضان وفطمـت فـي رمضان، وختمت القران في رمضان ، وبلغت الحلم في رمضان ،ووليت في رمـضان ، واتتنـي الخلافة في رمضان ، وأخشى أن أموت في رمضان ، فلما دخل شـوال وامـن مـات ، انظـر : البلاذري،أنساب ،ج٧،ص ٢٩١٧.انظر أيضا:السيوطي،المصدر السابق ، ص ص ١٦٦ - ١٧٢ .

صلة الأرحام ، ووقرهم في الملأ ، وأخفهم في السر ، فان الأدب أملك بالغلام من الحسب وتهددهم بي ، وأدبهم دوني ، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم " [٢١]. كذلك كان هناك مؤدب لولد عبد الملك بن مروان يسمى رومان حيث يقول : " كتب إلي عبد الملك بن مروان بكلمات يأمرني أن أحدثهن ولده ، فقال : مرهم بإحراز ما اقبل قبل إدباره ، والتعزي عن المدبر بعد تعذيره ، وكتمان ما في النفس دون الخلصان ، ومؤازرة الثقة بين الإخوان ، وتوقع انتقاض الإخوان ، وقلة التعجب من غدر الخلان " [٢٢].وهذا دليل على اهتمام عبد الملك بن مروان بماهية الآداب والعلوم التي تعطى لأبنائه وحرصه على تأديبهم وتعليمهم ما يهمهم من الأمور.

وكعادتهم حرص الخلفاء على تعليم أبنائهم الفروسية وفنون القتال بالإضافة لتعليمهم الدين والأدب . ومسلمة كان من أبناء عبد الملك وقد أُثرت الكثير من المواقف بين الأب وابنه التي تعطينا صورة واضحة عن ماهية العلاقة التي كانت بين الأب وابنه . ولهذا نقول إن مسلمة ارتشف الأخلاق والأدب والقوة من أبيه ، بالإضافة لحسن تأديب معلمه له ، فقد كان لاهتمام أبيه به دوره في اكتسابه العديد من الصفات التي سنتحدث عنها لاحقا .

وقد كان مسلمة من أجمل أبناء عبد الملك شكلا فيروى إن رجلا دخل على عبد الملك وعنده مسلمة ابنه وهو غلام فقال : ما رأيت مثله ولا أجمل منه حين اخضر شاربه ... وكان مسلمة من أجمل الناس ومن احضر الناس جوابا ولم يكن لعبد الملك بن مروان ابن أسد رأيا ولا اذكي عقلا ولا أشجع قلبا ولا اسمح نفسا ولا أسخى كفا من مسلمة [٢٣].

ولا أدل من مكانة مسلمة الخاصة لدى أبيه من ذكره له دون بنيه جميعهم في وصيته حين حانت ساعة منيته . يقول ابن الأثير : " ثم دخلت سنة ٨٦هـ/٧٠٥م وأوصى بنيه فقال: أوصيكم بتقوى الله ، فإنها أزين حلية وأحصن كهف ، ليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير، وانظروا مسلمة فأصدروا عن رأيه ، فانه نابكم الذي عنه تفترون ، ومجنكم الذي عنه ترمون ، فأكرموا الحجاج فانه الذي وطّأ لكم المنابر ، ودوّخ لكم البلاد ، وأذل لكم الأعداء ، وكونوا بني أم بررة ، لا تدب بينكم العقارب ، وكونوا في الحرب امرارا ، فان القتال لا يقرب ميتة . وكونوا للمعروف منارا ، فان المعروف يبقى

---

21 – البلاذري أنساب ، ج٧ ، ص ٢٩٨٤ .

22 – ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(ت:٧١١هـ/١٣١١م) ، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق روحية النحاس وآخرون ، دار الفكر:دمشق ،١٩٨٠م،ج٨ ،ص٣٤٢ .

23 – ابن عبد ربه ، المصدر السابق، ج٤ ، ص ص ٤١ ، ٥٧ ، ١٣١ .

أجره وذكره . وضعوا معروفكم عند ذوي الاحساب فإنهم أصون له واستر لما يـؤتى إلـيهم منه . وتمغدوا ذنوب أهل الذنوب ، فان استقالوا أقيلوا ، وان عادوا فانتقموا " [٢٤].

وكان من اهتمام عبد الملك بن مروان بابنه مسلمة عسكريا إرساله إياه مع عمه محمد ابن مروان حين كان واليا على الجزيرة الفراتية في عهد أخيه عبد الملك . فتعلم مسلمة من عمه الكثير وكان له بمثابة الأستاذ والمدرب هناك، حيث شبهه Rotter في دائرة المعارف الإسلامية بأنه كان شبيها بعمه محمد بن مروان بالجزيرة الفراتية [٢٥] ، والتشبيه هنا يقصد به القدرات العسكرية في القيادة وتنظيم الجيوش والقتال . الجدير ذكره ، إن فرس مسلمة بن عبدالملك اسمها الظلّ[26].

وقد كان مسلمة رجلا ذا صيت ومال وجاه ، وكان تقيا ورعا ، وظهر ذلك فيما اثر عنه من أحداث مع الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، وكذلك روي عنه الكثير من الأقوال في التقوى والزهد . روي عن مسلمة قوله بعد دفنه للخليفة عمر بن عبد العزيز قوله : " رحمك الله يا أمير المؤمنين فقد لينت منا قلوبا قاسية ، وزرعت لنا في قلوب الناس المحبة ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكرا"[٢٧] . وكان للعلاقة التي يوردها المؤرخون الأوائل في كتبهم عن طبيعة العلاقة بين عمر بن عبد العزيز ومسلمة بن عبد الملك دليل على كرم أخلاق هذا المجاهد وتدينه ، فعمر بن عبد العزيز طلب من مسلمة ان يغسله ويكفنه ويصلي عليه ، ونحن نعلم إن رجلا كعمر بن عبد العزيز لن يطلب مثل هذا إلا من رجل تقي ، وسنستعرض بتفصيل أكثر لطبيعة هذه العلاقة في سياق حديثنا عن علاقة مسلمة بن عبد الملك مع خلفاء بني أميه .

ومن أدلة تقواه ما يرويه لنا احد غلمان مسلمة بن عبد الملك يقول : " ... كان مسلمة ابن عبد الملك يقوم من الليل فيتوضأ ويتنفل حتى يصبح فيدخل على أمير المؤمنين ... " [٢٨].

---

[24] – ابن الأثير ، علي بن محمد الجزري(ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م) . الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، ط٢ ، دار الكتاب العربي : القاهرة ، ١٩٩٩م ، ج٣ ، ص ص ٥٣١ – ٥٣٢ . انظر أيضا : ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ص ١٤٨ – ١٤٩.

[25] – Rotter,G , Maslama B.Abd Al-Malik B. Marwan , Encyclopedia Of Islam , Edited by an editorial committee, E.J.Brill: Leiden;1968, Vol VI,p740.

[26] – ابن منظور،جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(ت:٧١١هـ/١٣١١م)،لسان العرب،اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبدالوهاب وآخرون،ط٣،دار إحياء التراث العربي:بيروت،١٩٨٦م،ج٨ ، ص ٢٦٣ .

[27] – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦٢ .

[28] – ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٥٩ .

يقول الأصمعي : " ... ولم يكن لعبد الملك ابن أسدّ رأيا ولا أذكى عقلا ولا أشجع قلبا ولا اسمح نفسا ولا أسخى كفا من مسلمة ... " [٢٩].

٢ – كنيته وألقابه:

عرف مسلمة بأنه أبو سعيد نسبة لابنه الأكبر سعيد وعرف كذلك بـأبي الإصبغ [٣٠]. ولمسلمة بن عبد الملك العديد من الألقاب لعل أشهرها ذلك الذي وصفه به أبيه عبد الملك بن مروان وهو يوصي بنيه في آخر أيامه ، إذ يقول عبد الملك لأبنائه : " ... وأكرموا مسلمة ابن عبدالملك فانه سنكم الذي به تتزينون ، ونابكم الذي عنه تفترون ، وسيفكم الذي به تصولون ، فاقبلوا قوله ، وأصدروا عن رأيه ، واسندوا جسيم أمركم إليه ..." [٣١]. وفي رواية ابن قتيبة عن وصية عبد الملك يقول :" ... انظروا أخاكم مسلمة فاستوصوا به خيرا فانه شيخكم ومجنكم الذي به تستجنون .." [٣٢]. وأيا كانت الروايات فان هذا اللقب " ناب بني أمية " يعطي المرء صورة واضحة لما كان لهذا الرجل من دور عسكري كبير في تثبيت استقرار الدولة الأموية داخليا وخارجيا منذ أيام أبيه والذي استمر معه حتى خلافة هشام بن عبد الملك والذي سنفصل فيه في أوانه . واستخدام عبد الملك لكلمة " **شيخكم** " له دلالة إن مسلمة كان ذا رأي وحكمة و مشورته لها مكانتها ، وانه الأول بينهم . وعرف مسلمة بن عبد الملك كذلك بالجرادة الصفراء لصفرة كانت تعلوه [٣٣] . يقول الإمام الذهبي :" مسلمة بن عبد الملك ابن مروان بن الحكم الأمير الضرغام ، قائد الجيوش أبو سعيد وأبو الإصبغ الأموي الدمشقي، ويلقب بالجرادة الصفراء "[٣٤] . وروي عن الزبير بن بكار في تسمية ولد عبد الملك قال : " مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ، وكان يلقب الجرادة الصفراء... " [٣٥].إن هذا اللقب نسبه يزيد بن المهلب قبل معركة العقر وقتال مسلمة بن عبد الملك ليزيد بن المهلب ، فحين سمع ابن المهلب إن الخليفة يزيد بن عبد الملك أرسل أخاه مسلمة لقتاله خطب في الناس فقال : " إن هؤلاء القوم لن يردهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم ، الضرب بالمشرفية على هامهم ، وانه قد ذكر إن هذه الجرادة الصفراء – يعني

---

29 – ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٠١ .

30 – ابن حجر العسقلاني، أحمد علي(ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)،تهذيب التهذيب،دائرة المعارف النظامية:حيدر أباد الدكن،١٩٠٧-١٩٠٩م،ج١٠،ص١٤٤. أيضا:المنجد،المرجع السابق،ص ١٦٤ .

31 – البلاذري ، أنساب ، ج٧ ، ص ٢٩٣٩ .

32 –ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت : ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ، الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني،مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع :دمشق، ١٩٦٧م،ج١،ص ٤٦.

33 – البلاذري ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٣٥٩ .

34 – الذهبي، سير، ج٥، ص ٢٤٩.

35 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٢٩ .

مسلمة بن عبد الملك ... "[36]. ويورد ابن عبد ربه في روايته إن يزيد بن المهلب أشار لمسلمة بن عبد الملك بالجرادة الصفراء حيث قال في خطبته لأهل البصرة حين وصلت جيوش الشام إلى العراق : " ... وما مسلمة إلا جرادة صفراء ... "[37].

ويرى عواد مجيد الأعظمي إن لقب الجرادة الصفراء له معنيان مختلفان الأول منهما حسن فنسبه الأعظمي لمسلمة بن عبد الملك والآخر بعكس ذلك ونسبه ليزيد بن المهلب بن أبي صفره ، وذلك طبقا لرواية اليعقوبي في كتابه التاريخ حيث يقول : " فالتقيا – يعني مسلمة ويزيد– بمسكن ، فحاربه محاربة شديدة ويزيد مبطون شديد العلة ، وكان مسلمة يسميه : الجرادة الصفراء ، فلم يبرح حتى قتل ، وكان ذلك في سنة ١٠٢هـ"[38] . يقول الجاحظ: ويقال: قد بشر الجراد الأرض، فهو يبشرها بشرا إذا حلقها، فأكل ما عليها، ويقال: جرد الجراد، إذا وقع على شيء فجرده. أما بخصوص الصفرة بالجرادة قال الشاعر في تشبيه الفرس بالجرادة :

مهارشة العنان كان فيها جرادة هبوة فيها اصفرار

فوصفها بالصفرة لان الصفرة هي للذكورة وهي اخف أبدانا وعليه فهي اشد طيرانا . وعليه فالجرادة الصفراء قد تميزت بصفة الخفة، والسرعة في الطيران، وتميزت بكونها تلتهم ما أمكنها التهامه من على وجه الأرض من زرع وثمر وشجر حتى تصيرها جرداء قاحلة. لذا استعملت عبارة " الجرادة الصفراء " فصيرت لقبا ينعت به شخص ما ليدل على مدى جشعه المادي، وشغفه الشديد في جمع الأموال واقتنائها والتهامها "[39]. وهذا المعنى الأخير هو الذي نسبه الأعظمي ليزيد بن المهلب إذ عرف عن يزيد حبه للمال وجمعه له ، يقول البلاذري : " إن يزيد سار إلى طبرستان فاستجاش الاصبهذ[40] الديلم ، ثم انه صالحه على نقد أربعة ألاف درهم ، وعلى سبعة ألاف درهم مثاقيل في كل سنة ، ووقر أربعمائة جماز[41] زعفرانا ، وان يخرجوا أربعمائة رجل على رأس كل رجل منهم ترس وطيلسان وخام فضة ، ونمرقة حرير ... وفتح يزيد الرويان ودنباوند على مال وثياب وانية ، ثم مضى إلى جرجان فقتل خلقا من أهلها، وسبى ذراريهم ، ووضع الجزية والخراج على أهلها وثقلت وطأته عليهم "[42].

---

36 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٤٤ .

37 – ابن عبد ربه ،المصدر السابق ،ج٣ ، ص ٢٨٥ .

38 – اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت : ٢٨٤هـ/٨٩٧م) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر : بيروت ، ب.ت ، م٢ ، ص٣١١ .

39 – الأعظمي ، المرجع السابق ، ص ص ٣٧-٤٠ .

40 – الاصبهذ: اسم أعجمي ، انظر : ابن منظور ، لسان ، ج١ ، ص ١٥٢ .

41 – الجماز : البعير ، انظر : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٣٥٣ .

42 – البلاذري ، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت:٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ، فتوح البلدان ، تحقيق لجنة تحقيق التراث في دار ومكتبة الهلال ، دار ومكتبة الهلال :بيروت ، ب .ت ، ص ٣٢٣ .

وعرف كذلك كرمه وصرفه المال في وجوه الخير ، إلا إن الأعظمي ركز على الروايات التي تصف حبه للمال أكثر من سواها في مقارنة بين صرف يزيد بن المهلب ماله بالخير وصرف مسلمة بن عبد الملك لماله في وجوه الخير ليبين الفرق بين المعنيين الذين ينطلي عليها لقب " الجرادة الصفراء ". إلا إن الباحثة ترى انه ورغم الدلائل التي ساقها الأعظمي في موضوع المقارنة بين شخصيتي يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبد الملك في مجال تحديد مفهوم "الجرادة الصفراء " كان جيدا ومستفيضا ، إلا إن هذه الرواية غير موجودة في المصادر الأخرى ، وعليه فالأعظمي يستند لرواية اليعقوبي والتي تشير إلى إن يزيد بن المهلب كان يعرف بالجرادة الصفراء كذلك . كما إن المقارنة كانت قريبة جدا من الشخصيتين فكلاهما كان محبا للمال جامعا له ، وكلاهما كان كريما مغدقا في ماله ، وكلاهما مدحهما شعراء معروفين في هذا المجال ، وبالتالي فان ربط صفة الجشع بالجرادة الصفراء ليزيد بن المهلب وربطها بصفة السرعة فقط لا حب المال والبذخ فهذا ما ترى الباحثة انه يغيب عن الموضوعية والصحة في الربط بين المفهوم والشخصية . كما إن الأعظمي يفترض إن : يزيد بن المهلب قد استغل هذا اللقب الذي كان مسلمة يسميه به فأطلقه عليه على ضوء المثل السائر : رمتني بدائها وانسلت "[43]، وهذا أمر ينافي للحقيقة التاريخية . أضف إلى هذا فان رواية اليعقوبي هي شبيهة بالروايات التي نجدها لدى معظم المؤرخين الأوائل عدا ذلك السقوط في من أطلق على من اللقب ففي حين يؤكد خليفة بن خياط والطبري ومن نقل عنهما إن يزيد بن المهلب سمى مسلمة بالجرادة الصفراء ، نجدها فقط لدى اليعقوبي عكس ذلك ، والأمر قد يكون به التباس في نقل الرواية لدى اليعقوبي لا أكثر . وقد ذكره ابن سميع في الطبقة الرابعة من التابعين من أهل الشام وقال الزبير بن بكار وكان من رجالهم وكان يلقب بالجرادة الصفراء [44].

وأعطاه أعرابي قدم إليه لقبا يدلنا على عظيم شأن مسلمة وصيته الذي كان له فيقول له: " ... يا بن الخليفة زرتك وأنت غرة مضر وحسيبها ... " [45] ، وفي هذا كنايه على نسبه الكبير وسمعته الطيبة بين أهل الشام .ووصفه كثير عزه حين قدم دمشق مع صاحبيه الاحوص ونصيب للخليفة عمر بن عبد العزيز بأنه " (فتى العرب) وكل واحد منا ينظر في عطفيه ، ولا يشك انه شريك الخليفة في الخلافة" [46]. وفتى العرب أي سند العرب وعمادهم ، وكان مسلمة عماد الخلافة والمدافع عنها . أما مسألة انه شريك للخليفة في الخلافة فهذا يؤكد

---

43 – الأعظمي ، المرجع السابق، ص ٥٢ .

44 – ابن حجر ، المصدر السابق ، ج١٠، ص ١٤٤ .

45 – البلاذري ، أنساب ، ج٨، ص ٣٦٥ .

46 – الأصفهاني ، أبي الفرج (ت:٣٥٦هـ / ٩٦٧م) ، الأغاني ، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء ، الدار التونسية : تونس، ١٩٨٣م ، ج٨ ، ص ١٥١ .

قولنا بان مسلمة بن عبد الملك كان خليفة بدون كرسي خلافه . وان لرأيه وكلمته في البلاط الأموي مكانتها إن لم تكن ككلمة الخليفة فهي ليست بأدنى منها[٤٧].

٣- صفاته

دلتنا الروايات التاريخية على الكثير من الصفات الحميدة التي اتصف بها هذا الأمير المجاهد ، والتي أعطته مكانة مميزه في تاريخ الدولة الأموية ، والتي قلما نجدها مجتمعة في احد أبناء الخلفاء سواء من كانت أمه حرة عربية أم كانت أم ولد .فتاريخ مسلمة الطويل يعطينا صورة واضحة عن نشأته وولائه وإخلاصه للدولة الأموية ولخلفائها فقد كان أمويا من كافة النواحي ، حيث يقول مسلمة في هذا الشأن : " ... العيش في ثلاث: سعة المنزل ، وكثرة الخدم ، وموافقة الأهل "[٤٨] . وكان فارسا وقائدا نبيلا ، ولهذا نجد الكثير من المؤرخين يشيرون إليه بلقب " الأمير " والذي يحمل كل معاني النبالة والشجاعة والشهامة كما عرفها العرب دوما . فمن حيث الشكل الخارجي كان مسلمة كما أسلفنا من أجمل أبناء عبد الملك شكلا ، يروى إن مسلمة بن عبد الملك مر بموسوس على مزبلة ، فقال له الموسوس : " لو رآك أبوك ادم لقرت عينه بك . قال له مسلمة : لو رآك أبوك ادم لأذهب سخنة عينه بك[49] قرة عينه بي. وكان من احضر الناس جوابا"[٥٠].

وعلى الرغم مما نجد في كتابات المؤرخين لتاريخ الدولة الأموية من انتشار الملذات والفساد في البيت الأموي إلا إننا نجد إن مسلمة لم يؤثر عنه مجالس الهوى أو ولعه بالخمر أو النساء أو غيره على الرغم من سعة ماله ، بل كان متدينا كرس حياته وشبابه لخدمة الدولة الأموية والدفاع عنها ، يقول ابن عساكر في ذلك : " وكان من رجال بني أميه ، وكان بطلا شجاعا مهيبا راجح العقل يلقب بالجرادة الصفراء " [٥١].

والمرء تكشف عن شخصيته أقواله وأفعاله ، كما أنها تبيانا واضحا لرجاحة عقله . فيروي لنا المدائني إن احدهم سأل مسلمة بن عبد الملك : ما يمنعك من العمل لو أردته لتوليت أجسمه ؟ قال مسلمة : يمنعني عنه ذل الطلب ومرارة العزل وهول الخطب وقرع

---

47 – يقول ولهاوزن : " كان الناس في ذاك الزمن يفاخرون بالأم ذات المحتد ، وكان مسلمة بن عبدالملك ابن جارية ، ولذلك لم يكن هناك من قول في ولاية عهده ، مع انه كان جد شجاع وقدره جليلا عند بني أمية " ، انظر : ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية وسقوطها ، نقله إلى العربية يوسف العش ،الجامعة السورية : دمشق ، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م ، ص ٢٥١ .

٤٩- الآلوسي ، محمود شكري ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، شرحه وصححه محمد بهجت الأثري ، ط٢، دار الكتب العربية : بيروت، ب . ت ، ج٣، ص ١٨٦ .

49 – سخنة العين عكس قرة العين ، انظر : ابن منظور ، لسان ، ج٦ ، ص ٢٠٧.

50 – ابن عبد ربه ،المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٢٤ .

51 – ابن عساكر ، تاريخ ،ج٥٨، ص ٢٨، انظر أيضا : المنجد ،المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

حلق البريد . ويقول مسلمة : ما فرحت قط بفتح كان على غير تقدير . ويذكر البلاذري إن مسلمة سمع عن رجل انه قنوع فقال : إن القناعة احد اليسارين أو قال احد المالين [٥٢] .

وأشهر ما عرف عن مسلمة كرمه وسعة يده، فهو لا يرد سائلا أيا كان. ويروى إن مسلمة قال : عجبت لمن قدر كيف لا يغفر ، ولمن وسع عليه كيف لا يجود [٥٣]. وقال أبو نعيم الفضل بن دكين عن موسى بن قيس :" اقبل مسلمة حتى نزل الحيرة فاتاه مسلمة بن كهيل وزبيد اليامي فأعطاهما خمسمائة خمسمائة " [٥٤]. ويقول مسلمة :" لا عفة مع الشح ولا مروءة مع الكذب "[٥٥]. وروي عن المدائني وغيره قالوا : قال مسلمة بن عبد الملك لهشام وتلاحيا في شيء : كيف ترجو الخلافة وأنت جبان بخيل ؟؟ قال : لأني عفيف حليم . وكان مسلمة يقول : إن الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فكأنه يقضمني حب الرمان الحامض حتى يسكت ، فارده عنها ، ويكملني الرجل في الحاجة ما يستوجبها فيعرب فأجيبه إليها[٥٦] .ومن فيض كرمه على العلماء انه أهدى الحسن البصري خميصة[٥٧] لها أعلام ، كان الحسن البصري يصلي عليها [٥٨].

قالوا : ودخل أعرابي على مسلمة فقال : يا ابن الخليفة وأنت غرة مضر وحسيبها من تذكر . قد تعطفت عليك الأملاك فليس يخاف ضيفك الهلاك ، وأنت في فرع نضار ، ورثته عن ذوي الأخطار ، ولك يد تمطر الندى ، وأخرى تقتل العدى ، وقد رزقت من الناس الحمد، فدل عليك فضلك . فقال مسلمة : يا أعرابي انك لفصيح . قال : اجل واني لصريح . فقال مسلمة : قلما نجد أعرابيا عاقلا . قال : وما يذهب عقله إذا كان كاملا ؟ قال : قلة مخالطته الناس . فقال : ذلك أكيد له عند الناس . قال مسلمة : وأنى له ذلك وهو لا يرى القتال ؟ قال : يكون غمرا فيجترئ على الإبطال . قال مسلمة : احتكم يا أعرابي . قال : عشر جلال تمر، وعشر أعنز ، وقطيعة للعيال ، وجملا نحمل عليه متعا ، وثلاثين درهما ، فأمر له بضعف ما طلب [٥٩].

وكان مسلمة عارفا بطباع الأعراب ، عارفا بجفائهم ولغتهم التي كان أهل المدينة يصعب عليهم فهمها ، فيروى عن المدائني قال : قدم أعرابي الشام فكلمه رجل وسأله عن

---

52 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ص ٣٦١ – ٣٦٣ .

53 – المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ .

54 – المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ .

55 – المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

56 – المصدر نفسه ، ص ص ٣٧٨ ، ٤٠٨ .

57 – الخَمِيصة : كساء اسود مربّع له علمان فان لم يكن له معلما فليس بخميصة ، انظر : ابن منظور ، لسان ، ج٤ ، ص ٢١٩ .

58 – ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٤٩ .

59 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ص ٣٦٥ – ٣٦٦ .

حاجته وحين رد عليه الأعرابي ظن الشامي إن الأعرابي يشتمه فاشتكاه للقاضي والذي بدوره لم يستطع فهم الأعرابي فما كان من مسلمة إلا إن عرفهم بمعاني العبارات التي يقولها الأعرابي فأطلق سراحه لذلك ، وقد وصل مسلمة الأعرابي وأعطاه مؤنته وما يكفيه [٦٠].

وقال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثني ابن عائشة قال : قال مسلمة لنصيب الشاعر : أمدحت فلانا – يعني رجلا من أهل بيته-؟ قال له: قد كان ذلك . قال : أوحرمك ؟ قال: قد كان ذلك . قال : أفلا هجوته؟ قال : لم افعل. قال : ولم؟ قال : لأني كنت أحق بالهجاء منه إذ وضعت مدحي في مثله ، فأعجب مسلمة قوله فقال له : سلني ! قال : لا ، فان كفك بالجزيل أكثر من مسألتي باللسان . فأعطاه ألف دينار [٦١]. وقال سعيد بن عبد العزيز التنوخي: أوصى مسلمة بثلث ماله لطلاب الأدب . وقال : إنها صناعة مجفو أهلها [٦٢]، وقال الدسكري : أوصى بثلث ثلثه [٦٣]. كذلك عرف عنه حبه للأدب ومجالسته للأدباء ، يروي المدائني عن عامر بن حفص قال : قال أبو نخيلة السعدي : دخلت على مسلمة بن عبد الملك فقلت :

أمُسلِمَ يا مَنْسوبَ كُلِّ خَليفة	ويا فارسَ الهَيجا ويا جبلَ الأرْضِ
تُلاقِيني لَمَّا أتيْتُكَ عارِياً	بِغَيرِ لِحافٍ سابغِ الطَوْلِ والعَرَضِ
وأنْبَهتَ لي ذِكري وما كان خَاملا	وَلكِن بَعْضَ الذِّكرِ أنْبَهَ مِنْ بَعْضِ

فقال : أين أنت من الرجز يا أخا بني سعد ؟ فقلت : أنا ارجز الناس . قال : فأنشدني بعض رجزك . فاذهب الله عني كل ما كنت أحفظه مما قلت، فأنشدته أرجوزة للعجاج[٦٤] ، فلما

---

60 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ص ٣٥٩ – ٣٦٠ .

61 – القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت: ٣٥٦هـ /٩٩٦م) ، كتاب ذيل الامالي والنوادر ، دار الكتاب العربي : بيروت ،ب. ت ، ص ٢٢٠. انظر أيضا :الذهبي ، محمد بن احمد (ت:٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي : بيروت ، ١٩٨٧م ، ج٧ ، ص ٤٦٩.

62 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٤٤ ، انظر أيضا : الذهبي ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩ .

63 – ابن عساكر ، المصدر السابق ، ص ٤٤ .

64 – هو العجاج واسمه عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر وسمي العجاج لبيت شعر قال فيه حتى يعج ثخنا من عجعجا ، انظر : العجاج ، عبدالله بن رؤبه . ديوان العجاج رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي ، تحقيق الدكتور عبدالحفيظ السطلي ، ج٢ ، مكتبة أطلس : دمشق ،١٩٧١م ، ص١١. انظر أيضا : ابن عساكر ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن (ت: ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر زيدان (ت : ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي :دمشق ، ١٩٨٧م ، ج٧ ، ص ص ٣٩٧ – ٣٩٩ .

أمعنت فيها قال: حسبك! أنا اعلم بها منك ، واعرض عني فظننت انه مقتني على كذبي إياه[٦٥]. الرواية هذه تعطينا كذلك إشارة واضحة لعلم مسلمة بالأنساب وبالأدب عامة .

وكان كريما ليس بماله فقط وإنما بأخلاقه واحترامه للخلفاء وآل بيته . فقد روي ابن عيينة عن أبيه قال : سمعت مسلمة بن عبد الملك يقول : لو رأيتني أنا وعمر بن عبد العزيز ننتهي إلى الزرع فيقحم فرسه واكف فرسي[٦٦].

وفي كرمه يقول جرير[٦٧] :

مَسلَمُ جَرّارَ الجُيوشِ إلى العِدَى ... كما قَادَ أَصْحَابَ السَّفِينةِ نُـوحُ

يَداكَ : يَدٌ تُسقِي السَّمامُ عَدُونَا ... وَأُخرى بريّانِ السَّحابِ تَفُـوحُ

ومن عظيم كرمه انه عرض على عمر بن عبد العزيز أن ينفق على أولاده من بعده. فيروي لنا المدائني فيقول : إن مسلمة قال لعمر بن عبد العزيز : أوص . فقال : مالي مال أوصي به . قال : فانا آتيك بمائة ألف درهم توصي فيها فما أحببت . قال: أفلا تفعل خيرا من ذلك، تردها إلى موضعها الذي أخذت منه. قال : رحمك الله يا أمير المؤمنين فقد لينت منا قلوبا قاسية ، وزرعت لنا في قلوب الناس المحبة ، وأبقيت لنا في الصالحين ذكرا [٦٨].

وروى شيخ من باهلة قال : " كان مسلمة بن عبد الملك إذا كثر عليه أصحاب الحوائج، وخاف أن يضجر قال لأذنه : ائذن لجلسائي فيأذن لهم ، فيفتنّ في محاسن الناس ومروءتهم ، فتطرب لها ويهتاج عليها ويصيبه ما يصيب صاحب الشراب ، فيقول لأصحابه : ائذن لأصحاب الحوائج ، فلا يبقى احد إلا قضيت حاجته "[٦٩].

وكان مسلمة معروفا بحبه للطعام ، فقد ذكر زهير بن معاوية انه رأى مسلمة يأكل بأربع أصابع [٧٠] . وكان كثير الإنفاق على الطعام فقد بلغ الخليفة عمر بن عبد العزيز إن مسلمة بن عبد الملك كان ينفق كل يوم على مائدته ألف درهم ، فأرسل إليه وسأله أن يتغدى عنده ، أمر الخليفة طباخه بأطعمة كثيرة وباتخاذ العدس والبصل والزيت ، وهذا كان أكثر طعام عمر بن عبد العزيز . ثم أوصى طباخه فقال له : إذا جاء مسلمة وقدمت المائدة فابدأ بالعدس ثم قدم ما بدالك . ، فلما جاءه مسلمة للغداء ظل عمر يحدثه ويطيل في الحديث ويسأله أخبار الروم حتى انتصف النهار ، فجاع مسلمة جوعا شديدا فأمر الخليفة بالطعام فابتدأ بالعدس والبصل والزيت ، فأكل مسلمة من العدس حتى شبع ، ثم قدمت الألوان بعد

---

65 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦٣ .

66 – الذهبي ، تاريخ ، ج٧ ، ص ٤٦٩ .

67 – ناصر الدين ، مهدي محمد ، شرح ديوان جرير ، دار الكتب العلمية :بيروت ، ١٩٨٦ ، ص ٧٩.

68 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

69 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٤١ .

70 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .

ذلك فلم يأكل منها مسلمة شيئا . فقال له عمر : كل يا أبا سعيد ! ما بالك قد رفعت يدك ؟ فقال : قد شبعت يا أمير المؤمنين . فقال عمر : يا سبحان الله ! فأنت تشبع من عدس لعله إنما يقوم علينا بدرهم واحد ، وينفق على مائدتك كل يوم ألف درهم ، اتق الله أبا سعيد ولا تكن من المسرفين واجعل نفقة مائدتك في بطون جائعة، فإنه اقرب لله عزوجل . فقال مسلمة : افعل ذلك يا أمير المؤمنين ولا اعصي لك أمرا ، وانصرف مسلمة إلى منزله [٧١].

وعرف بني أميه مسلمة بن عبدالملك بحكمته ورجاحة عقله ، وكان ميمون النقيبة [٧٢] ، فاتخذه الخلفاء مستشارا لهم ، صحبهم في الكثير من المجالس وعالج الكثير من القضايا التي مست البيت الأموي والتي سنفصل فيها لاحقا في هذا الفصل إن شاء الله تعالى .أما صاحب الأغاني فيذكر لنا مقولة مسلمة هذه بعد وفاة عمر بن عبد العزيز حيث يروى إن مسلمة وقف على قبر عمر بن عبد العزيز وقال : " رحمك الله يا أمير المؤمنين فقد أورثت صالحينا بك اقتداءا وهدى ، وملأت قلوبنا بمواعظك وذكرك خشية وتقى ، وأثلت لنا بفضلك شرفا وفخرا وأبقيت لنا في الصالحين بعدك ذكرا "[٧٣] .

و مسلمة كان رجلا عسكريا لا يقبل في المواقف إلا أحسنها، وفي هذا يقول : ما أخذت أمرا قط بحزم فلمت نفسي فيه ، وان كانت العاقبة علي ؛ ولا أخذت أمرا قط وضيعت الحزم فيه وان كانت لي العاقبة . وسأل هشام بن عبد الملك أخاه مسلمة يوما فقال : هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ فأجابه مسلمة : ما سلمت من ذلك من ذعر نبه علي حيلة ، ولم يغشني ذعر سلبني رأيي . قال هشام : هذه والله البسالة [٧٤].

وعرف عن مسلمة بن عبد الملك بأخلاقه النبيلة مع خصومه و التي تعكس لنا أخلاق فارس كريم نبيل مع خصومه ، ففي حادثة يزيد بن المهلب نجده يتراجع عن يمينه في سبي نساء آل المهلب وعبيدهم ، بل إن ابن عبد ربه يذكر انه لم يعرض للنساء بعد مقتل رجال آل المهلب وإنما بعث بالعيال والأسرى لأخيه يزيد بن عبد الملك[٧٥]. فقد كان مسلمة عارفا بالمكانة التي كانت لآل المهلب في الدولة الأموية ويتضح ذلك من نهره لابن أخيه العباس بن الوليد الذي كان ينتقص من يزيد بن المهلب وأخوته وكان مسلمة يكره منه هذا التصرف ولهذا كان يؤنبه دائما .وقد ورد إن رجلا من أهل الشام شتم يزيد بن المهلب فقال له مسلمة :

---

71 – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٣١ . انظر أيضا لتفاصيل حياة عمر بن عبدالعزيز : حمزة ، عفت وصال ، سيرة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين، دار ابن حزم : بيروت، ١٩٩٨ ، ص ١٣٧ .

72 – الذهبي ، سير ، ج٥ ، ص ٢٤١ .

73 – الأصفهاني ،المصدر السابق ، ج٨ ، ص ١٥١

74 – ابن عبد ربه ، المصدر السابق، ج١ ، ص ص ٦٦ ، ٧٦ .

75 – المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٠٩ .

اسكت ! أتقول هذا لرجل سار إليه قريعا من قريش ؟ إن يزيد حاول أمـرا جسيما ومـات كريما [٧٦] .

وكان مسلمة بن عبد الملك عربيا حريصا على مكارم الأخلاق ، حريصا على سـلامة اللغة ، فيروي البلاذري فيقول :" حدثني العمري عن الهيثم بن عدي عن هشام التنوخي قال: كنا مع مسلمة بأرمينية أيام هشام بن عبد الملك فعرض الناس فمر رجل ضخم ، فأُبلغ عنـه أمرا وجب عليه عقوبته ، فقال له : ما اسمك . قال : عبد الله بن عبد الرحمن . قال : ممـن أنت ؟ قال : من بنو تغلب . قال ارجع وأمر بضربه ، فلما ضرب سوطا قـال : بـسم الله . قال مسلمة : خلوا عنه قبحه الله ، فلو ترك اللحن في حال لتركه تحت السياط [٧٧].

ومن عنايته باللغة العربية وكريم تربيته على ذلك ما يرويه عوانة بـن الحكـم حيث يقول: تكلم قوم فأكثروا الخطأ والخطل ، ثم أتاهم رجل بليغ فجعل لا يخرج من لفظ حسن إلا إلى أحسن منه ،فقال مسلمة:ما شبهت كلام هذا في اثر كلام القوم إلا بسحابة لبدت عجاجا[٧٨]. ويروي لنا البلاذري هذه الحادثة عن هشام بن عمار الدمشقي عن مدرك بن حجوه إن قومـا دخلوا على الوليد وعنده أخوه مسلمة فشكوا أمرا من أمرهم ، فلم يبينوا ولا أحسنوا العبـارة عما في أنفسهم. فتكلم رجل منهم فأفصح وأوضح وعبّر عن نفسه وعن القوم ، فقال مسلمة : ما شبهت كلام هذا الرجل في ثر كلام القوم إلا بسحابة لبدت عجاجا " [٧٩]. ويؤثر عن مسلمة قوله : اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه [٨٠].

وكان مسلمة بالرغم من طبيعته العسكرية رجلا قديرا عطوفا ، محبـا للخيـر ، يحبـه الناس ويتذاكرون مناقبه . روى المدائني قال : كان لمسلمة صديق وأليف يقال لـه شـراحيل فمات فجزع عليه مسلمة جزعا شديدا ، وخرج فصلى عليه فأتاه عبد الله بـن عبـد الأعلـى الشيباني فعزاه فبكى وقال :

وهوّن وجدي عن شراحيل إنني إذا شئت لاقيت أمرا أمات صاحبه[٨١]

وفي قصة حصار مسلمة لأحد الحصون بأرض الروم أيـضا تبيانـا لكـريم أخلاقـه واختياره لصحبه ، فقد حاصر مسلمة حصنا فندب الناس إلى نقب منه فما دخله احد . فجـاء رجل من وسط الجيش فدخل ففتحه الله عليهم . فنادى مسلمة : أين صاحب النقب ؟ فما جـاء

---

76 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦١ . سنفصل لاحقا في هذه الحادثة في الفـصل الثـاني عنـد الحديث عن ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .

77 – المصدر نفسه ، ص ٣٦٠ .

78 – المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

79 – المصدر نفسه ، ص ٩٢.

80 – ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ، عيون الأخبار ، دار الكتاب العربي : بيـروت ، ب . ت ، ج ٥ ، ص ١٥٨ .

81 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .

أحد. فنادى : إني أمرت الإذن بإدخاله بأي ساعة يأتي . فعزمت عليه إلا جاء. فجاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير . فقال له :أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأذن له فقال له : إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا : ألا تسودوا اسمه في صحيفة إلى الخليفة ، ولا تأمرون له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو ؟ قال مسلمة : فذلك له .قال : أنا هو . فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاه إلا قال : اللهم اجعلني مع صاحب النقب [82]. وميزة اختيار الأصحاب والرفقاء لا يجيدها الكثير من الناس .

ومن كرم شمائله انه قد بلغه إن رجلا شتمه ، وعلم الرجل فانقبض عن إتيانه ، وسال مسلمة عنه فاتاه وأجاد الاعتذار إليه فقال مسلمة : اللهم عفوا عن هذا رحمك الله ، ولم ير منه تغيرا له . وشتم مسلمة قوم من أهل الأردن وبلغه ذلك فبعث إليهم وأعطاهم وكساهم وكتب إلى الوالي يأمره بالإحسان إليهم[83] .

كما إننا نجد بعض المؤرخين يشير لصفة في مسلمة هي التنبؤ[84] ، وان كنا لا نميل إلى الاحتكام إليها لغياب الموضوعية منها ، كما إن المصادر الأولية لا تشير إلى مثل هذه الروايات والتي لا تتطبق مع تدين مسلمة بن عبدالملك وتقواه، إن علمنا إن التنبؤ أو التنجيم لم ينزل الله بهما من سلطان .

ومن أقواله الدالة على غزارة علمه ومحبته للعلم والعلماء ، و مجالستهم ، ما يرويه يحيى بن عبيد الله بن قزعة عن أبيه حيث يقول : سمعت مسلمة بن عبد الملك يقول : الأنبياء لا يتثاءبون، ما تثاءب نبي قط . وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : قال مسلمة بن عبد الملك: أليس قد أمرتم بطاعتنا ؟ يعني (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)[85]. قال : قلت : إن الله قد انتزعه منكم إذ خالفتم الحق . قال الله تعالى : (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ)[86] ، قال : فأين الله ؟ قلت : الكتاب . قال : فأين الرسول ؟ قلت : السّنة .

---

82 – ابن قتيبة ، عيون ، ج٢، ص ١٧٢ ، انظر أيضا : ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٣٦ .

83 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦٢ .

84 – فقد روي عنه تنبؤه بنهاية حكم بني أميه وقيام دولتهم في الأندلس بقيادة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . فقد أثر إن مسلمة كان يوصي هشام بحفيده عبد الرحمن ويقول : إليه يفزع كل بني أمية . ويذكر ابن عساكر إن خالد بن يزيد ومسلمة بن عبد الملك مرنان بمعرفة الأحداث لأنهما ماشيا أهل العلم بالكتب القديمة ' لمزيد من التفاصيل راجع :كرم، كرم ملحم ، صقر قريش قصة وتاريخ ، ط٢،دار مكتبة الحياة:ب.م،١٩٦٠م، ص ١٢ ، وكذلك : الحايك، سيمون ، عبدالرحمن الداخل صقر قريش ، ب.د:ب.م،١٩٨٢ ، ص ص ٥-٧ .

85 – الآية ٥٩ من سورة النساء.

86 – نفس الآية .

وجاء لدى ابن منظور من رواية ابن عيينة قوله : " كان مسلمة بن عبدالملك عربيسا ، وكان يقول في خطبته : إن اقل الناس في الدنيا هما ، أقلهم حَمًّا أي مالا ومتاعا "[٨٧]. ونجد الرواية مختلفة قليلا لدى ابن عساكر حيث يروي عن مسلمة قوله : " إن اقل الناس هما في الآخرة ، اقلهم هما في الدنيا . وقال : ما أحمدت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز، ولا لمتها على مكروه ابتدأته بحزم . وقال : مروءتان ظاهرتان الرياس والفصاحة [٨٨].

ولم تكن مجالس مسلمة تخلو من الأدباء والعلماء . قال ابن عياش : " قال مسلمة لجلسائه أي بيت من الشعر أحكم قالوا :

الذي صبا ما صبا   حتى علا الشيب رأسه[٨٩]

قال مسلمة : إنه والله ما وعظني شعر قط ما وعظني شعر ابن حطان حين يقول :

أَفِي كُلِّ عَامٍ مَرْضَةٌ ثُمَّ نَقْهَةٌ   وتَنْعَى ولا تُنْعَى متى ذا إلى متى

فَيُوشِكُ يومٍ أو يُوافِقُ لَيْـلَـةً   يَسُوقَانِ حَتفًا رَاحَ نَحْوَك أو غَدَا

فقال له رجل من جلسائه : إني والله ما سمعت بأحد اجل الموت ثم أفناه قبله حيث يقول :

لَمْ يُعْجِزِ المَوتَ شيءٌ دونَ خَالقِهِ   فَـانِ إذا مَا نَـالَـهُ الأَجَـلُ

وكُلُّ كَرْبٍ أمامَ المَوتِ مُتَّضِعٌ   لِلْمَوتِ والمَوتُ فيما بعدَه جَلَلُ " [٩٠].

وكان مسلمة بن عبدالملك من تلاميذ عبدالاعلى بن عبدالله بن عامر[٩١] ، حيث يقول مسلمه في ذلك إني لانخي كور العمامة عن أذني لأسمع كلام عبدالاعلى[٩٢].

وذكر أبو محمد عبد الله بن سعيد القنطري عن الواقدي – يعني – في غزوة الطوانة قال : " قيل لمسلمة بن عبد الملك إن القعقاع بن خليد العبسي هو الذي منع العباس بن الولي ابن عبد الملك من تعظيمه فقال لأعشى تغلب – وكان معه – اهج بني عبس ببيتين لا تزد عليهما ، فقال :

تعلم عبس مشية قرشية   تلوي بها استاهها ما تجيدها

---

87 – ابن منظور ، مختصر ، ج٣ ، ص ٣٤٤ .

88 – ابن عساكر، تاريخ،ج٥٨،ص ص ٤٠ – ٤١.انظر أيضا : ابن قتيبة ، عيون ، ج٣ ، ص ٢٩٦ .

89 – أرادوا انه لما علاه قال للباطل ابعد .

90 – ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص ص ٤٣٣ – ٤٣٤ .

91 – هو عبدالاعلى بن عبدالله بن عامر بن كريز أبو عبدالرحمن البصري ، روى عن عثمان بن عفان وعبدالله بن الحارث بن نوفل وصفية بنت شيجة . وعنه روى خالد الحذاء والحارث بن عبدالرحمن والحسن بن القاسم الازرقي وعمرو بن الاصبغ ومخلد والد أبي عاصم ، ذكره خليفة بن خياط في الطبقة الرابعة من تابعي أهل البصرة ، وذكره ابن حبان في الثقات وكان جوادا ، انظر : ابن حجر ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٥ .

92 – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت:٨٦٨هـ/١٤٦٣م) ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، ط٢، دار الجيل :بيروت:ب.ت ، ج١ ، ص ٣٤٤ .

فآخر عبس في الحديث نساؤها وأول عبس في القديم عبيدها "[٩٣].

جميع هذه الأقوال تعكس لنا شخصية رجل حكيم متدين ، له في المواقف مناقب كثيرة ، كذلك تعطينا صوره واضحة عن ماهية العلوم التي تلقاها في صغره وشبابه في حياة والده عبد الملك بن مروان .

ومن طريف ما أجاب به مسلمة بن عبد الملك ملك الروم حين سئل : ما تعدّون الأحمق فيكم ؟ قال مسلمة : الذي يملا بطنه من كل ما وجد [٩٤].قال الاوزاعي : لما غزا مسلمة بن عبد الملك الروم أخذه صداع شديد ، فبعث إليه ملك الروم بقلنسوة ، فقال : ضعها على راسك فإنها تذهب بصداعك . فقال : مكيدة . فاخذ فوضعها على بعض البهائم فلم ير إلا خيرا ، ثم أخذها فوضعها على رأس بعض أصحابه فلم ير إلا خيرا ،ثم أخذها فوضعها على رأسه فذهب الصداع عنه ، فأمر بها ففتقت ، فإذا فيها كتاب فيه سبعون سطرا هذه الآية مكرره : (إنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً) [٩٥]. إن هاتين الروايتين تدلاننا إن صيت مسلمة وسمعته كانت حسنه ليس بين العرب وحدهم بل بين الروم أنفسهم ، وإلا لما أرسل ملك الروم بالقلنسوة ولما همه أن يشفى صداع مسلمة أو لا . كذلك فإننا لندرك إن العلاقات بين الملوك حتى أثناء الحرب تحكمها الأخلاق العسكرية والاحترام المتبادل بين الطرفين وهذا حتما ما كان بين مسلمة بن عبد الملك وخصومه من الروم ، إذ إن مسلمة كان القائد الأشهر في جبهة الروم لعهود طويلة ، وان كنا أدرجنا هذه الرواية هنا فانا نتحفظ على صحتها لأنه من غير المعقول أن يرسل ملك الروم قلنسوة لأمير عربي مسلم تحوي آيات قرانيه ، فهذا مما لا يقبل العقل إذ كيف يكون لدى ملك الروم النصراني مثل هذه القلنسوة التي تحوي آية كريمة من القران ، إلا إن لها دلالات سياسيه واضحة كما أسلفنا.

وشهرة مسلمة وصيته وصلت حتى العصر العباسي فيروى إن الرشيد أجزل على إبراهيم الموصلي بالعطايا ومن جملتها كان إجلاسه له في إيوان مسلمة بن عبد الملك بالشام. جاء في الخبر عن محمد بن فريد قال : " حدثنا حماد بن اسحق عن أبيه عن جده قال : خرجت مع الرشيد إلى الشام لما غزا ، فدعاني يوما فدخلت إليه إلى مجلس لم أر أحسن منه، مفروض بأنواع الرخام ، فأكل وأمرني فأكلت معه وجعلت أتولى خدمته إلى العصر ، ثم دعا بالنبيذ فشرب وسقاني منه ، ثم خلع علي خلعة وشيء من ثيابه وأمر لي بألف دينار ثم

---

93 – ابن العديم ، الصاحب كمال الدين عمر بن احمد(ت : ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، حققه وقدم له الدكتور سهيل زكار ، مطابع البعث : دمشق ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، ج٨ ، ص ٣٦٢٠ .

94 – ابن عبد ربه، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٣٠ .

95 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ص ٣٦– ٣٧ . الآية ٤١ من سورة فاطر .

قال : انظر يا إبراهيم ، كم من يد أوليتك إياها اليوم ! نادمتني مفردا وأكلتني ، وخلعت عليك ثيابي من بدني ، وحملتك وأجلستك في إيوان مسلمة بن عبد الملك تشرب معي . فقلت : يا سيدي ما ذهب على شيء من تفضلك ، وان نعمك على لأكثر من أن تحصى . وقبلت رجل والأرض التي بين يديه " [96].

كل هذه الصفات جامعه جعلت الإمام الذهبي يرى انه كان أولى بالخلافة من سائر إخوته [97]. وفيه يقول أبو نخيلة [98]:

أمُسلِمَ إني يا ابن خير خَليفةٍ	ويا فارسَ الدنيا ويا جبلَ الأرْضِ
شكرتك إن الشكر حبل من التقى	وما كُل من أوليتهُ نعمةً يَقضِي
وألقيتُ لما جئتُ بابكَ زَائِـرًا	رَوَاحًا مَديدًا سَامِقَ الطَّوْلِ وَالعَرْضِ
وأَنْبَهتَ لي ذِكري وما كان خَاملا	ولَكِن بَعْضَ الذِّكرِ أَنبَهَ مِنْ بَعْضِ

وقال الجاحظ عنه : " ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام " [99].

كما مدح العجاج مسلمة بن عبدالملك بأبيات رائعة ، يقول في بعضها [100]:

من داء صدري بعدما طنيت	مثل طنى الآسن وما ضنيت
أو صاحب السهم وما رميت	مسلم لا أنساك ما بقيت
فضلك والعهد الذي رضيت	لو اشرب السلوان ما سليت
ما بي غنى عنك وان غنيت	لو إنني صممت أو عميت
إن أنا لم أصدقك ما لقيت	من كرب فوت الردى رديت

يقول نبيه عاقل في هذا الموضوع : " ... وكان التقليد حتى الآن أن لا يكون الملك لابن جارية ... وهذا مسلمة بن عبد الملك رغم بلائه وبطولاته لم يستطع أن يصل إلى العرش لأنه ابن جارية ... " [101] . وذات النتيجة ينقلها نبيه عاقل عن الأصمعي فيقول : " كانت بنو أمية لا تبايع لبني أمهات الأولاد . فكان الناس يرون إن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون إن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد . فلما ولي الناقص ظن

---

96 – الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٣ .

97 – الذهبي ، سير ، ج٥ ، ص ص ٢٤١ – ٢٤٢ .

98 – ابن المعتز ، عبدالله بن المعتز بن المتوكل (٨٦١–٩٠٨هـ) ، طبقات الشعراء ، تحقيق عبدالستار احمد الفراج ، دار المعارف : ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ٦٤ . يذكر الإمام الذهبي البيت الأخير فيقول :" وأحسنت ذكري " ، انظر الذهبي ، المصدر السابق، ج٥ ، ص ٢٤٢ .

99 – الجاحظ ، المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٩ ، انظر أيضا :الناطور ، شحاده ، تجديد الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٩هـ/٦٨٥م – ٨٦هـ/٧٠٥م) ، دار الكندي للنشر والتوزيع : اربد،١٩٩٦م / ١٤١٦هـ ، ص ١٧٨ .

100 – العجاج ، المصدر السابق ، ص ص ١٨٢–١٩٤ .

101 – عاقل ، نبيه، خلافة بني أمية ، ط٣ ، دار الفكر: دمشق، ١٩٧٥، ص ٣٣٧

الناس انه الذي يذهب ملك بني أميه على يديه ، وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى ، فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ووثب مكانه مروان بن محمد وأمه كردية فكانت الرواية عليه. ولم يكن لعبد الملك ابن أسدّ رأيا ولا أذكى عقلا ولا أشجع قلبا ولا اسمح نفسا ولا اسخى كفا من مسلمة ، وإنما تركوه لهذا المعنى " [١٠٢].

وعلينا الوقوف طويلا أمام مسالة تولي مسلمة الخلافة وعدمها بسبب انه ابن جارية . والمقارنة دائما ما تتم بين مسلمة ومروان بن محمد في هذا الشأن ، وعلى الرغم من إن الكثير من الدراسات وضحت إن احد أسباب سقوط الدولة الأموية تولي مروان بن محمد وهو ابن أمه للخلافة إلا انه يتوجب علينا التأكيد إن مروان بن محمد وصل إلى الخلافة بقوة الجيش الذي جاء به من الجزيرة الفراتية[١٠٣] ، وليس بجيش الشام وعرف عن مروان تطلعاته السياسية منذ عهد هشام بن عبد الملك، ولكن مسلمة بن عبد الملك لم يؤثر عنه أي اتجاه للسلطة السياسية أو حتى الرغبة فيها ، باستثناء ابن أعثم الكوفي يورد لنا رواية ينفرد بها بعد وفاة الوليد بن عبدالملك ، حيث وصله كتاب من أخيه سليمان يطلبه في الشام ، فخطب مسلمة في الناس يعلمهم بخبر وفاة الوليد وتولي سليمان الأمر ، فقال له الناس :"هلم أيها الأمير حتى نبايعك ،فأنت أحق بهذا الأمر،فقال مسلمة:مهلا عافاكم الله!فاني رجل قد بلغ الناس عني ما قد فعلت بأرض العدو طول هذه المدة،ولا أحب أن اشق العصا واخرج على رجل قد بايعه الناس طائعين غير مكرهين،وإنا قد بايعت أخي سليمان فبايعوه رحمكم الله" [١٠٤]. ويقول محمد كرد علي في هذا الشأن : "ومن المتعذر في ساعة ضيقة كهذه أن نتناول الكلام على رجال القوم– رجال بني أمية – ونذكر بعض من المزايا النادرة ، ونحن لذلك نكتفي بالإشارة إلى واحد منهم ... ونعني به مسلمة بن عبدالملك . فقد كان على جانب عظيم من العقل والسياسة والعلم والأدب . غزا الروم غير مرة وأثخن فيهم ، وفتح الأمهات من مدائنهم وتولى الأعمال الجليلة ... ولولا انه ابن امة لكان من المتحتم أن يجلس على عرش الخلافة الأموية كسائر إخوته ... " [١٠٥].

---

102 – ابن عبد ربه ، المصدر السابق، ج٦ ، ص ١٠١ .

103– فوزي، فاروق عمر، الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي ٤١هـ/٦٦١م – ٣٣٤هـ / ٩٥٦م : دراسة تاريخية، دار مجدلاوي:عمان، ٢٠٠٥م ، ص ٧٢ .

104 – ابن اعثم، المصدر السابق ،ج٤، ص ٢٢٦ .

105 – علي ، محمد كرد ، مميزات بني أمية ، مجلة المجمع العلمي العربي ، ج١٠ ، دمشق : شوال ١٣٠٠هـ / تشرين الأول ١٩٤١م ، ص ص ٤٥١ – ٤٥٢ ، لمزيد عن المعلومات حول هذه المقالة انظر ملحق رقم (٢) الذي يحوي المقالة كاملة .

ثالثا : أبناؤه وزوجاته :

كان لمسلمة بن عبد الملك من الأبناء الكثير سواء كانوا لأمهات حرات أو أبناء إمــاء . كذلك اشتهر من أحفاده الكثير ممن عرفوا بالورع والتقوى . ومثلمــا رأينــا مــن انعكــاس شخصية والده عبد الملك بن مروان عليه ، فكذلك انعكست شخصية مسلمة بن عبد الملك في الكثير من أولاده ممن وصلتنا أخبارهم . ومن أبنائه الذين كان لهم ذكر في كتب المؤرخين :

١- **أبان بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان** : من ولده عبد العزيز بن هارون بن القاسم بن محمد بن محمد بن إبان بن مسلمة بن عبد الملك . سكن الثغور ودخل إلى الحكــم المستنصر[١٠٦] .

٢- **إبراهيم بن مسلمة بن عبد الملك** : قتل يوم فطرس[١٠٧] وله ذكر[١٠٨].

٣- **إسحاق بن مسلمة بن عبد الملك** : ومن ولده علي بن عاصم ابن أبي العاص بــن اسحق بن مسلمة بن عبد الملك، محدث[١٠٩] ، من أهل دمــشق حــدث بمــصر ، يعرف بابي الحسين الأموي ، قدم مصر سنة ٢٦٤هـــ ، ونزل في دار نصر التـــي يباع فيها الجوهر . روى عن عامر بن يسار التميمي ، وروى عنه احمد بن محمد بن الحجاج بن رشديد[١١٠].

٤- **سعيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان** : وهو اكبر مسلمة بن عبد الملك ويكنى به ، ويسمى سعيد الكبير وأمه أم ولد[١١١].

٥- **سعيد بن مسلمة الأصغر** : أمه الزعوم بنت قيس بن محمد بن الأشعث بــن قــيس الكندي[١١٢] .

106- ابن حزم ، أبو محمد علي بن احمد سعيد (ت:٤٥٦هـ/١٠٦٣م) ، جمهـرة أنـساب العـرب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف : القاهرة ،١٩٨٢هــ ، ج١ ، ص ١٠٤ .

107 – يوم فطرس هو اليوم الذي قتل فيه عبداله بن علي العباسي الأمويين ، إذ يروى انه بعــد مقتــل مروان بن محمد جمع عبدالله بن علي بني أميه بالقرب من نهر أبي فطرس وهــو بــين فلــسطين والأردن، وأمر بني أميه أن يغدوا إليه لأخذ الجوائز والعطايا ، فدخل عليه ثمانون رجل مــن بنــي أميه وأقام عبدالله بن علي على رأس كل رجل منهم رجلين ،وحين قتلــوا أمــر الــسفاح فــسحبوا وطرحت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام فأكل ، وكان هذا فــي عــام ١٣٢هـــ/٧٤٩م، للتفاصيل راجع : اليعقوبي ، م٢، المــصدر الــسابق، ص ص ٣٥٥ – ٣٥٦ . انظــر أيــضا : المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت : ٣٤٦هــ / ٩٥٧م) ، مــروج الــذهب ومعــادن الجوهر ، شرح وضبط عفيف نايف حالوم ، دار صادر : بيروت ، ٢٠٠٥ ، ج٣ ، ص٥٧) .

108 – ابن حزم ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٣ .

109 – المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .

110 – المنجد ، المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

111 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦٣ .

٦- **شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك :** كان مع إبراهيم الإمام بحـران وسـمم معـه ، وماتا جميعا في سجن مروان [١١٣]. وقيل هو شراحيل بن معاوية بن هشام بن عبد الملـك بـن مروان واغلب المصادر والمراجع تضعه باسم شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك ومن ثم تورد القول بأنه شراحيل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، قال المهلهل بن صفوان :" كنت اخدم إبراهيم بن محمد في الحبس ، وكان معه في الحبس عبد الله بن عمـر بـن عبـد العزيز وشراحيل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وكانوا يتزاورون . وكان بـين إبـراهيم وشراحيل ود . فأتي إبراهيم يوما رسول بلبن فقال له : يقول لك أخوك شراحيل : إني شربت من هذا الليل فاستطبته فأحببت أن تشرب منه ، فتناوله فشرب فتوصب من سـاعته وتكـسر جسده . وكان يوما يأتي إبراهيم فيه شراحيل فأبطأ . أرسل إليه شراجيل : جعلت فداك ! قـد أبطأت في حبسك ؟ فأرسل إليه : إني لما شربت من اللبن الذي أرسلت به إلي أخلفتني . فاتاه شراحيل مذعورا فقال : لا والله الذي لا اله إلا هو ، ما شربت اليوم لبنا ولا أرسلت به إليـك فانا لله وإنا إليه راجعون ، لقد احتيل عليك والله ، فوالله ما بات إلا ليله وأصبح من الغد ميتـا "[١١٤] . وذكر مخلد بن محمد بن صالح انه شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك ، وذكر انه هرب من سجن مروان فقتله أهل نجران [١١٥].

٧- **محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان :** كان مع والـده أثنـاء حـصار القسطنطينية في الجيش الذي خرج إليها من دمشق في سنة ٩٧هـ/٧١٥م ، وجعله أبوه على ميسرته في بعض الحروب التي جرت بينه وبين الروم في تلك الغزوة [١١٦]. كان مـن أجمـل الناس وأشجعهم . شهد مع مروان بن محمد يوم التقى مع عبد الله بن علي بن العباس . وقيل انه كان صديقا لعبد الله فأمنه ولحق به ، ولكنه لما رأى فعل أهل خراسان بأهل دمشق حميت نفسه وقال :

ذل الحياة وخزي الممات	فكـلا أراه شـرابـا وبيـلا
فان كان لابد احدهما	فسيرا إلى الموت سيرا جميلا

ثم لحق بمروان وبقي معه حتى قتل . ومن ولده الحصني الشاعر الذي سيأتي ذكره تاليا .

---

112 – المنجد ، المرجع السابق ، ص ١٣٠.

113 – الطبري ،المصدر السابق،ج٤،ص ص ١٥٢٩ – ١٥٣٠.انظر أيضا:المنجد ، المرجـع الـسابق، ص ١٣٠ .

114 – الطبري،المصدر السابق، ص ١٥٣٠، انظر أيضا:ابن منظور، مختصر ، ج١٠ ، ص ٢٨٦ .

115 – المنجد ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

116 – المرجع نفسه ، ص ص ١٥٥ – ١٥٦ .

٨- **مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك :**

ويقال هو مسلمة بن يعقوب بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك . وهو الذي وثب على أبي العميطر علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية[١١٧] وخلعه من الخلافة . وبايع لنفسه بدمشق أيام المأمون سنة ١٩٨هـ ومات بالمزّه [١١٨].

٩- **يزيد بن مسلمة بن عبد الملك** ، وله ذكر [١١٩]. ومن أبنائه الاصبغ محمد ابن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك المعروف بالحصني وهو من أهل حصن مسلمة [١٢٠] . وقيل أنه كان ينزل حصن مسلمة بديار مضر فنسب إليه وهو شاعر محسن [١٢١] . يروى انه لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفتخر فيها بابيه طاهر ويذكر شجاعته ويفتخر بأجداده مصعب وزريق وغيرهما وهي التي يقول فيها :

وأبي مَن لا كِفَاءَ لَهُ	مَنْ يُسَامِي مَجْدَهُ؟ قولوا
وَطحنُ المَخلوعِ كأكله	وحواليـــه المَقاويلُ
قطعــتُ عنه تَمائـمُهُ	وَهُـو مَوهوبٌ مَـأمولُ

قال أبو الاصبغ الحصني :

لا يرعكَ القَالُ وَالقِيلُ	كُلُّ ما يلفتُ تَحميـلُ
إنْ عَددْتَ العَذْلَ في أُذنٍ	أنا فيكَ الدَّهرُ مَعدولُ
أيُّها البَـادي بنِـسـبَتِه	ما لما قد قلتَ تحصيل
قَاتلُ المَخلوعِ مقتُـولٌ	ودَمُ القَـاتـلِ مَطلولُ
بِأخي المَخْلوعِ أَطلتَ يدًا	لَم يَكُن في بَاعِها طُولُ
وَبِنعْماهُ التـي كَفَـرتَ	فَعَلـتَ تِلكَ الأفَاعِيـلُ
يا ابنَ بِنْت النَّارِ يُوقِدُها	ما لِحَـاذيه سَـرَاويلُ
مَنْ حُسَيْنٍ مَنْ أَبوه مَنْ	طَاهِـرُ غَالـهم غولُ
مَنْ رُزَيقٍ إذْ تُعـدِّدُه؟	نَسَبٌ في الخَلق مَجْهولُ
تِلكَ دَعوى لا يُناسبُها	لَـكَ آبَـاءٌ أَرَاذيـلُ

---

117 – ظهر في الشام سنة ١٩٥هـ / ٨١٠م ويعرف بالسفياني فعزل نائب الشام ودعا لنفسه فأرسل الأمين جيشا فلم يقدموا عليه بل أقاموا بالرقة .انظر:ابن كثير،المصدر السابق،ج١٠،ص ٢٨٠٦ .

118 - المنجد ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .والمزه : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ، انظر : الحموي ، ياقوت بن عبدالله (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر : بيروت ، ١٩٧٩ م٥، ص١٢٢ .

119 – المنجد ، المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

120 - ابن المعتز ،المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

121 – المنجد ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

فبلغت القصيدة عبد الله بن طاهر ، فلما خرج إلى الشام جعل طريقه على حصن مسلمة عمداً، ثم مضى مع نفر من إخوانه إلى أبي الاصبغ متنكرا من حيث لا يعرفه ، فلما رآه قال له : أنت أبو الاصبغ ! قال : نعم ، قال : ما حملك على ما قلت ففي جواب عبد الله ؟ قال : وما قلت . قال عبد الله : قولك :

مَنْ حُسَيْنٍ مَنْ أبوه مَنْ　　　طَاهِرُ غَالِهم غُولُ
مَنْ رُزَيقٍ إذْ تُعدِّدُه؟　　　نَسَبٌ فِي الخَلْق مَجْهولُ

ففطن له الحصني وعلم انه عبد الله فقال : أنت حملتني على ذلك بقولك :

وأبي مَن لا كِفَاءَ لَهُ　　　مَنْ يُسَامِي مَجْدُهُ؟ قَولوا

فلما قلت قولوا لم نجد بُدّاً من أن نقول . فتبسم عبد الله وقال : صدقت وقد عذرناك وأمرنا لك بألف دينار ، ولكن لا يغرك حلمي فتعاود هجو الأمراء ، فانك لا تدري كيف يقع لعله لا يتفق لك من لا يحلم عليك . فافرغ بعد ذلك الحصني شعره في مدح آل طاهر [١٢٢] .

ثم لحق الحصني بابن طاهر إلى مصر ولم يفارقه إلى أن رجع ابن طاهر إلى العراق . وامتدح الحصني الحسن بن وهب بدمشق ، وكان الحسن يتولى الخراج فيها ، وله شعر رقيق في رثاء ابنه [١٢٣]. ودخل من ولده الأندلس محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن حامد بن موسى بن العباس بن محمد الحصني. وكان مولده بمصر ومولد أبيه بها ، وقربه الحكم المستنصر وأدناه ، ومات بقرطبة ولم يعقب [١٢٤]. يقول المسعودي : " قال كلاب بن حمزة : ولم نعلم أحدا من العرب في الجاهلية والإسلام وصف الخيل الحلبة العشرة بأسمائها وصفاتها وذكرها على مراتبها غير محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، وكان بالجزيرة الفراتية المعروفة بحصن مسلمة من إقليم بليخ من كور الرقة من ديار مضر. قوال في ذلك :

شهدنا الرهان غداة الرهان　　　بمجمعة ضمّها الموسم [١٢٥]

ولم تذكر الروايات التاريخية تفاصيل كثيرة عن زوجات مسلمة بن عبدالملك أو حتى أمهات الأولاد اللواتي كن لديه عدا أم سعيد الأصغر التي سبق ذكرها وهي الزعوم بنت قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي أم سعيد بن مسلمه الأصغر [١٢٦] . ومن زوجاته أيضا

---

122 – ابن المعتز ، المصدر السابق ، ص ص ٢٩٩ – ٣٠١ .

123 – المنجد ، المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

124 – ابن حزم ، المصدر السابق ، ج١، ص ١٠٤ .

125 – المسعودي ، المصدر السابق ،ج٤ ، ص ص ٤٧ – ٥٠ .

126 – المنجد ، المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

الرباب بنت زفر بن الحارث الكلابي. ويروى انه كان يأذن لأخويها الهذيل[١٢٧] وكوثر أول الناس ، فقال عاصم بن عبد الملك وهو أبو زفر بن عاصم الهلالي :

أمسلم قد منيتني ووعدتني ... مواعيد صدق ان رجعت مؤمرا

أيدعى الهذيل ثم ادعى وراءه ... فيالك مدعا ما لذل واحقرا

وكيف ولم يشفع لي الليل كله ... شفيع إذا ألقى قناعا ومئزرا

فلست براض عنك حتى تحبني ... كحبك صهريك الهذيل وكوثرا

فقال الهذيل :

ما فخر فخّار عليّ وإنما ... نشانا وأمّانا أمنان

أبي كان خير من أبيك وافضلت ... عليك قديما جرأتي ولساني [١٢٨].

ومن زوجاته أيضا أم سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الملقب بخذينه ، وهو زوج ابنة مسلمة بن عبد الملك ، وقد ولاه مسلمة خراسان [١٢٩]حين أعطاه أخاه يزيد بن عبد الملك إمارة العراقين بعد القضاء على يزيد بن المهلب سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م . عدا هذا لم تصلنا أي أخبار عن أسماء بناته أو أزواجهن أو غيره .

أما الجواري فلا يوجد لهن ذكرا في المصادر التاريخية ، عدا تلك التي أهداه إياها والده ، وكما تورد الرواية فإنها كانت ذات مكانة لدى مسلمة حتى وفاتها [١٣٠].

رابعا : اقطاعاته

إن الروايات التاريخية لتؤكد حقيقة مهمة ، وهي إن مسلمة بن عبد الملك كان من أغنياء الشام ، وقد جمع ثروته من فتوحاته وانتصاراته العسكرية . فحياة عسكرية كالتي كانت لمسلمة بن عبد الملك لكفيلة له بان يجمع الثروة ويكون له منها الكثير . فالروايات التاريخية – والتي سنتناولها بالتفصيل في موضع آخر – تدل على حجم الغنائم التي كانت للمسلمين من فتحهم للكثير من الحصون في بلاد الروم . كما إن له الكثير من الاقطاعات في بلاد الشام[١٣١] .فقد كان لمسلمة بن عبد الملك الكثير من الأملاك والقطائع التي توزعت في

---

[127] – الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي يرد ذكره منذ أيام عبدالملك بن مروان حيث كان هو وحاتم بن النعمان الباهلي من جلساء الخليفة عبدالملك بن مروان ، للتفاصيل راجع : البلاذري، أنساب ، ج٧ ، ص ص ٢٩٣٣ – ٢٩٣٤ .

[128] – المصدر نفسه ، ج٨ ، ص ٣٦٣ .

[129] – ابن حزم ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٩ .

[130] – ابن عبد ربه ، المصدر السابق، ج١ ، ص ص ٢٠٤ – ٢٠٦ .

[131] – لتفاصيل أكثر حول الاقطاعات الأموية انظر : ابن جعفر ، قدامة (ت : ٣٢٠هـ/٩٣٢م) ، كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، المجلد ٤٢ ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية : فرانكفورت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

أقاليم البطائح والجزيرة الفراتية والثغور ، وقد أثرت ملكياته الكبيرة على أحوال صغار المزارعين في تلك المناطق ، وفي فترة من الفترات احتموا به وألجاؤه أراضيهم مخافة تعدي الجباة عليهم . وكان هو يخشى أن تطوله إصلاحات عمر بن عبد العزيز .

ويمكننا التدليل على هذا الموضوع من خلال عدد من الدراسات التي تناولت الآثار في بلاد الشام إبان الدولة الأموية ، حيث دللت المسوحات الأثرية للمواقع الأموية في بوادي حماة وتدمر ومآب والبلقاء وشمال سورية والجزيرة الفراتية على إن جميع تلك المنشات الأموية لها طابع ثابت محدد هو :" قصر تلازمه مجموعة أبنية ، وتوجد فيه أثار استغلال زراعي ". كما أن هناك أمثلة كثيرة عن هذا الاتجاه في منح الأمراء والأشراف الضياع والإقطاع التي أدت إلى ظهور طبقة جديدة من الملاكين الكبار من العرب في الشام ، وإن الأشراف تحولوا إلى ارستقراطية ملاكه[١٣٢]. وعليه فمسلمة كان من القادة الكبار وكان من البيت الأموي ولهذا توزعت اقطاعاته ومثل احد الملاكين الكبار قام بعدد من الإصلاحات الزراعية في هذه المناطق [١٣٣].وكانت ارض بغرلمس[١٣٤] لمسلمة بن عبدالملك فأوقفها في سبيل البر ، وله اقطاعات أخرى كعين السلور وبحيرتها[١٣٥] وكذلك الإسكندرية[١٣٦] ، وأصبحت لورثته من بعده[١٣٧] .وأنشأ مسلمة في غراس عقبة عرفت بعقبة النساء وذلك " إن مسلمة بن عبد الملك لما غزا عمورية حمل معه نساءه وحمل ناس ممن معه نساءهم ، وكانت بنو أمية تفعل ذلك إرادة الجد في القتال للغيرة على الحرم ، فلما صار في عقبة بغراس عند الطريق المستدقه التي تشرف على الوادي سقط محمل فيه امرأة إلى الحضيض فأمر مسلمة أن تمشي سائر النساء فمشين فسميت تلك العقبة عقبة النساء ... " [١٣٨] .

---

132 – خماش ، نجدت ، الشام في صدر الإسلام : من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية ، دار طلاس للنشر : دمشق ، ١٩٨٧م ، ص ١٠٩ .

133 – Hitti,Philip, The Origins of the Islamic State , khayats: Beirut , 1986 , p228 .

134 – الأصل بغراس وهي مدينة في لحف جبل اللكام ، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ ، انظر : الحموي ، المصدر السابق ، م١ ، ص ٤٦٧ .

135 – يقال لبحيرة السلور بحيرة يغرا وهي قرب أنطاكية ، وسميت بالسلور لكثرة سمك السلور فيها وهو السمك الجريّ بلغة أهل الشام ، انظر : المصدر نفسه،م٤،ص١٧٨ .

136 – قرية على دجلة بإزاءالجامدة بينها وبين واسط خمسة عشر فرسخا،انظر:المصدر نفسه،ص ١٨٣.

137 – البلاذري ، فتوح ، ص ١٤٩. انتقلت مع وصول العباسيين للسلطة للمهديين بيد رجاء ليتوارثها المهدي بن المنصور وإبراهيم ثم لإبراهيم بن سعيد الجواهري ، ومن ثم احمد بن دؤاد الايادي وأخيرا للمتوكل أمير المؤمنين .

138 – المصدر نفسه ، ص ص ١٦٧ – ١٦٨ .

و أقطع مسلمة بن عبد الملك قوما من ربيعة قطائع فقبضت وصارت بعد للمأمون..."[139]. وكان أكثر مقام مسلمة بالناعورة سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م وبنى فيها قصرا بالحجر الأسود الصلد وحصنا[140]. كذلك كانت له دار في دمشق في محلة القباب عن باب الجامع[141] القبلي[142].

ولم يكتف مسلمة باقتناء الأراضي فقط بل عمل على إصلاحها وتعميرها . فالبلاذري يذكر انه في خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك وولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق : " انبثقت البثوق ، فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه : انه قدر لسدها ثلاثة آلاف درهم فاستكثرها الوليد ، فقال له مسلمة : أنا انفق عليها على أن تقطعني الارضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم ، يتولى إنفاقها ثقتك ونصيحتك الحجاج فأجابه إلى ذلك ، فحصلت له ارضون من طساسيج متصلة ، فحفر السيبين ، وتلاف الأكره والمزارعين ، وعمر تلك الاراضين ، والجا الناس إليها ضياعا كثيرة للتعزز بها "[143] .

خامسا : علاقته داخل البيت المرواني وخارجه

أولا : علاقته بوالده الخليفة عبد الملك بن مروان

كانت علاقته بابيه الخليفة عبد الملك علاقة قوية ووثيقة من كافة المناحي ، ولا أدل من قوة هذه العلاقة ومتانتها من ذكر الخليفة لابنه مسلمة في وصيته لأبنائه من بين أخوته جميعا. ليس فقط تقديرا لمكانة مسلمة وحرصا على سير أبنائه على ذات النهج مع أخيهم مسلمة فقط ، وإنما تأكيد من الوالد عبد الملك بن مروان على مكانة مسلمة وأهمية وجوده بين أخوته مستشارا وقائدا عسكريا وحاميا للخلافة .

يقول عبد الملك في وصيته لأبنائه وهو على فراش الموت : " اتقوا الله ربكم وأصلحوا ذات بينكم ، وليجل صغيركم كبيركم ، وكبيركم صغيركم ، انظروا أخاكم مسلمة فاستوصوا به خيرا ، فانه شيخكم ومجنكم الذي به تستجنون ، وسيفكم الذي به تفترون ، أوصيكم به خيرا ..." [144].وفي رواية أخرى قال : " أوصيكم بتقوى الله فإنها أزين حلية وأحصن كهف ، ليعطف الكبير منكم على الصغير ، وليعرف الصغير حق الكبير ، وانظروا مسلمة فأصدروا

---

139 – البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٠ .

140 – بيشوف ، ثيودور ، تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء ، شرح وتحقيق الدكتور شوقي شعث والأستاذ فالح بكور ، ط٢ ، دار الوسيم : دمشق، ١٩٩٢م ، ص ٢٥ .

141 – يقصد به جامع الأمويين في دمشق .

142 – المنجد ، المرجع السابق، ص ١٦٤ .

143 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ١٥٢ .

144 -ابن قتيبة ، الإمامة ، ج١ ، ص ٤٦ .

عن رأيه ، فانه نابكم الذي به تفترون ، ومجنكم الذي عنه ترمون ... " [145].أما ابـن أعـثم الكوفي فزاد في الوصية قول عبد الملك : " ... وانظروا ابني مسلمة حفظه الله إذا قدم من ارض الروم ، فاعرفوا له حق الجهاد في سبيل الله ، وكذلك فاعرفوا لأخي محمد بن مروان حقه وسنه ... " [146].

ومسلمة بن عبد الملك حين وافت والده المنية كان خارجا مع عمه محمد بن مروان إلى بلاد الروم بأمر من والده سنة ٨٦هـ/٧٠٥م . ويورد لنا ابن أعثم خطبة عبد الملك بن مروان في الجيش الذي أعطى فيه الإمارة ولأول مره لابنه مسلمة بن عبد الملك ، والرواية رغم فرديتها وتحفظنا على القبول بها كاملة [147] ، إلا أنها تعطينا تصورا واضحا لطبيعة العلاقة التي كانت بين مسلمة ووالده ، " قال : فلما اجتمع الناس من جميع الأمصار قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ... وهذا ابني مسلمة ، وقد أمرته عليكم ... ثم قال لابنه : يا بني ! إني قد ندبتك لهذا الأمر وشرفتك بهذا الجيش ، فجعلته لك شرفا وذكرا إلى آخر الأبد ، فكن يا بني بالمسلمين بارا رحيما وأميرا حليما ، ولا تكن عنيدا كفورا ولا مختالا فخورا ، واعلم يا بني ! إن الروم سيلقونك بجيش كثير وجمع كبير فثق بالله واستعن به وتوكل عليه ، فكفى به وليا وناصرا . وانظر يا بني ! لا يهولنك ما ترى من جمع الروم وكثرة عددهم ، فان الله تبارك وتعالى بفضله ومنّه مهلكهم وضارب وجوههم ومرعب قلوبهم ومزلزل أقدامهم ، ومعك يا بني بحمد الله خلق كثير ، فان عزمت على حرب عدوك فاجعل عمك محمد بن مروان على ميمنتك واجعل ابن عمك محمد بن عبد العزيز على ميسرتك ، واجعل ممد بن الأحنف بن قيس على طلائعك ، وعبد الرحمن بن صعصعه بن صوحان على جناحك ، واعتمد في حربك على البطال بن عمرو فانه بطل شجاع ومقداع شياع ، وانظر يا بني ! لا تكسل ولا تفشل ولا تجزع ولا تهلع ، فانك إن لم تفعل ذلك وتعديت ما أوصيتك به ، استوجبت من الله المقت ، ومن عباده البغض ومن ملائكته اللعن ، فان الله تعالى يقول : ﴿مَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [148] . قال : ثم اقبل عبد الملك بن مروان إلى الناس ،وقال : أيها الناس المسلمون ! انتم إخواني وأعواني ،وهذا ابني مسلمة وهو سيفي ورمحي وسهمي ،

---

145 – ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج٣، ص ص ٥٣١ – ٥٣٢ .

146 – ابن أعثم ،المصدر السابق ، ج٤ ، ص ص ١٤٨ – ١٤٩ .

147 – الرواية جاءت فردية عند ابن أعثم فقط ولم نجدها في المصادر الأقدم منه ، كما إنها مشحونة بالتعابير الأدبية والتي نجد بها مبالغة كبيره وبعدا عن أسلوب عبدالملك بن مروان في الخطابة أو ظروف الموقف ذاته ، فالخطبة موجهة لأهل الشام عامة وللجيش الأموي خاصة في ظروف مواجهة مع اكبر الدول المجاورة للأمويين آنذاك فلابد أن تأتي الخطبة مشحونة بالعبارات القوية فيما يخص الجهاد وفضله ... الخ .

148 – الآية رقم ١٦ من سورة الأنفال .

وقد رميت به في نحر هذا العدو ، وبذلت دمه ومهجته لله عز وجل ، ورجوت أن يقضي الله به جيش الروم ، فأعينوه واعضدوه وقوموا معه ، وانصروه إذا كسل ، وشجعوه إذا فشل ، وأيقظوه إذا غفا ، وافهموه إذا هفا ... ثم دعا مسلمة فعانقه وقبل بين عينيه وقال : السلام عليك يا ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي ، فان نفسي تحدثني إني لا أراك ولا تراني بعد هذا أبدا – ثم بكى وبكى الناس لبكائه ..." [149].

ويروي لنا ابن عبدربه كذلك حادثة بين مسلمة بن عبدالملك ووالده عبدالملك بن مروان تبين كيف كان مسلمة أثيرا عند والده الخليفة ، وذلك إن عبدالله بن جعفر كانت لديه جارية حسناء فأراد عبدالملك بن مروان أن تكون له ، فلم يجد عبدالله بن جعفر بدا من أن يسوقها للخليفة عبدالملك وهي جارية معروفة بحسنها وكمالها وخلقها وأدبها ، وادخلها على الخليفة عبدالملك وعنده ابنه مسلمة بن عبدالملك ، ويروي ابن عبد ربه التفاصيل فيقول : " ... أدخلتها عليه وعنده مسلمة ابنه غلام ما رأيت مثله ولا أجمل منه حين اخضر شاربه ، فلما جلست وكلمها أعجب بكلامها ، فقال : لله أبوك أأمسكك لنفسي أحب إليك أم أهبك لهذا الغلام فانه ابن أمير المؤمنين . قالت : يا أمير المؤمنين لست لك بحقيقة وعسى أن يكون هذا الغلام لي وجها ، قال : فقام من مكانه ما أرجعها فدخل واقبل عليها مسلمة فقال : يا لكاع! أعلى أمير المؤمنين تختارين ؟! قالت : يا عدو نفسه إنما تلومني إن اخترتك لعمر الله لقد قل رأي من اختارتك . قال : ضيقت والله مجلسه واطلع علينا عبدالملك قد ادهن بدهن وارى الشيب وعليه حلة تتلألأ كأنها الذهب بيده مخضرة يخطر بها فجلس مجلسه على سريره ، ثم قال : أيها ، لله أبوك أمسكك لنفسي أحب لك أم أهبك لهذا الغلام . قال : ومن أنت أصلحك الله ، قال لها الخضبي : هذا أمير المؤمنين ، قالت : لست مختارة على أمير المؤمنين احد ، قال : فأين قولك آنفا ، قالت : رأيت شيخا كبيرا وارى أمير المؤمنين أشب الناس وأجملهم ولست مختارة عليه أحدا ، قال : دونكها يا مسلمة ... فقبضها مسلمة فلم تلبث عنده إلا يسيرا حتى هلكت ، قال بذيح : فوالله الذي اذهب بنفس مسلمة ما جلست معه مجلسا ولا وقفت موقفا أنازعه الحديث إلا قال أبغني مثل فلانة ..." [150].

وهكذا نجد أن لمسلمة في قلب والده الكثير من التقدير والاحترام ، والذي نقله عبد الملك بن مروان لأبنائه من بعده ، حيث إن مسلمة لم يحضر وفاة والده ، فخصه بالذكر دون سائر أبنائه لما عرف من قدره ومكانته ودوره المهم في تعزيز الدولة الأموية لإخوته .

---

149 – ابن أعثم ،المصدر السابق ، ج٤ ، ص ص ١٢٢– ١٢٥ .

150 – أبن عبدربه ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ص ٢٠٤ – ٢٠٦ .

ثانيا :علاقته بأخوته الخلفاء وابن عمه عمر بن عبدالعزيز

١- الوليد بن عبد الملك :

اكبر أبناء عبد الملك بن مروان ، ولد عام ٥٠هـ/٦٦٩م . ولي الخلافة بعهد من أبيه في شوال سنة ٨٦هـ/٧٠٥م ، وأقام الجهاد في أيامه وفتحت في خلافته فتوحات عظيمة ، وكان يختن الأيتام ، ويرتب لهم المؤدبين ، ويرتب للزمنى من يخدمهم ، وللاضراء من يقودهم ، وعمر المسجد النبوي ووسعه ، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء وحرم عليهم سؤال الناس وفرض لهم ما يكفيهم ، وضبط الأمور أتم ضبط [١٥١]. وعمل الوليد بوصية والده فرعى لأخيه مسلمة حقه ولم يؤثر حدوث صراع أو مناقشات شديدة بينهما أو خلاف على أمر ما . بل قام الوليد بعزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وولى أخاه مسلمة عليها ، ويقال إن مسلمة أساء معاملة عمه محمد [١٥٢] ، وفي هذه مخالفة من الوليد لوصية والده في حفظ حق أخيه محمد بن مروان بن الحكم . يروي العتبي قال : " دخل مسلمة إلى الوليد فاسترضاه من شيء بلغه عنه ، وخرج مسلمة بعد المغرب ، فقال الوليد : خذوا الشمع بين يدي أبي سعيد . فقال مسلمة : يا أمير المؤمنين لا سريت الليلة إلا في ضياء رضاك " [١٥٣].

٢- سليمان بن عبد الملك بن مروان :

أبو أيوب ، ولد سنة ٥٤هـ/٦٧٣م ، تولى الخلافة بعد أخيه الوليد منفذا بذلك وصية أبيه عبد الملك سنة ست وتسعين [١٥٤]. بشكل عام كانت علاقة سليمان بمسلمة علاقة جيدة ، تركزت على الأدوار العسكرية أهمها حصار القسطنطينية ، وكان سليمان يثق بأخيه مسلمة كثيرا بدليل انه ولاه إمرة الجيوش كافة من برية وبحرية أثناء حصار القسطنطينية الذي سنفرده له مساحه كبيره في الفصل الثالث إن شاء الله .

٣- عمر بن عبد العزيز بن مروان :

تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك ، وعرف بخامس الخلفاء الراشدين لورعه وزهده ، وكان حلقة تحول في البيت المرواني . جمع القران وهو صغير وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدب بها ، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم ، فلما توفي أبوه طلبه عبد الملك إلى دمشق وزوجه ابنته فاطمة ، بويع له بالخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك في صفر سنة تسع وتسعين ، فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر ، ملا فيها الأرض عدلا

---

151 – السيوطي ، المصدر السابق ، ص ص ١٧٢ – ١٧٣ .

152 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٧٤. سنتحدث بالتفصيل عن فترة ولاية مسلمة هذه في عهد أخيه الوليد في الفصل الثاني.

153 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج ٥٨ ، ص ٤٠ .

154 – السيوطي ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

ورد المظالم ، وسن السنن الحسنة ، توفي بدير سمعان من أعمال حمص في أواخر رجب من عام ١٠١هـ/٧١٩م وهو ابن تسع وثلاثين [155].

كانت علاقة عمر بن عبد العزيز بمسلمة بن عبد الملك جيده ووثيقة . وكانت بينهما الكثير من المواقف التي تعكس لنا العلاقة بينهما وتعطينا تصورا واضحا للصفات التي كانت لمسلمة بن عبد الملك مما جعله مقربا من عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد العادل . ولا تورد المصادر التاريخية أي ذكر لأي نوع من العلاقة بين مسلمة بن عبد الملك والخليفة عمر بن عبد العزيز قبل تولي الأخير للخلافة ،إلا إنها – أي المصادر – تستفيض في الروايات التي تحكي عمق العلاقة بينهما بعد تولي عمر بن عبد العزيز الخلافة .

فبعد عودة مسلمة بن عبد الملك من حصار القسطنطينية أصبح مرافقا للخليفة عمر ويحضر معه مجلسه كعادته مع كل الخلفاء . وكان عمر بن عبد العزيز دائم النصح لمسلمة وغيره من أبناء البيت المرواني ، ولكنه مما نجد من الروايات التاريخية إن مسلمة كان أقرب إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز من سواه ، ولهذا نجد إن عمر كان دائم النصح لمسلمة في كل أمور حياته وحين يرى منه ما لا يحب . يروى إن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر وعليه ريطه من رياط مصر[156]، فقال : بكم أخذت هذا يا أبا سعيد ؟ قال : بكذا وكذا . قال : لو نقصت من ثمنها ما كان ناقصا من شرفك . قال مسلمة : إن أفضل الاقتصاد ما كان بعد الحدة ، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة ، وأفضل اليد ما كان بعد الولاية .هذا مع العلم إن عمر بن عبدالعزيز قبل توليه الخلافة كان معروفا بأنه من أكثر الناس زينة وتأنقا في ملبسه .

ومما يروى عن مكانة مسلمة في الدولة الأموية في عهد عمر بن عبد العزيز ما رواه حماد الراوية حيث يقول: " دخلت المدينة ألتمس العلم فكان أول من لقيت كثير عزه ، فقلت : يا أبا صخر ما عندك من بضاعتي ؟ قلت: عندي ما عند الاحوص ونصيب . قلت : وما هو؟ قال : هما أحق بإخبارك . فقلت له: إنا لم نحث الخطى نحوكم شهرا نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكر، وقل من يفعل ذلك، فاخبرني عما سألتك ليكون ما تخبرني حديث ا خذه عنك. فقال: انه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قدمت أنا ونصيب والاحوص ، وكل واحد منا يدل بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان أول من لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ (فتى العرب) وكل واحد منا ينظر في عطفيه لا يشك انه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا ، ثم قال : أما علمتم إن إمامكم لا يعطي الشعراء شيئا؟ قلنا: قد جئنا الآن ، فوجه لنا في هذا الأمر وجها . فقال : إن كان ذو دين من آل مروان قد ولي الخلافة فقد بقي من ذوي دنياهم من يقضي حوائجكم ، ويفعل بكم ما انتم له أهل . فأقمنا على بابه أربعة أشهر لا نصل إليه . وجعل مسلمة يستأذن لنا فلا يؤذن . فقلت: لو أتيت المسجد

---

155 – السيوطي ، المصدر السابق ، ص ص ١٧٦ – ١٨٨ .

156 – الريطة : كل ثوب لين دقيق ، يكون قطعة واحدة . انظر:ابن منظور، لسان ، ج٥، ص ٣٩٠ .

يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئا ! فأتيت المسجد فانا أول من حفظ كلامه ، سمعته يقول في خطبة له :" لكل سفر زاد لا قحله ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاين ما اعد الله له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلبا لهذا وخوفا من هذا . ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم . واعلموا انه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في الآخرة . فأما من لا يداوي جرحا إلا أصابه جرح من ناحية أخرى، فكيف يطمئن بالدنيا ! أعوذ بالله ان آمركم بما انهي نفسي عنه فتخسر صفقتي ، وتبدو عيلتي، وتظهر مسكنتي يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق " . فارتج المسجد بالبكاء، وبكى عمر حتى بلّ ثوبه، وظننا انه قاض نحبه. فبلغت إلى صاحبيّ فقلت : جددا لعمر من الشعر غير ما أعددناه فليس الرجل بدنيويّ . ثم إن مسلمة استأذن لنا يوم الجمعة بعدما أذن للعامة فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فرد علينا . فقلت له : يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدثت بجنائك إيانّا وفود العرب . فقال : يا كثير ، أما سمعت قول الله عز وجل في كتابه (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم) أفمن هؤلاء أنت ؟ قلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيل ومنقطع به ! قال : أولست ضيف أبي سعيد ؟ قلت: بلى . قال : ما احسب من كان ضيفه ابن سبيل ولا منقطعا به ...."[١٥٧] .

هذه الرواية تعكس لنا أمور كثيرة في طبيعة العلاقة التي كانت لمسلمة بن عبد الملك عند عمر بن عبد العزيز أولا وفي نفوس العامة ثانيا . كذلك تعطينا تصورا كبيرا وواضحا على مكانة مسلمة بين العرب . فوصف كثير لمسلمة بأنه " (فتى العرب) وكل واحد من ا ينظر في عطفيه لا يشك انه شريك الخليفة في الخلافة" كثير من الحقائق ، حول مكانة مسلمة وشخصيته والتي ناقشناها سابقا . ويبدو من رواية كثير عزه هذه إن مسلمة بن عبد الملك كان بمثابة المستشار والنائب للخليفة عمر بن عبد العزيز .يروي المدائني عن عمر بن مجاشع إن مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر ، فدعاه عمر بالغداء ، فأتي بخل وزيت فأكلا . ثم قال : يا أبا سعيد ، هل تشتهي شيئا أو كنت تأكل شيئا لو أتيت به ؟ قال : لا . قال: فارة ما في يديك من الدنيا لا تقدر على أن تصيب منه من المطعم والمشرب إلا بقدر ما يطيق بدنك، فعلام يهلك من اهلك نفسه ؟ [١٥٨]. وسأل مسلمة عمر بن عبد العزيز : يا أمير المؤمنين أما تمل الخل والزيت ؟ قال عمر : إذا مللتها تركتهما حتى اشتهيتهما [١٥٩].

---

157 –الأصفهاني،المصدر السابق،ج٨،ص ص ١٤٧–١٥٠ ، انظر أيضا: جاد المولى ، محمد احمد وآخرون، قصص العرب ، ط٥،دار الفكر:ب.م،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،ج٢،ص ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

158 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ١٧٥ .

159 – المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

والثابت انه خلال خلافة عمر بن عبد العزيز ولاه مرة واحده القتال وذلك للقضاء على ثورة شوذب الخارجي بالعراق والتي سنتعرض لها في وقتها . بعدها قضى مسلمة أيامه بجوار الخليفة في مجلسه يسلم عليه صباحا ويجالسه ثم يعود لمجلسه . ولهذا حين مرض عمر بن عبد العزيز مرضه الأخير كان مسلمة مصاحبا له في كل أوقاته ، والروايات جميعها لا تذكر مرض عمر بن عبد العزيز إلا وأحاديثه مع مسلمة بن عبد الملك وقتها .

وقد روي إن عمر بن عبد العزيز رأى قبل مرضه الأخير رؤيا لم يلبث بعدها إلا يسيرا حتى مرض مرضه الذي مات فيه . " فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك ، فقال له : يا أمير المؤمنين انك لتترك ولدك عالة على الناس . فأوص بهم إلي أكفك أمرهم ، فانك لم تمولهم شيئا ولم تعطهم . فقال عمر : يا أبا سعيد ، إن ولدي لهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . ثم دعاهم عمر وهم ١٤ غلاما[١٦٠] ، فنظر إليهم عمر وقد لبسوا الخشن من قباطي مصر ، فاغرورقت عيناه ثم قال لهم : أوصيكم بتقوى الله العظيم ، وليحل صغيركم كبيركم ، وليرحم كبيركم صغيركم ، ثم قال لمسلمة : يا أبا سعيد ، إنما ولدي على احد أمرين : أما عامل بطاعة الله فلن يضيعه الله ، وأما عامل بمعصيته فلا أحب أن يعينه المال ، قوموا عصمكم الله ووفقكم ... " [١٦١].

و عن العتبي عن أبيه قال : لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع ولده حوله فلما رآهم استعبر ثم قال : بأبي وأمي من خلفتهم بعدي فقراء . فقال له مسلمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين فتعقب فعلك واغنهم فما يمنعك أحد في حياتك ، ولا يرتجعه الوالي بعدك . فنظر إليه نظر مغضب متعجب فقال : يا مسلمة منعتهم إياه في حياتي ، واشقي به بعد وفاتي. إن ولدي بين رجلين إما مطيع لله ، فالله مصلح له شأنه ورازقه ما يكفيه ، أو عاص له فما كنت لأعينه على معصيته . يا مسلمة إني حضرت أباك لما دفن فحملتني عيني عند قبره فرأيته قد أفضى إلى أمر من أمر الله راعني وهالني ، فعاهدت الله أن لا أعمل بمثل عمله إن وليت ، وقد اجتهدت في ذلك طول حياتي ، وأرجو أن أفضي إلى عفو من الله وغفران . قال مسلمة : فلما دفن حضرت دفنه فما فرغ من شأنه حتى حملتني عيني فرأيته فيما يرى النائم في روضة خضراء نضرة فيحاء وأنهار مطردة ، وعليه ثياب بيض . فأقبل علي ، فقال : يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون "[١٦٢].

ولا أدل على قوة العلاقة من وصية عمر بن عبد العزيز لمسلمة بأن يحضر موته وأن يلي غسله وتكفينه وأن يمشي معه إلى قبره ، وأن يكون ممن يلي إدخاله في لحده . فرجل بزهد وورع عمر بن عبد العزيز لن يطلب هذا الطلب إلا من رجل ورع ومتدين .

---

160 – ذكر ابن عبد ربه إنهم اثنا عشر غلاما، انظر: ابن عبد ربه، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٠٧.

161 – ابن قتيبه ، الإمامة ، ج١ ، ص ص ١٠١ – ١٠٢ .

162 – الأصفهاني،المصدر السابق،ج٨، ص١٥١.انظر أيضا:جاد المولى،المرجع السابق،ج٢،ص ٤١٢.

ولا ننسى كما ذكرنا سابقا طلب مسلمة من عمر بن عبدالعزيز إعطائه مالا ليوصي به فرفض عمر بن عبدالعزيز ذلك . وقال مسلمة بن عبد الملك : " دخلت على عمر في مرضه فإذا عليه قميص وسخ ، فقلت لفاطمة : ألا تغسلوا قميص أمير المؤمنين ؟ فقالت : والله ماله قميص غيره ، وبكى فبكت فاطمة فبكى أهل الدار ... " [163] ، وفي رواية الذهبي " إن مسلمة دخل على عمر وقميصه وسخ فقلت لامرأته وهي أخت مسلمة اغسلوه قالت : نفعل . ثم عدت فإذا القميص على حاله ، فقلت لها ، فقالت : والله ما له قميص غيره " [164].

وقال عمر بن عبد العزيز يوصي مسلمة : " إذا مت فارفع لبنة من قبري فانظر ما خرجت به من الدنيا " ففعل مسلمة ولم يزل ذلك يعرف فيه [165]. وقال مسلمة : " لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قبة ، فأومأ إلينا أن اخرجوا فخرجنا فقعدنا حول القبة ، وبقي عنده وصيف ، فسمعناه يقرا هذه الآية (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[166] ، ما أنتم بإنس ولا جان . ثم خرج الوصيف فأومأ إلينا أن ادخلوا فدخلنا فإذا هو قد قبض "[167].

رافق مسلمة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز طيلة أيام خلافته وطيلة أيام مرضه الذي مات فيه ، يروى عن مسلمة بن عبد الملك قوله : " كنا عند عمر في اليوم الذي توفي فيه أنا وفاطمة بنت عبد الملك فقلنا له : يا أمير المؤمنين إنا نرى إنا قد منعناك النوم ، فلو تأخرنا عنك شيئا عسى أن تنام . قال : ما أبالي لو فعلتما . قال : فتنحيت أنا وهي وبيننا وبينه ستر ، قال : فما لبثنا أن سمعناه يقول حي الوجوه حيي الوجوه ، فابتدرناه أنا وهي فجئناه وقد أغمض ميتا ، فإذا هاتف يهتف بالبيت لا نراه (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) " [168]. عن طارق مولى عمر بن عبد العزيز قال :" أغمي على عمر بن عبد العزيز فسكت طويلا ، فلما أفاق قيل له : ألا توصي بشيء ؟ فقال : (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ

---

163 – ابن كثير ، الحافظ الدمشقي (ت:٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، راجع نصه وضبطه وقدم له سهيل زكار ، دار صادر : بيروت ، ٢٠٠٥م ، ج٩ ، ص ٢٥٠٩ .

164 – الذهبي ، سير ، ج٥ ، ص ٥٩٠ .

165 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦٤ .

166 – الآية رقم ٨٣ من سورة القصص .

167 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج ٥٨ ، ص ٢٧ .

168 – الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ١٥٢ .

لِلْمُتَّقِينَ) فما زاد حتى فارق الدنيا "[169].ولما مات عمر بن عبد العزيز قعد مسلمة على قبره فقال : أما والله ما أمنت الرق حتى رأيت هذا القبر [170].

جميع هذه الروايات توضح أن مسلمة بن عبد الملك كان مستشار الخليفة ورفيقه طيلة أيام خلافته ، ولعل هذه العلاقة ممتدة قبل تولي عمر بن عبد العزيز الخلافة إلا أننا لم نجد لها ذكرا بأي من المصادر الأولية . وكان عمر بن عبد العزيز دائم النصح والإرشاد لمسلمة لعلمه بتقواه وورعه ، ولهذا كما أسلفنا طلب منه أن يغسله ويكفنه ويصلي عليه وان يضعه في قبره .ولا شك إن مسلمة قد تولى أبناء عمر بن عبد العزيز من بعده ، فمسلمة بن عبد الملك كان لأهل بيته الأقرب والاعطف .

٤- الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان :

تولى الخلافة بموجب العهد الذي كتبه سليمان بن عبد الملك حين أوصى بالخلافة لابن عمه عمر بن عبد العزيز على أن يكون ولي عهد عمر يزيد بن عبد الملك بن مروان . ولد سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ، وكان توليه للخلافة تحولا كبيرا لما قام به عمر بن عبد العزيز من إصلاحات . شهدت الدولة الأموية في عهده الكثير من الأحداث ، ففي سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م خرج يزيد بن المهلب فقضى عليه يزيد بن عبد الملك حتى قال الكلبي :نشأت وهم يقولون : ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء ، وبالكرم يوم العقر [171].

أما عن علاقة مسلمة بيزيد فليست بمختلفة عما كانت عليه في أيام إخوته أو ابن عمه عمر بن عبد العزيز . فمسلمة كان القائد للقوات ضد أي ثورة أو أي اضطراب داخلي ، والملاحظ إن مسلمة لم يتولى أي قيادات عسكرية في أرض الروم في عهد يزيد بن عبد الملك ومن قبله عمر بن عبد العزيز حيث لم تكن هناك حملات عسكرية . إلا إن لمسلمة في عهد يزيد بن عبد الملك دورا كبيرا في القضاء على ثورة يزيد بن المهلب والتي كادت أن تقضي على الخليفة لولا النصر الكبير الذي حققه مسلمة على آل المهلب في العقر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م والتي سنتعرض لها في وقتها .

ظل مسلمة بن عبد الملك المستشار وشريك الخلافة والقائم بالأمور في عهد يزيد الثاني، ولا نستبعد إنه كان يدير الدولة في الأوقات التي كان الخليفة فيها مشغولا بالشرب والجواري. ومن المواقف التي توضح لنا نوعية العلاقة التي كانت بين الخليفة وأخيه مسلمة قضية عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس . ففي أنساب الأشراف يقول البلاذري : " حدثني محمد بن سعد كاتب الواقدي عن الواقدي عن يزيد بن عياض قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن

---

169 – ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧ ، ص ص ٤٤ – ٤٥ .

170 – ابن عبد ربه ، المصدر السابق، ج٤ ، ص ٢٠٦ . لتفاصيل وفاته راجع : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٩ ، ص ص ٢٤٨٥ –٢٥٠٦ .

171 – السيوطي ،المصدر السابق، ص ١٨٩ .

ابن الضحاك بن قيس المدينة خطب فاطمة بنت علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[172] فأبت وقالت : ما النكاح من حاجتي إني مشبلة مقيمة على ولدي ، فالح عليها الخطبة فقال : والله لئن لم تفعلي لأخذن اكبر ولدك يعني عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب في شراب ، ثم لاضربنه على رؤوس الناس ، ولافعلن بعد هذا ولافعلن حتى أفضحك . فبعثت إلى يزيد بن عبد الملك وذكرت ما أرادها عليه ، وبعثت به إليه وسألته أن يجيرها منه وقالت : إنما إن حرمتك وإحدى نسائك ، والله لو كان التزويج من شأني ما كان لي بكفء ، وان عمر بن الخطاب كان يقول على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : لامنعن ذوات الاحساب إلا من الأكفاء. قال وكان ابن هرمز على الديوان بالمدينة ، وأراد الخروج فأرسلت إليه وأخبرته بما تلقى من ابن الضحاك وسألته أن ينمي ذلك إلى يزيد ، فلما دخل على يزيد سأله عن المدينة وأهلها فبينما هو يخبره إذ أتى حاجب يزيد فاخبره بمكان فاطمة ، فتذكر ابن هرمز ما حملته واعلمه أنها أرسلت إليه ، فألقت إليه أمرها وأمر ابن الضحاك ، فدعا يزيد برسولها وقرا كتابها فغضب غضبا شديدا ، ونزل عن سريره إلى الأرض ، وضرب بقضيب كان معه الأرض حتى أثار الغبار . وقال : ابن الضحاك يتزوج بامرأة من بني عبد مناف ؟! ثم قال: من يسمعني صوت ابن الضحاك بعذابه أباه وأنا على فراشي ؟ قال ابن هرمز : أنا أدلك عليه عبد الواحد بن عبد الله النصري ، وهو بالطائف ، فكتب إليه يزيد كتابا يأمره فيه بالمسير إلى المدينة وولايتها ، وان يغرم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس أربعين ألف دينار ، ويقفه للناس ، وأمر لرسول فاطمة بجائزة وصرفه . فمر الرسول الموجه إلى الطائف بابن الضحاك فوقع في نفسه خوف العزل ، فأعطاه ألف دينار فاخبره الخبر واحلفه أن لا يبرح المدينة ، وجلس ابن الضحاك على رواحله حتى لحق بمسلمة بن عبد الملك فقال له : يا أبا سعيد كن لي جارا من أمير المؤمنين ، فان لي رحما وقرابة وان خليتني من يديك افتضحت . فلقي مسلمة في غبش الليل فكلمه فيه . فقال يزيد : لا أرين وجهه ولا يخرج إلى عسكري حتى يرجع من حيث جاء فينفذ فيه أمري ... "[173]. ويؤكد لنا ابن الجوزي في حديثه عن أحداث سنة ١٠٤هـ/٧٢٢م هذه الحادثة فيقول : " وفي هذه السنة

---

172 – هي فاطمة بنت علي بن الحسين زين العابدين ، أمها أم اسحق بنت طلحة بن عبيدالله . تزوجها ابن عمها حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب فولدت له عبدالله وإبراهيم وحسن وزينب ، ثم مات عنها فخلف عليها عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له القاسم ومحمد الديباج وسمي بذلك لجماله ، وكان عبدالله بن عمرو يقال له المطرف لجماله فمات عنها ، انظر: ابن سعد ، أبو عبدالله محمد (ت : ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر : بيروت،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، م٨ ، ص ص ٤٧٣- ٤٧٤ .

173 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ص ٢٤٦ – ٢٤٧ . يذكرها ابن سعد في رواية عبدالله بن محمد ابن أبي يحيى باسم فاطمة بنت حسين والأصح هي فاطمة بنت علي بن الحسين ، انظر : ابن سعد، المصدر السابق ، ص ص ٤٧٣- ٤٧٤ .

عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس عن مكة والمدينة ، وذلك للنصف من ربيع الأول ،وكان عامله على المدينة ثلاث سنين وولى المدينة عبد الواحد النصري . وكان سبب عزل ابن الضحاك انه خطب فاطمة بنت الحسن فقالت : ما أريد النكاح . فالح عليها وتواعدها بان يؤذي ولدها ... فدعا الخليفة يزيد بن عبدالملك حين وصله الخبر بقرطاس وكتب بيده : إلى عبد الواحد وهو بالطائف : سلام عليك ، أما بعد ، فقد وليتك المدينة ، فإذا جاءك كتابي فاهبط إليها واعزل ابن الضحاك واغرمه أربعين ألف دينارا وعذبه حتى اسمع صوته وأنا على فراشي .فقدم البريد المدينة فلم يدخل ابن الضحاك ، فأحس بالشر، فأرسل إلى البريد فكشف له عن طرف المفرش ، فقال : هذه ألف دينار ولك العهد والميثاق إن أخبرتني خبر وجهك هذا دفعتها إليك .فاستنظر ثلاثا حتى يسير ، وخرج ابن الضحاك فاعد المسير حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك فقال : أنا في جوارك ، فغدا مسلمة على يزيد فرققه وقال : لي حاجة إليك ، فقال: كل حاجة فهي لك ما لم يكن ابن الضحاك . فقال : هو ابن الضحاك . فقال : والله لا أعفيه أبدا وقد فعل ما فعل ، فرده إلى النصري . وكان قد قدم المدينة للنصف من شوال ، وعذب ابن الضحاك حتى افتقر حتى رأيت عليه جبة صوف وهو يسال الناس ..." ١٧٤. وأيا كانت الرواية فما يهمنا هو الحقيقة التي تناولناها للان من خلال علاقة مسلمة سواء بيزيد أو بمن سبقه في إن الناس كانت تدرك إن مسلمة له مكانته في بلاط الخلفاء وكان معروفا بكرم شمائله وأخلاقه ولهذا كان يلجا إليه طلاب الحاجات من الخلفاء أيا كانت حاجتهم ولهذا كان مسلمة دائما يقول : " عجبت لمن قدر كيف لا يغفر ، ولمن وسع عليه كيف لا يجود" ١٧٥.

ومن الأحداث التي تبين مكانة مسلمة في البيت الأموي ما كان من خبر يزيد بن عبد الملك وجارية له اسمها حبابة . وحبابة لقب لها واسمها العالية وتكنى أم داود ، شبب بها وضاح اليمن بالحجاز قبل أن تصير ليزيد بن عبد الملك وهي من مولدات المدينة المنورة . كانت لرجل يعرف بابن مينا١٧٦ ، ويقال : لآل لاحق المكيين ، أخذت الغناء عن ابن سريج ومعبد وغيرهما .وكانت أحسن أهل عصرها وجها وغناء،وأحلاهم منظرا وشمائل وأشكلهم١٧٧. يقول البلاذري : " حدثني عباس بن هشام الكلبي عن أبيه قال :أراد يزيد أن

---

[174] – ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت:٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، دار الفكر : بيروت ،١٩٩٥م ، ج٤ ، ص ص ٥٥٥ – ٥٥٦ .

[175] – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٥٩ .

[176] – وقيل اسمه ابن رمانه ، انظر: كحالة، عمر رضا ،أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، مؤسسة الرسالة:بيروت،ب.ت ، ج٣، ص ٢٣٣ .

[177] – ابن منظور ، مختصر ، ج ٧ ، ص ٢٩٨ .

يتشبه بعمر بن عبد العزيز بعض أيامه ، فبدا لحبابة هجران منه ، فأرسلت إلى الاحوص وكان مقيما عنده : انشد أمير المؤمنين شيئا يدعوه إلى ترك ما اخذ فيه فانشده :

ألا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يتبلَّدا فقد غلب المحزونُ أن يتجلّدا

إذا كُنتَ معزافاً عن اللهوِ والهَوى فَكُنْ حَجَراً من يابسِ الصخرِ جَلْمَدا

هل العيشُ إلا مَا تَلَذُّ وتَشْتَهي وإنْ لامَ فيهِ ذو الشَّنان وفَنَّدا[178]

فقام يزيد وهو يقول : هل العيش إلا ما تلذ وتشتهي . حتى دخل على حبابة وعاد إلى أمره الأول . ثم ماتت فجزع عليها ، وخرج حاملا جنازتها حتى كلمه مسلمة في ذلك فرجع إلى قصره ومات بعدها بخمسة عشر يوما"[179] . وغلبت حبابة على عقله فهام بها هياما عظيما فأصبح لها نفوذ كبير في نفسه ، فتأمره فيصدع لأمرها ، وقد انشغل بها لدرجة أنسته شؤون الحكم والسياسة حتى قال لها مره : قد استخلفتك على ورد علي ونصبت لذلك مولاي فلانا واستخلفيه لأقيم معك أياما واستمتع بك . قالت : فاني قد عزلته . فغضب عليها وقال : قد استعملته وتعزليه . فخرج من عندها مغضبا . فلما ارتفع النهار وطال عليه هجرها دعا خصيا وقال له : انطلق فانظر أي شيء تصنع حبابة . فانطلق الخادم ثم أتاه فقال : رايتها بازار خلوبي قد جعلت له ذنبين وهي تلعب بلعبها وخرج . فجعلت تحضر في أثره فمرت بيزيد . فوثب وهو يقول : لقد عزلته . وهي تقول : قد استعملته . فعزل مولاه وولاه وهو لا يدري . فمكث معها أياما حتى دخل عليه أخوه مسلمة فلامه وقال : ضيعت حوائج الناس واحتجبت عنهم ، أترى هذا مستقيما لك . وهي تسمع مقالته فغنت لما خرج :

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا

بكيت الصبا جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسى في البكاء واسعدا

واني وان فندت في طلب الغنى لأعلم أني لست في الحب أوحدا

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفنّدا

فطرب ، وقال : قاتلك الله أبيتي إلا أن ترديني إليك ، وعاد إلى ما كان عليه[180]. ونجد لدى ابن عبد ربه في العقد الفريد رواية مختلفة عن هذه الرواية حيث يقول : " فلما كلف زيد

---

178 – عند صاحب الأغاني تختلف الأبيات قليلا ، إذ يوردها فيقول :

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا

بكيتُ الصبا جهدي فمن شاء لامني ومن شاء آسى في البكاء واسعدا

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

هل العيش إلا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفنّدا

راجع : الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٣ ، ص ١٥١ .

179 – البلاذري ،، أنساب ، ج٨ ، ص ٢٦٢ .

180 – كحاله ، المرجع السابق ، ج١ ، ص ص ٢٣٣ – ٢٣٤ .

بحبابة واشتغل بها وأوضاع الرعية ، دخل عليه مسلمة أخوه فقال : يا أمير المؤمنين ، تركت الظهور للعامة والشهود للجمعة ، واحتجبت مع هذه الأمة ، فارعوى قليلا وظهر للناس . فأوصت حبابة إلى الاحوص أن يقول أبياتا يهون فيها على يزيد ما قال مسلمة ، فقال : وغنت بها حبابة :

ألا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يتبلَّدا فقد مُنِعَ المحزونُ أن يتجلَّدا
إذا أنتَ لَمْ تَعشَقْ ولم تَدرِ ما الهَوى فَكُنْ حَجَراً من يابسِ الصخرِ جَلْمَدا
هل العيشُ إلا مَا تَلَذُّ وتَشْتَهي وإنْ لامَ فيهِ ذو الشَّنان وفَنَّدا

فلما سمعها ضرب بخيزرانته الأرض وقال : صدقت صدقت ! على مسلمة لعنة الله ، ثم عاد إلى سيرته الأولى "[181]. وفي هذه الرواية نجد مبالغة في الوصف شديدة، واستخداما أدبيا في التصوير مبالغ فيه.

وكما يلاحظ فيبدو إن تدخل مسلمة ضد أعمال أخيه يزيد بن عبد الملك واحتجابه عن الرعية لأجل حبابة قد أتت ثمارها ، فاحتجب عنها كما ورد إلينا سابقا من رواية ابن الجوزي ، وسمع لنصيحة أخيه مسلمة ، إلا أنها بأبيات الاحوص أعادته إليها ، ولعلها تقصد مسلمة بقولها "إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا" لان مسلمة بن عبد الملك لم يؤثر عنه ولعه بالنساء أو انه جعل للنساء دورا في أمور حياته السياسية أو العسكرية ، كما عرف عن يزيد بن عبد الملك مثلا .

حدث سلام الجمحي قال : " بلغني إن مسلمة بن عبد الملك قال ليزيد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين : ببابك وفود الناس ، ويقف ببابك أشراف العرب ، فلا تجلس لهم ، وأنت قريب عهد بعمر بن عبد العزيز ، وقد أقبلت على هؤلاء الإماء ؟! . قال : قال : إني لأرجو ألا تعاتبني على هذا بعد اليوم .فلما خرج مسلمة من عنده استلقى على فراشه ، وجاءت حبابة جاريته فلم يكلمها فقالت : ما دهاك ؟ فاخبرها بما قال مسلمة وقال : تنحي عني حتى افرغ للناس . قالت : فأمتعني منك يوما واحدا ، ثم اصنع ما بدا لك ، قال : نعم . فقالت لمعبد : كيف الحيلة . قال : يقول الاحوص أبياتا وتغني فيها . قالت : نعم . فقال الاحوص :

ألا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يتبلَّدا فقد غلب المحزونُ أن يتجلَّدا
إذا كُنتَ معزافاً عن اللهوِ والصبا فَكُنْ حَجَراً من يابسِ الصخرِ جَلْمَدا
هل العيشُ إلا مَا تَحب وتَشْتَهي وإنْ لامَ فيهِ ذو الشَّنان وفَنَّدَا

فغنى به معبد وقال : مررت البارحة بدير نصارى وهم يقرؤون بصوت شج فحاكيته في هذا الصوت . فلما غنته حبابة قال : فعل الله بمسلمة ، صدقت والله لا أطعتهم أبدا "[182]. وقد بلغ هيام يزيد بحبابة درجة عظميه ، وكانت حبابة إذا غنت وطرب يزيد قال لها : أطير . فتقول

---

181 – ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٤٩ .

182 – ابن منظور ، مختصر ، ج٧ ، ص ص ٢٩٨- ٢٩٩ .

له : فإلى من تدع الناس . فيقول : إليك . ورغم أنها كانت تعيش في قصره ويراها في كل وقت وفي كل ساعة ، لكنه أحب يوما أن ينفرد بها دونا عن العالمين . فخرج من قصره ومعه حبابة ونزلا في بيت في أول الشام . قيل نزل بموضع بالأردن يقال له بيت رأس [183]. وقال لحاشيته : إذا كان من غد فلا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب . وخلا هو وحبابة فأتيا بما يأكلان ، فأكلت رمانه فشرقت بحبة رمان . وبينما كان يزيد يسرع ملهوفا لا يدري ما يفعل ، كانت هي قد ثقل عليها واختنقت وماتت بين يديه . وجن جنون يزيد وأقام ثلاث ليال لا يسمح بدفن الجثة أو أن يقترب احد منها. حتى أنتنت وهو يشمها ويرشفها فعاتبه على ذلك ذووا قرابته وأصدقاؤه وعابوا عليه ما يصنع ، وقالوا : قد صارت جيفة بين يديك حتى أذن لهم في غسلها ، ودفنها. وفي قصره ، ضم إليه جارية حبابة فظلت بقربه تؤنسه وتحدثه عن حبابة وهو يبكي ، حتى مات بعد حبابة بخمسة عشر يوما أو سبعة عشر يوما[184].

وروى الهيثم بن عدي عن ابن عياش إن يزيد أراد الصلاة على حبابة ، فسأله مسلمة ابن عبد الملك ألا يفعل وقال : أنا أكفيك الصلاة عليها . فتخلف يزيد ،ومضى مسلمة فأمر بعض أصحابه فصلي عليها ... وقال بعضهم : نبئت أن يزيد ضعف حين ماتت حبابة ، فلم يستطع الركوب من الجزع ، وعجز عن المشي فأمر مسلمة فصلى عليها ، ثم قال يزيد : إني لم أصل عليها فانبشوا عنها وأخرجوها حتى أصلي عليها ، فقال له مسلمة : أنشدك الله أن لا تفعل فامسك . ولم يزل كئيب ولم يأذن للناس عليه إلا مرة واحده حتى مات وصلى عليها مسلمة [185].

وكان يزيد بن عبد الملك قد ولى مسلمة العراقين بعد قضائه على ثورة يزيد بن المهلب إلا انه لم يلبث أن عزله إلا انه استحيا منه فكتب إليه " استخلف على عملك وأقدم " [186]. وفي هذا تبيان لمكانة مسلمة الكبيرة . كما إن في محاولة العباس بن الوليد أن يغير ولي العهد في عهد يزيد بن عبد الملك من هشام بن عبد الملك لابن يزيد الوليد ووقوف مسلمة في وجهه تبيان لمكانة مسلمة وان كلمته كانت مسموعة ، ورأيه معمول به . قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني : "لما خلع يزيد بن المهلب وجه إليه يزيد بن عبد الملك مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك وقال : أمير الجيش مسلمة فان حدث به حدث فالعباس بن الوليد ، فقال العباس بن الوليد ليزيد : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق قوم غدر ،كثير إرجافهم ، وأنت توجهني محاربا والأحداث تحدث ولا آمن أن يرجف أهل العراق ، ويقول :

183– ابن منظور ، مختصر ، ج٧ ، ص ٣٠٢ .

184 – ابن عبدربه ، المصدر السابق ، ج٤، ص ص ٤١٨ – ٤١٩ ، انظر أيضا : سليمان ، سليم ، مئة أوائل من النساء ،ط٢،دار الحكمة للطباعة والنشر :دمشق،١٩٨٦م، ص ص ٣٥٢ – ٣٥٤ .

185 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٢٦١ .

186 – المصدر نفسه ، ص ٣٦٤ . سنناقش هذه الفترة في الفصل الثاني إن شاء الله .

مات أمير المؤمنين ولم يعهد فيفت ذلك في اعضاد أهل الشام ، ويدخلهم له الوهن والفشل ، فلو بايعت لعبد العزيز بن الوليد ، قال : غدا إن شاء الله . وبلغ مسلمة بن عبد الملك ذلك فدخل على يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، أولد عبد الملك أحب إليك أم ولد الوليد ؟ قال : ولد عبد الملك إخوتي أحب إلي . قال : فابن أخيك أحق بالخلافة من أخيك ؟ قال : لا . قال: افتبايع لعبد العزيز ؟ قال : لا ، غدا أبايع لهشام أخي وبعده الوليد ابني . وبلغ عبد العزيز قوله ، واتاه مولى له وهو لا يعرف الخبر فقال له : يا أبا الاصبغ غدا يبايع لك . قال عبد العزيز : هيهات ، افسد عليك ذلك مسلمة ونقضه . فلما كان الغد بايع يزيد لهشام ومن بعده لابنه الوليد ، فكان إذا نظر إلى الوليد قال: الله بيني وبين من جعل هشام بيني وبينك " [187].

وبالفعل كما أرداها مسلمة بويع لهشام بن عبد الملك بعد يزيد ، إلا إن هذه الرواية تعطينا تصورا أن يزيد كان سيعلن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وليا للعهد من بعده ، ثم تعود الرواية في ذات الموضع تقول إن يزيد حين كان ينظر لابنه الوليد يقول : " الله بيني وبين من جعل هشام بيني وبينك " فهذا يدلنا إن يزيد يريد البيعة لابنه الوليد وليس لابن أخيه عبد العزيز .

٥- الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان :

ولد عام ٩٢هـ/٧١٠م وأبوه منهمك بمحاربة ابن الزبير وقتها . وهشام هو من أكثر أبناء عبد الملك بن مروان قوة وحكمه ، وعرف عنه تنظيماته الإدارية الكبيرة والتي أخذها العباسيين من بعده وثبتوها . يقول السيوطي :" كان هشام حازما عاقلا ، كان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة : لقد اخذ من حقه ، ولقد أعطى لكل ذي حق حقه . قال سحبل بن محمد : ما رأيت أحدا من الخلفاء اكره إليه الدماء ولا اشد عليه من هشام ... مات في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة (٧٤٢م) " [188]. وفي عهد هشام ظل مسلمة بن عبد الملك المستشار والقائد العسكري الأول لبني أميه . وهناك العديد من الروايات التي تعطينا صورة واضحة عن مكانة مسلمة ليس في البلاط الأموي فقط وإنما بين الناس ، وان سمعته كانت تسبقه دائما. ومن هذه الحوادث قضية الكميت بن زيد الاسدي[189] . فعن حاجب لأبي

---

187 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ص ٣٦٩ – ٣٧٠ .

188 – السيوطي ،المصدر السابق، ص ١٩٠ .

189 – هو الكميت بن زيد الاسدي ، ينتهي نسبه إلى مضر بن نزار ، ولقد اشتهر معه في هذا العصر بهذا الاسم شاعران آخران من نفس قبيلته هما : الكميت بن ثعلبه الشاعر المخضرم ، وحفيد له يسمى الكميت بن معروف . ولد سنة مقتل الحسين بن علي أي سنة ٦٠هـ/٦٧٩م في الكوفة ، والتي كانت تموج بالتيارات الفكرية والعقلية آنذاك ، وكان سوقها(الكناسة) ينافس سوق البصرة (المربد) فاستقى الكميت من ذلك كله حتى صار شاعرا مقداما وخطيبا فحلا وراوية ضليعا ومحدثا بارعا بل صار كما جاء في الروايات فقيها من فقهاء الشيعة وراويا من رواة الحديث .كان واسع الثقافة تجلت فيما خلفه من شعر في بني هاشم والدفاع عن حقهم ، وله مقطوعات-

عبد الله بن جعفر قال : " كان السبب في حبس الكميت بن زيد الاسدي انه كان يقعد في المحافل وعلى قوارع الطرق فينشد الأشعار والتي يمدح فيها بني هاشم ويهجو بني أميه ، ثم قال هذه القصيدة :

مَنْ لِقَلْبٍ مُتيَّمٍ مُستَهامٍ غَيرَ ما صَبوةٍ ولا أحلام

ففضل فيها بني هاشم على بني أمية حيث يقول :

ساسة لا كمن يرعى الناس سواء ورعيه الأنعام

لا كعبد المليك أو كوليد أو كسليمان بعدا أو كهشام

قال: وبلغ ذلك خالد بن عبدالله القسري وهو يومئذ أمير العراقين من قبل هشام ، فاخذ الكميت وحبسه في سجنه ، ثم كتب إلى هشام بن عبدالملك يخبره بذلك ، وكتب هشام إلى خالد بن عبدالله القسري إن خذ الكميت فاخرج لسانه من قفاه واقطع رجليه واصلبه على باب داره . قال : وبلغ إبان بن الوليد البجلي وكان صديقا للكميت فكتب إليه في السجن بهذه الأبيات :

إن كنت ذا قصبات في الخداع فرم بدر السماء أو مت على حمد

أو فاتخذ نقبا في الأرض تنج به وما أراك بناج آخر الأبد

كن كالحسام سطت بالجفن شقرته والأمر أسرع من كف إلى عدد

ولا تكن حفصا رهنا بقبضته بذي الإماء وثق بالواحد الصمد

قال : فلما وصلت هذه الأبيات إلى الكميت أيقن بالقتل وعلم إن إبان بن الوليد قد نصحه ، فكتب إليه يجيبه على أبياته وهو يقول :

أسمعتها أذنا للغيب سامعة أبا الوليد فلا عميت من رشد

كم من أخي حسد باتت عقاربه تسري إلي فلم تضرب ولم تكد

وبين متبسم تبدو نواجذه شماتة قد طوى كشحا على كمد

لولا امتنانك عودا بعد بدأته لكنت قبل ترى منا بلا قود

قال : ثم بعث الكميت إلى امرأته أم ولد وهي ابنة عمه : أن أدركيني فقد هلكت ، واحتالي لي بحيلة وإلا فقدت الميت ولا كميت لك . وحين زارته البستها ثيابها فخرج الكميت فتنقب وخرج من باب السجن مع النساء ، فلما مر على السجان جعل ينظر إلى مشيته فقال : قبح الله هذه من مشية فما أشبهها بمشية رجل !ووقع الخبر في السجن إن الكميت قد هرب ، فوثب السجان فدخل إلى الموضع الذي كان فيه الكميت فإذا بامرأة الكميت جالسة ، فلما نظر إليها صاحت صيحة فقالت : وراءك لا أم لك ! قال: فعلم السجان انه قد عمل عليه فخرق ثوبه

في بني أمية ، انظر :حمدان ، حمدان عبدالرحمن احمد ، شعر الكميت بن زيد بين الرغبة والرهبة ، مطبعة الأمانة : القاهرة : ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص ص ٤٧ ، ٥١ ، ٦١ .

وصاح ووضع التراب على رأسه ثم قال لأعوانه: ويلكم امرأة دخلت السجن فخدعتني وخدعتكم فأخرجت زوجها من السجن فجلست في موضعه وانتم لا تعلمون. قال : وبلغ ذلك خالد بن عبدالله القسري فبعث إلى السجان فاحضره ، ثم أمر به فجرد من ثيابه وضربه بالسياط ضربا شديدا حتى انه قد قتله . ثم قال : مثلك يكون على سجن أمير المؤمنين ! ثم كتب إلى هشام بن عبدالملك يخبره بذلك ، وان الكميت هرب من السجن ، وخبر المرأة وكيف خدعت السجان فاغتاظ هشام غيظا شديدا ولم يدر ما يصنع . وفر الكميت هاربا فاخذ على طريق السماوة، وبعد مسيرة أيام دخل ارض الشام ليلا، وصار إلى مسلمة بن عبدالملك مستجيرا به من هشام بن عبدالملك ، فوقف بين يديه وانشأ يقول :

يا مسلم بن أبي الوليد	كميت إن شئت ناشر
وكم قال قائلكم لعالك	عند عثرته لعاثر
وغفرتم لذوي الذنوب	من الاصاغر والأكابر
فلقد نزلت إليكم	غير المبجل للمعاذر
علقت حبالي من حبالك	ذمة الجار المجاور
ومحل بيتي من بيوتك	غير منتقض الدوائر
فالآن صرت إلى أمية	والأمور إلى المصاير
والآن كنت به المصيب	كمهتد بالأمس حائر [١٩٠]

قال : فقال له مسلمة : ويحك يا كميت ! قد والله رأيت أمير المؤمنين حنقا عليك شديدا، وما أثق بنفسي لك منه، ولكني أشير عليك بواحدة. انه قد مات له ابن يقال له معاوية ، وهو غدا صائر إلى القبر ، فكن أنت هناك قبل مجيئه فاستجر به ، وأنا أعينك على ذلك . قال: فانصرف الكميت من عند مسلمة ، ثم انه بكر إلى قبر معاوية بن هشام فجلس إليه ، وقد هيا أبياتا من الشعر ، وخرج هشام من قصره يريد القبر ومعه سادات بني عمه من بني أمية ومسلمة يسير على يمينه ، فلما نظر إلى الكميت من بعيد قال : إني أرى رجلا قاعدا عند القبر ، فقيل : يا أمير المؤمنين لعله مستجير قد استجار بالقبر ! فقال هشام : قد أجرنا كل من استجار إلا الكميت ، فقال مسلمة : يا أمير المؤمنين ومن الكميت حتى يستثنى باسمه ! قال هشام : فانا قد أجرناه وان كان الكميت . قال : ودنا هشام إلى القبر ، فوثب الكميت قائما يقول :

تأوب عيني داءها فاستهلت	بعبرة محزون هضاب وقلّت
على هالك من آل فهر بن مالك	له كشفت شمس النهار ولكت
فلا تحسب الأعداء إن مات إنني	خذلت ولا أبيات قومي قلت
سابكيك للدنيا والدين إنني	رأيت يد المعروف بعدك شلت

---

[190] – ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٥٨ .

قال : فدمعت عينا هشام ، ثم دنا فجلس عند القبر ، فوثب الكميت قائما على قدميه ثم استأذن في الكلام ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عزوجل جعل أولياء دعوته وسيوف نقمته وأنصار دينه ورقباء عدله وورثة فضله وغيبة علمه ومعادن حكمه ، وخلفاءه في عباده وبلاده أباء أمير المؤمنين أطال الله في العافية! ومنتهى الرغبة في بقائه ، فهم المطهرون من الدنس ، المصفون من النجس ، النجباء في النسب ، البلغاء في الحسب ، النخباء في الأزل ، السمحاء في المحل ، الحكماء المساميح ، الرحماء المناصيح ، لا كفرة ممنوع ولا فجره... فقال هشام بن عبدالملك: فليفرج روعك فقد أجرناك ، وعفونا كلما كان منك إذا انبت إلى الحق واعترفت بالذنب . قال : ثم وصله هشام بعشرة ألاف درهم ، ووصله مسلمة بخمسة ألاف درهم ، ثم ا خذ له كتاب منشور من هشام : لا سبيل لأحد عليه والسلام " [191].

وقال الكميت بن زيد في مدح مسلمة :

ونزور مسلمة المهذّب	بالمؤيدة الشوائر
بالمذهبات المعجبات	لمفحم منا وشاعر
أهل التجاوب في المحافل	والمقاول بالمخاصر
فهم كذلك في المجالس	والمخافل والمشاعر[192]

ويؤكد على مكانة مسلمة الكبيرة في خلافة هشام بن عبدالملك والذي عرف عنه انه لا يقبل في حرسه إلا من جمع القران أو ذكر بخير أو رجلا ذا باس ، كما انه كان لا يسمح لأحد أن يسير ضمن موكبه إلا أخاه مسلمة بن عبدالملك [193] . ويذكر في هذا الصدد انه كان في موكب هشام ثمانمائة فارس ، أربعمائة من الشرط ، وأربعمائة من الحرس ، ولم يكن احد يسير في موكبه إلا مسلمة بن عبدالملك [194]. وسئل هشام يوما عن مكحول فذمه ، فقال مسلمة : مه يا أمير المؤمنين فقد سمعته يقول : اللهم لا تبقيني بعد هشام [195] . وسأل مسلمة هشام بن عبدالملك : كيف تطمع في الخلافة وأنت بخيل وأنت جبان ؟ فقال هشام : لأني حليم وإنني عفيف [196].

وبرأي الباحثة فإن رواية تعيين مروان بن محمد واليا على أرمينية وأذربيجان خلفا لمسلمة في عهد هشام بن عبد الملك على أثر ما شكاه إليه مروان من تخلف مسلمة عن غزو

---

191 – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ص ٢٩٦ – ٣٠٤ .

192 – الجاحظ ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ص ٣٧٠ – ٣٧١ .

193 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٨٢ ، انظر أيضا : الجنابي، خالد جاسم ، تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي ، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد،١٩٨٦ ، ص ١٤١ .

194 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٨٢ .

195 – المصدر نفسه ، ص ص ٤٠٨ ، ٤١٨ .

196 – الجاحظ ، المصدر السابق، ج٢ ، ص ١٦٩ .

الترك وتثبيط الجند ، فما كان من هشام إلا إن عزل مسلمة مباشرة وعين مروان بن محمد [197]، فإننا نجد بهذه الرواية الكثير مما لا يتوافق وطبيعة المكانة العسكرية لمسلمة أولا ومن مكانته في البلاط الأموي من ناحية أخرى . وإنما الثابت كما سنذكر في فصل قادم إن شاء الله إن مسلمة عاد من أرمينية وخلف مروان بن محمد مكانه حتى ثبته الخليفة في مهمته الجديدة .وهكذا كان مسلمة الأخ المستشار الأول والقائد الأول ، في كل ما يعني بني أميه .

ثالثا: علاقاته ببعض أفراد البيت المرواني

إن المصادر التاريخية تذكر لنا طبيعة العلاقة بين مسلمة بن عبدالملك وعدد من أفراد البيت المرواني ، أو تورد لنا روايات نستطيع من خلالها أن نستشف طبيعة العلاقة بين مسلمة وبقية البيت الأموي ، وممن تذكرهم المصادر التاريخية:

١- العباس بن الوليد بن عبدالملك :

رافق عمه مسلمة بن عبدالملك في أكثر حملاته في ارض الروم ، وكانت له من الانتصارات والأمجاد فيها ما يذكرنا بأمجاد مسلمة حين كان مرافقا لعمه محمد بن مروان في حملاته في ارض الروم كذلك . ومن المعروف إن الخلفاء الأمويين كانوا يهيئون أبنائهم للقيادة العسكرية من خلال الاشتراك في الصوائف والشواتي بجانب أعمامهم أو أفراد القواد العسكريين من البيت المرواني.وكان العباس ممن رافق مسلمة بن عبدالملك في ارض الروم ، وافتتح الكثير من الحصون فيها كما سنذكر لاحقا. وكان العباس يسكن حمص واستعمله أبوه الوليد بن عبدالملك عليها وولاه المغازي غير مره ، وكان فارسا سخيا ويقال له : فارس بني مروان [198].

إن الروايات التاريخية تعطينا صوره واضحة عن طبيعة العلاقة بين الطرفين . فالعباس بن الوليد لم يكن على وفاق تام مع عمه مسلمة ، وقد يعود السبب في ذلك لاختلاف توجهات الطرفين في عدد من المسائل وبخاصة السياسية أو تلك المختصة بالبيت الأموي . كما ان شخصية الاثنين مختلفة كلية. ففي الوقت الذي نجد فيه مسلمة حكيما في تدبيره للأمور ، يتريث قبل اتخاذ أي خطوه ، نجد إن العباس كان مغامرا متسرعا . ومما يؤثر عن المدائني إن " مسلمة بن عبدالملك كان ينتقص العباس بن الوليد حين بعث يزيد بن عبدالملك بهما لمحاربة يزيد بن المهلب بالعراق ويحمقه ، فبلغ العباس ذلك ، فكتب كتابا فيه هذه الأبيات ويقال أنها له ، ويقال أنها لابن سيار وإنما تمثل بها :

ألا لا تقني الحياء أبا سعيد   وتقصر عن ملاحاتي وعذلي

---

197 – انظر الرواية في ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر : بيروت ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، م٣ ، ص ٩١ .

198 – ابن عساكر ، تهذيب ، ج٧،ص ٢٧٣ .

فلولا أن أصـــلك حين تنـــمي وفرعك منتهي فرعي واصلي

واني إن رميتك هضت عظمي ونـــالتني إذا نالتـــك نـــبلي

لقد أنــكرتني إنـــكار خـــوف يقصّر منك عن شتمي واكلي

لقول المرء عمرو في القوافي أريد حياتـــه ويريد قـــتلـــي " [١٩٩] .

إلا إن ابن عساكر وهو مصدر متأخر عن البلاذري يورد رواية أخرى نجـــد فيهـــا إن مسلمة هو من بعث بهذه الأبيات للعباس ، ورغم إن عبد القادر زيدان أورد الأبيـــات بلـــسان العباس بن الوليد في كتابه تهذيب تاريخ دمشق إلا إننا نميل إلى قول ابن عساكر فـــي نـــسخة كتابه"تاريخ دمشق" حيث ورد فيه : " عن عوانة قال : كان بين مسلمة بن عبـــدالملك وبـــين العباس بن الوليد بن عبدالملك مباعدة ، فبلغ مسلمة إن العباس ينتقـــصه فكتـــب إليـــه بهـــذه الأبيات:

فلولا إني أصلك حين تنمـــي وفرعك منتهى فرعي واصلي

واني إن رميتك هيض عظمي ونـــالتني إذا نالتـــك نـــبـــلي

إذا أنكـــرتني إنـــكار خـــوف بنى لك مجدها طلبي وجملي

فكم من سورة أبطـــات عنها حويلي عن مخارجها وفضلي

كقول المرء عمرو في القوافي لقيـــس حين خالفـــه يفـــعل

"عذيرك من خليلك من مـــراد أريد حـــباءه ويريـــد قـــتلي " [٢٠٠].

كما إن موقف مسلمة بن عبدالملك من اقتراح العباس بن الوليد ليزيـــد بـــن عبـــدالملك بتعيين عبد العزيز بن الوليد وليا للعهد ليعطينا تصورا لطبيعة ما كان في نفس العبـــاس ضـــد عمه مسلمة ، وبخاصة أنهما بعد هذه الحادثة قادا معا الجيش الذي قضى على ثورة يزيد بـــن المهلب في العراق [٢٠١]. فحتما كان في نفس العباس على عمه شيئا بعد هذه الحادثـــة ولهـــذا نرجح رواية ابن عساكر من أن قائل الأبيات السابقة هو مسلمة في رده علـــى العبـــاس بـــن الوليد.

وقد كان جرى بين العباس ومسلمة اختلاف أثناء تواجدهم بالعراق للقضاء علـــى ثـــورة يزيد بن المهلب ، فبلغ يزيد بن عاتكه هذا الخلاف ، فوجه عثمان بن حيان المـــري ليـــصلح بينهما ، وضمن له يزيد بن عاتكه إن فعل أن يفك عنه حدين كان حده إياهما أبـــو بكـــر بـــن

---

199 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦١ .

200 – ابن عساكر،تاريخ،ج٥٨ ، ص ص ٤٣ – ٣٣، يقصد عمرو بن معدي كرب ، والبيت من قصيدة له في وصف الحرب وروايته : (أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلـك مـــن مـــراد) . أيضا: ابن منظور ، مختصر ،ج٢٤ ، ص ٢٦٩ .

201 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ص ٣٦٩ – ٣٧٠ .

محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري [202]. وبالفعل تم الصلح بينهما، ولولا ذلك لكان خلافهما قد اثر سلبا على الجيش ويضعفه أمام يزيد بن المهلب.

وقد كان العباس بن الوليد يكثر من الانتقاص من يزيد بن المهلب وكان مسلمة يكره منه هذا التصرف ولهذا كان يؤنبه دائما . فقد ورد إن رجلا من أهل الشام شتم يزيد بن المهلب فقال له مسلمة : اسكت ! أتقول هذا لرجل سار إليه قريعا من قريش ؟ إن يزيد حاول أمرا جسيما ومات كريما [203]. وهكذا كانت أخلاق مسلمة في التعامل مع خصومه ، وكان يدرك مكانتهم وقيمتهم ، وهي أخلاق الأمراء حتى في ا لحروب والخلاف ، يذكرون مناقب أعدائهم.ويرى بعض المؤرخين إن مسلمة بن عبدالملك لعب دورا كبيرا في إبعاد أبناء الوليد ابن عبدالملك عن الخلافة كما رأينا سابقا في قضية ولاية العهد في عهد يزيد بن عبدالملك ليعطيها لأخيه هشام ، ولهذا نجد أبناء الوليد يبدؤون بالمطالبة بالخلافة مع تولي الوليد بن يزيد الخلافة . إلا إننا نرى إن الأمر لم يكن خاصا بأبناء الوليد بن عبدالملك فقد كان مسلمة حريصا على تواجد إخوته في السلطة وعدم أهلية أبناء الوليد لتوليها آنذاك ، وبرأي الباحثة فان الأمر لم يكن شخصيا إذ لا يوجد ما يثبت هذا الأمر عدا تأويلات لروايات معينة لا نرى ضرورة تحمليها أكثر مما تتحمل من معاني للحفاظ على استقرار البلاد وترسيخ حكم أبناء عبدالملك بن مروان .

٢- فاطمة بنت عبدالملك بن مروان :

أمها أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة [204].وهي زوج عمر بن عبد العزيز ، وولدت له إسحاق ويعقوب [205].

من الروايات التاريخية التي تورد لنا طبيعة العلاقة بين مسلمة وأختـه فاطمة بنت عبدالملك ، وذلك إن " فاطمة بنت عبدالملك بن مروان كانت تحت عمر بن عبد العزيز فهويت داود بن بشر وهويها ، فلما مات عمر قالت لأخيها مسلمة : قد اشتهيت ان أجد رائحة الولد . قال : ويحك ! بعد عمر ؟ قالت : لابد من ذلك . قال: لا جرم لا تسوري بك الأزواج. قالت : قد تسورت منهم داود . وكان اعور قبيح المنظر ، فقال الاحوص في ذلك :

أبعد الأغر ابن عبد العزيز	قريع قريش إذا تذكر
تبدلت داود مختارة	ألا ذلك الخلف الأعور

202 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣١٦ .

203 – المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

204 – الطبري ، المصدر السابق، ج٤ ، ص ١٢٧٩ .

205 – ابن عساكر ، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي (ت : ٥٧١هـ/١١٧٦م) ، تاريخ دمشق : تراجم النساء ، تحقيق سكينة الشهابي ، دار الفكر : دمشق، ١٩٨٢م ، ص ٢٩٠ .

وقيل : إنها تزوجت سليمان بن داود بن مروان بن الحكم وهو الخلـف الأعـور " [٢٠٦].
فولدت لسليمان بن داود هشام وعبد الملك [٢٠٧].

من خلال هذه الحادثة نستدل إن علاقة مسلمة بفاطمة كانت قوية منذ أيام عمر بن عبد العزيز ، ومن خلال استشارتها لمسلمة في أمر كهذا فإنه يعطينا تصورا إن مسلمة كان صاحب رأي بني مروان ، وكانوا يستشيرونه بأمورهم جميعها سواء الاجتماعية أو السياسية أو العسكرية ، فكان مسلمة كبيرهم وصاحب رأيهم كما قلنا . ولربما الأمر لا يقتصر على فاطمة بنت عبدالملك فقط وإنما على الكثير من نساء بني أميه .

٣-الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان :

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، الخليفة الفاسق أبو العباس . ولد سنة ٩٠هـ/٧٠٧-٧٠٨م ، فلما احتضر أبوه لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبي فعقد لأخيه هشام وجعل هذا ولي العهد من بعد هشام ، وتسلم الأمور بعد وفاة هشام في ربيع الآخر سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م ، وكان فاسقا شرِّيبا للخمر منتهكا لحرمات الله ، خرج عليه الناس فقتل في جمادى الآخرة سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م .

كانت علاقته وثيقة بمسلمة بن عبد الملك ، فرغم التناقضات بين شخصيات الطرفين إلا إن مسلمة بن عبد الملك كان حنونا عطوفا على الوليد بن يزيد ويرعاه ، كما رعى الكثير من أبناء الخلفاء من أبناء إخوته ، وظهر اثر هذه العلاقة الطيبة في مرثيات الوليد بن يزيد في عمه مسلمة ، ومما قاله في رثاء عمه مسلمة بن عبد الملك :

أقول وما البعد إلا الردى	أمسلمَ لا تبعدن مَسْلَمَه
فقد كنت نورا لنا في البلاد	مضيئاً فقد أصبحت مظلمه
ونكتم موتك نخشى اليقين	فأبدى اليقين عن الجمجمه[٢٠٨]

رابعا : علاقاته ببعض رجال الدولة الأموية

١- موسى بن نصير :

لم يكن مسلمة بن عبد الملك يميل لموسى بن نصير كثيرا ، ولا تشير المصادر لأي نوع من الاحتكاك بينهما ، إلا إن رواية واحدة تدلنا على هذه الحقيقة من إن مسلمة لم يكن يميل لموسى بن نصير ، فبعد أن عفى سليمان بن عبد الملك عن موسى بن نصير على يد عمر بن عبد العزيز سأله سليمان عن رأيه بالتوجه للقسطنطينية وقال له : "اشر علي يا موسى فلم تزل مبارك الغزوة ي سبيل الله بعيد الأثر طويل الجهاد . فقال له موسى : أرى يا

---

[206] – المنجد ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .
[207] – ابن عساكر، تراجم، ص ٢٩١ .
[208] – الذهبي ، تاريخ ، ج٧ ، ص ص ٤٦٩ – ٤٧٠

أمير المؤمنين أن توجهه بمن معه – أي مسلمة – فلا يمر بحصن إلا صير عليه عشرة ألاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ، ثم يمضي بالباقي من جيشه حتى يأتي القسطنطينية فانه يظفر بما يريد يا أمير المؤمنين " [209] . إلا إن سليمان شك في نصيحة موسى بن نصير فاستشار أخاه مسلمة فأشار عليه بان يدع ما دونها من البلاد ويفتحها عنوة ، فمتى ما فتحت عنوة ، فان باقي ما دونها من البلاد والحصون بيدك فاقتنع سليمان برأيه "[210] ، إلا إن ابن قتيبة يذكر الرواية بتفصيل أكثر حيث يقول : "قال : فدعا سليمان مسلمة فأمره بذلك من مشورة موسى وأوعز إليه ، فلما علم مسلمة بالمشورة فكأنه كره ذلك ، في مسلمة بعض الاباية ثم رجع إلى قول موسى ..." ، إلا إن رواية ابن قتيبه بها الكثير من الشكوك وذلك فيما يرويه بعد ذلك من خبر البطريق وقتال مسلمة له وعلاقة هذه الحادثة بحصار القسطنطينية .

٢-عمر بن هبيرة :

لما أتي بابن هبيرة إلى خالد بن عبد الله القسري بعد أن ولى هشام بن عبد الملك هذا الأخير ولاية العراقين خلفا لابن هبيرة ، لما أتي به مقيدا مغلولا في مدرعة ، يقاد مذلولا ، قال ابن هبيرة : أيها الأمير إن القوم الذين انعموا عليك بهذه النعمة ، قد انعموا بها علي من قبلك ، فأنشدك الله أن تستن في بسنة يستن بها فيك من بعدك . فأمر خالد القسري بسجن ابن هبيرة ، فما كان من هذا الأخير سوى أن أمر غلمانه بحفر سردابا تحت الأرض ، فهرب ، واستجار بمسلمة بن عبد الملك فأجاره . فلما قدم خالد القسري على هشام بن عبد الملك رأى ابن هبيرة في مجلس الخليفة قال : إباق العبد أبقت . قال له : حين نمت نومة الأمة . قال الفرزدق في هذا :

لما رأيتَ الأرض قد سُدَّ ظَهرُها	فلم يَبْقَ إلا بَطنُها لكَ مَخْرجا
دعوتَ الذي ناداه يونسُ بعدما	ثَوَى في ثلاثِ مُظلماتٍ فَفَرَّجا
فأصبحتَ تحتَ الأرضِ قد سِرْتَ ليلةً	وما سارَ سارٍ مِثلَها حين أدلَجا
خَرجتَ ولَمْ تَمنُنْ عليكَ طَلاقةً	سِوى حنكَ التقريبِ من آلِ اعوجا

ودخل الناس يهنئون ابن هبيرة بعد أن أمنه الخليفة فتمثل قول الشاعر :

من يلقَ خيراً يَحْمدِ الناسُ أمرَهُ	ومَنْ يَغوَ لا يَعدمْ على الغيِّ لائما "[211].

قال عبد الله بن سوار : " قال لي الربيع الحاجب : أتحب أن تسمع حديث ابن هبيرة مع مسلمة . قلت : نعم . قال : فأرسل لخصي كان لمسلمة يقوم على وضوئه فجاءه فقال : حدثنا حديث ابن هبيرة مع مسلمة ، قال : كان مسلمة بن عبد الملك يقوم من الليل فيتوضأ ويتنفل

209 – ابن قتيبة ، الإمامة ، ج١ ، ص ص ٧٢ – ٧٣ .

210 – الوكيل ، محمد السيد ، الأمويون بين الشرق والغرب : دراسة وصفية تحليلية للدولة الأموية ، دار القلم : دمشق ، ١٩٩٥ م ، ص ٤٧٥ .

211 – ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٥٩ .

حتى يصبح فيدخل على أمير المؤمنين ، فاني لأصب الماء على يديه من آخر الليل وهو يتوضأ إذ صاح صائح من وراء الرواق ، أنا بالله وبالأمير ، فقال مسلمة : صوت ابن هبيرة، اخرج إليه ورجعت فأخبرته ، فقال : ادخله فدخل فإذا رجل يميد نعاسا ، فقال : أنا بالله وبالأمير ، قال أنا بالله وأنت بالله ، ثم قال : أنا بالله وبالأمير . قال : أنا بالله وأنت بالله ، حتى قالها ثلاثا ثم قال : أنا بالله فسكت عنه ، ثم قال لي انطلق به فوضئه وليصل ثم اعرض عليه أحب الطعام إليه فاته وافرش له في تلك الصفة لصفة بين بيوت النساء ولا توقظه حتى يقوم متى قام . فانطلقت به فتوضأ وصلى وعرضت عليه الطعام ، فقال شربة سويق فشرب وفرشت له فنام ، وجئت إلى مسلمة فأعلمته . فغدا إلى هشام فجلس عنده ، حتى إذا حان قيامه قال : يا أمير المؤمنين لي حاجة . قال : قضيت إلا أن تكون في ابن هبيرة . قال : رضيت يا أمير المؤمنين ، ثم قام منصرفا ، حتى إذا كاد أن يخرج من الإيوان رجع فقال : يا أمير المؤمنين ، ما عودتني أن تستثني في حاجة من حوائجي واني اكره أن يتحدث الناس انك أحدثت علي الاستثناء . قال : لا استثني عليك ، قال : فهو ابن هبيرة ، فعفا عنه "[٢١٢] .

وهكذا نرى إن أبناء عبدالملك بن مروان نفذوا وصية والدهم في حفظ حق أخيهم مسلمة ابن عبدالملك ، فكان مسلمة لإخوته من الخلفاء رجل الموقف العسكري والاجتماعي والسياسي ، وكان المستشار وشريكهم في الخلافة . وكان لأبناء مسلمة بن عبدالملك سيرة طيبة تماثل تلك التي كانت لوالدهم ، انعكست كما رأيناها في علاقات البعض منهم مع عدد من رجال الدولة العباسية .

وفـــاتــــه:

مثلما اختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته ، اختلفوا كذلك في تحديد سنة وفاته . فبعد حياة مليئة بالانجازات ، مخلفا من بعده سيرة طيبة في كافة مجالات الحياة ، توفي مسلمة بن عبد الملك في محرم سنة ١٢١هـ / ٢٤ ديسمبر ٧٣٨م [٢١٣] . قال خليفة بن خياط: وفي سنة عشرين ومائة مات مسلمة بن عبد الملك يوم الأربعاء في المحرم بالشام [٢١٤]، وعن محمد بن سعدان عن الحسن بن عثمان قال : مات مسلمة بن عبد الملك ويكنى أبا سعيد يوم الأربعاء لسبع خلون من المحرم بموضع يقال له الحانوت في سنة إحدى وعشرين ومائة[٢١٥]، ويؤكد العسقلاني برواية محمد بن عابد إن مسلمة بن عبد الملك توفي سنة إحدى وعشرين

---

212 – ابن عبد ربه ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ص ٢٥٩ – ٢٦٠ .

213 – Rotter, Op.Cit,p740

214 – ابن خياط، خليفة(ت:٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط . راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه مصطفى نجيب فواز وآخرون،دار الكتب العلمية:بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٢٢٧ .

215 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٤٦ .

ومائة [216] ، في خلافة أخيه هشام بن عبد الملك . عن موسى بن مضرس بن منظور بن زياد ابن سيار عن أبيه قال : " كنا في عسكر هشام بن عبد الملك لما مات مسلمة بن عبد الملك فرأيت هشاما في شرطته ، ونظرت إلى الوليد بن يزيد ، قد اقبل يجر مطرف ضرّب عليه حتى وقف على هشام والوليد نشوان فقال : يا أمير المؤمنين إن عقبى من بقي لحوف من مضى ، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد والمرمى ، واختلّ الثغر فوهى ، وعلى اثر لمن سلف ما يمضي من خلف ، وتزوّدوا فان خير الزاد التقوى ، فلم يحر هشاما جوابا ، فسكت الناس فلم يترهسم احد بشي [217] ، فانشأ الوليد يقول في رثاء عمه :

أهينمة حديث القوم أم همُ ... سكوتٌ بعد ما منع النهارُ
عـزيزٌ كان بينهم نبيًّا ... فقولُ القوم وحيٌ لا يُحارُ
كأنّا بعد مَسْلَمَةَ المُرجّى ... شُروبٌ طوّحت بهم عُقارُ
أو آلافٌ هِجان في قيودٍ ... تلفّتُ كلما حنّت ظُؤارُ
فليتك لم تمُت وفداك قومٌ ... تريحُ عبيدهم عنّا الديارُ [218]
سقيمُ الصدرِ أو شكسٌ نكيدٌ ... وآخر لا يزورُ ولا يُزارُ [219]

وكان هشام بن عبد الملك يكثر تنقص الوليد بن يزيد ، وكان مسلمة يعاتب هشام ويكفه عن ذلك ، ولهذا حين مات مسلمة بن عبد الملك حزن الوليد لوفاته حزنا شديدا ورثاه في قصيدة أخرى حيث يقول :

أَتَانا بَريدان مَن وَاسطٍ ... يَخبانِ بِالكُتبِ المُعْجَمَه
أقولُ وَما البُعدُ إلا الرَدَى ... أَمَسْلَمَ لا تُبْعِدَنَّ مَسْلَمَه
فَقَد كُنتَ نُوراً لنا في البلادِ ... تُضيءُ، فقد أُصبحت مُظلمَه [220]
كَتمنا نَعْيكَ نخشى اليَقينَ ... فَجَلَّى اليقينُ عن الجُمجُمه
وكَم مَن يتيمٍ تلافيته ... بأرضِ العَدوّ وكَم أَيِّمَه
وَكُنتَ إِذا الحَربُ دَرّت دَماً ... نَصَبْتَ لَها رَايةً مُعلَّمَة [221]

---

216 – ابن حجر ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ١٤٤ .

217 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٤٥ .

218 – ورد عند ابن عساكر : تراخي بينهم عنها الديار، انظر : المصدر نفسه ، ص ٤٥.

219 – ديوان الوليد بن يزيد ، تحقيق حسين عطوان ، دار الجيل : بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ص ٦٠ ، يقصد بسقيم الصدر يزيد الناقص ، وبالشكس هشام بن عبد الملك ، وبالذي لا يزور ولا يزار مروان بن محمد .

220 – ذكر الذهبي برواية الزبير بن بكار الأبيات بقول :

فقد كنت نورا لنا في البلاد ... مضيئا فقد أصبحت مظلمة
ونكتم موتك نخشى اليقين ... فأبدى اليقين عن الجمجمة

انظر: الذهبي ، تاريخ ،ج٧ ، ص ص ٤٦٩ – ٤٧٠ .

وممن رثى مسلمة كذلك عبد الله بن عبدالاعلى حيث يقول :

أبا سَعــيد أراكَ اللهُ عَافِيــةً فِيها لِروحِكَ عِنْدَ العُسرِ تيسيرُ
فَقَد أقمتَ قَناةَ الحَقِّ فَاعتَدَلَتْ إِذْ أنت للــدين ما نابه سُــورُ[222]

وقال ذو الشامة يرثي مسلمة :

ضاق صدري وعيل صبري فـــ ـــلا صبرٌ دون ما أراه أتاكا
كل ميّت قد اعتفرتُ فلم أجــــ ـــزَعْ عليه إذا جاور الهلاكا
قبل ميت وقبل قبر على الخابــ ـــور لم استطع عليه اتّراكا[223]

وقال رجل من أهل الشام :

أبعد مروان وبعد مسلمة وبعد إسحاق الذي كـــــان [224]

وهكذا ختم مسلمة بن عبدالملك حياته بسيرة طيبة ، وعلاقات تميزت بالثقــة والــصدق والأمانة في المعاملة ليس على صعيد البيت الأموي وحده وإنما تعداه ليشمل الحياة الاجتماعية في الشام أيضا . كما كان للذرية الصالحة التي أعقبت مسلمة لها مكانتها وذكرها في ميــادين مختلفة من الحياة العامة في بلاد الشام وما جاورها من أقاليم سواء على الصعيد العسكري أو الأدبي أو الديني . وتاركا للباحثين تاريخا عسكريا مديدا استمر سنوات طويلــة فــي منــاطق مختلفة من أركان الدولة الأموية رفع به راية الجهاد في عهود الازدهار والرخاء في الدولــة الأموية كما سنرى في الفصول القادمة إن شاء الله .

---

221 – ديوان الوليد ، ص ١٠٩ .

222 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦٣ .

223 – المصدر نفسه ، ص ٣٦٥ .

224 – الجاحظ ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٥٤ .

الفصل الثاني

دور مسلمة بن عبدالملك في الحفاظ على الاستقرار الداخلي للدولة الأموية

أولا : الحياة الإدارية لمسلمة بن عبدالملك

عرف عن الأمويين سياسة إدارية واضحة ظهرت في عدم توليتهم الولاية لأي إقليم لفترة طويلة ، وكانوا يكثرون من تغيير الولاة لأسباب سياسية أحيانا وشخصية أحيانا أخرى ، ولكننا نجد الاستثناء عند أغلب أمراء البيت الأموي ومنهم مسلمة بن عبدالملك الذي نجده يتولى المنصب الإداري إثر نصر عسكري في منطقة ما ويسيّر منها الحملات من الصوافي والشواتي للحفاظ على استقرار الحدود الشمالية للدولة الأموية . وظلت الجزيرة الفراتية وأرمينية لها النصيب الأكبر من ولاية مسلمة على فترات تاريخية مختلفة،ويمكننا تقسيم الأدوار الإدارية لمسلمة بن عبدالملك على أربع مراحل تاريخية رافقت خلافة إخوته الوليد وسليمان ويزيد وهشام أبناء عبدالملك بن مروان .

الفترة الأولى : ولاية الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان (٩١هـ/ ٧١٠م – ٩٨هـ/٧١٧م)

تولى مسلمة بن عبدالملك ولاية الجزيرة الفراتية وأرمينية[1] في عهد الوليد بن عبدالملك بعد أن عزل عمه محمد بن مروان وذلك في سنة ٩١هـ/٧١٠م[2]. ويرى بيشوف إن الوليد عزل عمه في عام٩٠هـ/٧٠٩م ، وإن مسلمة نزل بحران وكان أكثر مقامه خلال هذه الفترة بالناعورة [3] . مخالفا بذلك وصية والده عبدالملك بن مروان حين أوصاهم بالمحافظة على مكانة أخيه محمد بن مروان[4] ، ولا تشير الروايات لأسباب عزل الوليد لعمه محمد بن مروان وربما يرجع ذلك لأسباب عسكريه ولكبر سن عمه ورغبة الوليد في توسعة الجهاد في بلاد الروم،كما إن مسلمة تتلمذ على القتال في هذه المنطقة على يد عمه محمد بن مروان فكان خير خلف له ، فقاد عددا من الحملات العسكرية لإخضاع المناطق في الجزيرة الفراتية وأرمينية [5] ، واللتين كانتا في هذه الفترة التاريخية منطقة واحدة. ويشير Rotter إلى إن مسلمة تولى ولاية الجزيرة الفراتية وأرمينية بعد عمله كوال على قنسرين[6] ، ولا نجد تاريخا محددا لفترة هذه الولاية أو تاريخا محددا لعزل مسلمة من

---

1 – أرمينية : اسم لصقع عظيم يقع جهة الشمال ، وقيل هما أرمينيا الكبرى والصغرى وحدها من برذعة إلى باب الأبواب ، ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم وجبل القبق وصاحب السرير. انظر : الحموي المصدر السابق ، م١، ص ١٦٠ .

2 – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ١٩٣، انظر أيضا: ابن عساكر ، تاريخ ،ج٥٨ ، ص ٣١ ، الذهبي ، تاريخ ، ج٧، ص ٤٦٩ .

3 – بيشوف ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

4 – انظر التفاصيل بالفصل الأول من هذا البحث .

5 – سنتناول خبر هذه الحملات في الفصل الثالث الذي يتناول الحياة العسكرية لمسلمة بن عبدالملك .

6 – Rotter, Op.Cit.p740

ولايته هذه غير أن الروايات تشير إلا إن مسلمة بن عبدالملك أقام الحج عام ٩٤هـ/٧١٣م[7] ، ويؤكد ابن قتيبة بروايته خبر تواجد مسلمة بن عبدالملك بمكة في هذا العام إلا انه يشير إلى إن مسلمة لم يكن أميرا للحج فقط وإنما كان واليا على مكة في نفس العام الذي قتل فيه سعيد بن جبير[8] ، فيقول : " وذكروا أن مسلمة بن عبدالملك كان واليا على أهل مكة ، فبينما هو يخطب على المنبر إذ اقبل خالد بن عبدالله القسري[9] من الشام واليا عليها ، فدخل المسجد ، فلما قضى مسلمة خطبته ، صعد خالد المنبر فما ارتقى في الدرجة الثالثة حيث مسلمة ، اخرج طومارا مختوما ففضه ...ودعا مسلمة برواحه ولحق بالشام"[10] . وعليه فإننا نميل إلى الاعتقاد إن مسلمة بن عبدالملك ظل واليا على أرمينية والجزيرة الفراتية حتى خلافة سليمان بن عبدالملك الذي استدعاه لقيادة القوات لحصار القسطنطينية عام٩٨هـ/٧١٧م وذلك لأنه لا يرد أي ذكر لأي صوافي أو شواتي موجهة من قبل الخليفة خلال الفترة من ٩٤هـ/٧١٣م- ٩٦هـ/٧١٥م في عهد الوليد بن عبدالملك يقودها مسلمة وإنما قادها أبناء الخليفة الوليد ، أما ولايته لمكة فإنما هي ولاية للحج في ذات العام ومنها عاد لولايته بعدها ، كما أن هذا لا يعني إن سليمان بن عبدالملك عزل مسلمة بن عبدالملك عن ولايته ولكن حينما استدعاه أخاه للجهاد في ارض الروم استخلف على الجزيرة الفراتية وأرمينية وتوجه بقواته نحو القسطنطينية، إذ لا نجد روايات تاريخيه توضح إن سليمان عزل مسلمة عن الجزيرة الفراتية وأرمينية عدا رواية خليفة بن خياط إن سليمان بن عبدالملك عين عبدالعزيز بن حاتم بن النعمان وإنها لم تغز حتى وفاة سليمان[11] ، وعبدالعزيز بن حاتم لا يلبث إلا أن نجده لاحقا في ولاية مسلمة للعراقين متواجدا معه هناك . ويشير البلاذري إن سليمان عين عدي بن عدي بن عميرة الكندي على أرمينية[12]. وعليه فان الباحثة ترى إن مسلمة استخلف على الجزيرة الفراتية وأرمينية لحين عودته من القسطنطينية . في ذات الوقت فإننا لا نميل لرأي سعدي أبو حبيب في أن يزيد ابن عبدالملك عين مسلمة واليا على العراقين والجزيرة الفراتية وأرمينية في ذات الوقت حيث

---

[7] – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ١٩٥. انظر أيضا:الطبري، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٠٦، اليعقوبي ، المصدر السابق،م٢، ص٢٩١ .

[8] – سعيد بن جبير قتل في عام ٩٤هـ/٧١٣م . انظر : الطبري، المصدر السابق ،ص١٣٠٦ ، ويذكره خليفة بن ابن خياط في وفيات عام٩٥هـ/٧١٤م.انظر:ابن خياط، المصدر السابق، ص ١٩٦ .

[9] – كانت أول ولاية له على مكة عام ٩١هـ/٧١٠م،ثم ولي إياها مرة أخرى عام ٩٤هـ/٧١٣م واستمر فيها حتى وفاة الوليد بن عبدالملك.انظر:الطبري،المصدر السابق،ص ص١٢٩٥-١٣٠٦.

[10] – ابن قتيبة ، الإمامة ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

[11] – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

[12] – البلاذري ، فتوح ، ص ٢٠٤ .

يقول : " ويظهر إن مسلمة بقي في ولايته حتى عزله يزيد بن عبدالملك سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م وولى عليها في ذلك التاريخ عمر بن هبيرة وهذا بعد وفاة محمد بن مروان ... " [13] . فهي مناطق مهمة للدولة تحتاج لواليا مستقرا فيها ، والروايات تشير إن مسلمة أقام بالعراق طوال الأشهر التي قضاها في ولايته على العراقين حتى عزله يزيد الثاني ولم يأتي أي ذكر لأي صوائف أو شواتي في بلاد الروم أو ذكر للجزيرة أو أرمينيه طوال ولايته هذه حتى عودته للشام ، وما يؤكد رأينا رواية خليفة بن خياط حيث يقول أثناء حديثه عن عمال عمر بن عبدالعزيز : " ولى عبدالعزيز بن حاتم بن النعمان أرمينية ، ثم ولاها عدي بن عدي ، فاستخلف سوادة أبا الصباح بن سوادة الكندي على الجزيرة " ثم يذكر ولاة يزيد بن عبدالملك على هذه المنطقة فيقول :" ولاها- أي أرمينية- يزيد بن عبدالملك معلق بن صفار بن فلحس بن جنب الجمار بن موقد النار البهراني من أهل حمص سنة ثلاثة ومائة ، ثم عزله سنة أربع ومائة (٧٢٢م) ، وولى الجراح بن عبدالله الحكمي . أما الجزيرة فعين عليها فايد بن محمد الكندي والعرس بن قيس بن شعبة بن الأرقم الكندي "[14] ، وعليه فان مسلمة ظل واليا على الجزيرة الفراتية وأرمينية طوال خلافة أخويه الوليد وسليمان حتى استدعاه الأخير للجهاد في القسطنطينية .

وقام مسلمة بن عبدالملك أثناء ولايته هذه بقيادة العديد من حملات الصوائف والشواتي[15] ، لتعزيز استقرار الحدود الشمالية للدولة ، بالإضافة لعدد من الإصلاحات الاجتماعية ، وقرب إليه الكثير من القبائل ، وعمل على استقرار الحدود الشمالية للدولة الأموية . وهذه الإصلاحات نجدها في كل حمله عسكرية يتوجه بها مسلمة خلال فترة ولايته الطويلة في هذه المنطقة . فقد كانت ارض بغرلمس لمسلمة بن عبدالملك فوقفها في سبيل البر ، وكانت عين السلور وبحيرتها له أيضا ، وكانت الإسكندرية له [16] ، والتي صارت بعدها لرجاء مولى المهدي ، كما إن مسلمة اقطع قوما من ربيعة قطائع كبيره صارت بعد ذلك للمأمون في أنطاكية[17] ، وما هذه القطائع إلا جزء من إجراء إداري اجتماعي اتبعه مسلمة في معظم حدود الدولة الشمالية أثناء ولايته عليها بقصد توطين العرب في هذه المناطق وتمازجهم مع السكان الأصليين . ومن إجراءاته الإصلاحية كذلك شقه لنهر عرف بنهر مسلمة إذ يروى إن جماعة من أهل بالس وبوبلس وقاصرين وعابدين وصفين قدموا لمسلمة وطلبوا منه أن يحفر لهم نهرا من الفرات ليسقي أراضيهم مقابل

---

13 – أبوجيب،سعدي،مروان بن محمد و أسباب سقوط الدولة الأموية،دار الفكر:دمشق،١٩٨٢،ص٦٣.

14 – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٧ ، ٢١٤ .

15 – سنناقش هذه الحملات بالتفصيل في الفصل الثالث المتعلق بالدور العسكري لمسلمة بن عبدالملك.

16 – انظر هامش رقم ١٣٦ في الفصل الأول .

17 – البلاذري، فتوح ، ص ص ١٤٩ – ١٥٠ .

الثلث من غلاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه فوافق وحفر لهم النهر ولم يكتف بذلك بل رمم سور المدينة واحكم تحصينه [١٨].

الفترة الثانية : ولاية العراقين[١٩] (١٠٢هـ/٧٢٠م)

جاء تولية مسلمة بن عبدالملك ولاية العراقين والتي ضمت كل من الكوفة والبصرة وخراسان[٢٠] ، مكافئة له من أخيه يزيد بن عبدالملك حين استطاع القضاء على ثورة يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م[٢١] ، وتشير الروايات التاريخية إنه لم يبق طويلا في هذه الولاية إذ ما لبث أن عزل في أواخر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م أو أول سنة ١٠٣هـ/٧٢١م [٢٢] ، وعاد إلى الشام بعدها وخلفه في هذه الولاية عمر بن هبيرة[٢٣]. يقول ابراهيم بيضون : " ويبدو إن مسلمة تطلع إلى إرضاء أخيه الضعيف ، ليتاح له من خلال طموحه في السيطرة على العراق مركز الثقل في الخلافة أن يكون رجل هذا العهد القوي"[٢٤] ، وربما نسي ابراهيم بيضون المواقف السابقة لهذه الحادثة والتي كان لمسلمة فيها شانا اكبر من ولاية العراقين إن كان حقا راغبا بولايتها أو بمركز مهم في الدولة ، كما إن عزله بطريقة مهينة كما سنرى لاحقا كان من الممكن أن يرفضها مسلمة وهو القائد العسكري ومكانته كبيرة مع وجود خليفة ضعيف كيزيد بن عبدالملك في السلطة ، ولكن مسلمة مثلما عُرف عنه كانت السياسة آخر همه ، وتولي المناصب كان لمعاونة إخوته الخلفاء ولاستقرار الدولة الأموية .

وكعادة مسلمة بن عبدالملك انتقى خيرة الرجال لمعاونته في إدارة العراقين . فولى على الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٢٥] ، إلا إننا نجد إن الفرزدق يمدح محمد بن منظور الاسدي بعد أن ولاه مسلمة الكوفة عقب مقتل يزيد بن المهلب [٢٦]، وبعد خروج آل المهلب من البصرة نهائيا تولاها شبيب بن الحارث التميمي الذي استطاع ضبطها ، فلما عين مسلمة واليا على العراقين رسميا عين على البصرة عبد

---

[18] – البلاذري، فتوح ، ص ص ١٥١– ١٥٢ .

[19] – مصطلح كان يطلق على العراق و خراسان ، حيث اتبع الأمويين سياسة إدارية واضحة في تبعية إقليم السياسية والإدارية لوالي العراق .

[20] – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٥٠ .

[21] – سنشير إليها بالتفصيل لاحقا في هذا الفصل .

[22] – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٣٧ .

[23] – ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٥٤٨ .

[24] – بيضون ، إبراهيم ، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ، دار النهضة العربية : بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٣٣٣.

[25] – يذكره ابن خلدون باسم محمد بن عمر بن الوليد.انظر:ابن خلدون،المصدر السابق،م ٣، ص٨٠.

[26] – الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، دار صادر : بيروت ، ب.ت ، م٢ ، ص ٢٧٠ .

الرحمن بن سليم الكلبي وعلى شرطتها عمر بن يزيد التميمي[٢٧]. ويذكر إن مسلمة بن عبدالملك أخذ من عسكر آل المهلب ألفين وثلاثمائة فبعث بهم إلى ذي الشامة واليه على الكوفة وكان صاحب الشرطة العريان بن الهيثم واللذان قاما بقتل كل من كان من بني تميم من هؤلاء وترك من كان فيهم من اليمانية والربعية[٢٨] .وكان مسلمة إداريا حازما مثلما كان عسكريا قويا ، وكان متابعا لولاته واعمالهم ولا ادل على ذلك من عزله المباشر لعبد الرحمن بن سليم عامله على البصرة حين أراد أن يستعرض لأهل البصرة ، حيث وجه مسلمة عبدالملك بن بشر بن مروان واليا على البصرة مباشرة ، وأقر عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث[٢٩]. أما خراسان فقد عين مسلمة عليها زوج ابنته سعيد بن عبدالعزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص المعروف بسعيد خذينه [٣٠] . إلا انه أساء استخدام السلطة فطلب جماعه من أهل خراسان عزله فعزله مسلمة وولى سعيد بن عمر الحرشي مكانه [٣١].كما قرب مسلمة إليه الحسن البصري الذي كان معارضا ليزيد بن المهلب كثيرا في البصرة.كما عين مسلمة على قضاء البصرة موسى بن انس بن مالك[٣٢] .

أما عن أسباب عزل مسلمة بن عبدالملك بعد أشهر فقط من تعيينه واليا على العراقين، فإننا لا نجد سببا مقنعا لذلك من خلال الروايات التاريخية والتي تتفق إن عدم رفع مسلمة لخراج العراق في ذلك العام هو سبب عزله فإننا نرى إن المسألة هي ابعد من مسألة خراج سنة واحده فقط كانت العراق قد مرت بحرب كبيرة فيها وهي ثورة يزيد بن المهلب ، يقو ل الطبري : "... وكان سبب ذلك فيما ذكر علي بن محمد إن مسلمة لما ولي من ارض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئا ، وان يزيد بن عاتكه أراد عزله فاستحيا منه وكتب إليه : أن استخلف على عملك واقبل . وقد قيل : إن مسلمة شاور عبدالعزيز بن حاتم بن النعمان في الشخوص لابن عاتكة[٣٣] ليزوره فقال له : امن شوق إليه! انك لطروب ، وان عهدك به لقريب . قال : لابد من ذلك ، قال : إذا لا تخرج من

---

27 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٥٠ .

28 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦٤ .

29 – الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٣٥٠ .

30 – عرف بهذا الاسم لأنه كان سهلا متنعما ، وحين قدم على خراسان قدمها على بخينة معلقا سكينا في منطقته ، فدخل عليه ملك أبغر وسعيد متفضل في ثياب فارهه وحوله حراسه ، فلما خـرج من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير؟ قال : خذينيه لمته سكينية ، فلقب بخذينة ، وخذينه هـي الدهقانه ربة البيت . انظر : المصدر نفسه ، ص ١٣٥٠ ، ويذكره البلاذري باسم سعيد حذيفه. انظر : البلاذري، فتوح، ص ٤١٢ .

31 – الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٣٥٠ .

32 – ابن خياط ،المصدر السابق ، ص٢١٥ .

33 – ابن عاتكة يقصد به الخليفة يزيد بن عبدالملك وكان يكنى باسم أمه عاتكة المخزومية .

عملك حتى تلقى الوالي عليه . فشخص فلما بلغ دورين[٣٤] لقيه عمر بن هبيرة على خمس من دواب البريد فدخل عليه ابن هبيرة فقال : إلى أين يا ابن هبيرة ؟ فقال : وجهني أمير المؤمنين في حيازة أموال بني المهلب ، فلما خرج من عنده أرسل إلى عبدالعزيز فجاءه فقال : هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى ، قال : قد أنبأتك فانه إنما وجهه لحيازة أموال بني المهلب . قال : هذا أعجب من الأول يصرف عن الجزيرة الفراتية [٣٥] ويوجه في حيازة أموال بني المهلب . قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم ، فقال الفرزدق في ذلك :

راحت بمسلمة الركاب مودعا فارعى فزارة لا هناك المرتع

عزل ابن بشر وابن عمرو قبله واخو هراة لمثلها يتوقع

ولقد علمت لئن فزارة أمرت أن سوف تطمع في الإمارة أشجع

من خلق ربك ما هم ولمثلهم في مثل ما نالت فزارة يطمع

يعني بابن بشر عبدالملك بن بشر بن مروان ، وبابن عمرو محمدا ذا الشامه بن عمربن الوليد ، وبأخي هراة سعيد خذينة بن عبدالعزيز[٣٦]. ونجد ذات الرواية لدى البلاذري إلا انه يضيف إن يزيد أرسل عمر بن هبيرة بحجة حيازة أموال بني المهلب لان يزيد الثاني استحيا أن يرسل لمسلمة قرار عزله مباشرة ، وهذا ما تؤكده الرواية . أضف إلى إن القرار كان مفاجئا لمسلمة نفسه بحسب رواية البلاذري " ... فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله وغلظته عليهم " [٣٧] . ونستطيع أن نستنتج عدة نقاط من هذه الروايات نجملها في التالي :

١- تم تعيين مسلمة بن عبدالملك واليا على العراقين في عام ١٠٢هـ /٧٢٠م بعد قضائه على ثورة يزيد بن المهلب وليس قبلها .

٢- تم عزل مسلمة بن عبدالملك في أواخر ١٠٢هـ/٧٢٠ أو بدايات ١٠٣هـ/٧٢١م .

٣- قرار العزل جاء بدون علم مسلمة بن عبدالملك ، إذ يتضح من رواية الطبري إن مسلمة قدم الشام بناء على طلب من يزيد له والتقى بابن هبيرة بالطريق ، بعدها جاء

---

34 – لم نجد أي ذكر لدورين لدى الحموي وإنما يذكر دوران وهي موضع بالقرب من الكوفة كان بها قصرا لإسماعيل القسري اخو خالد القسري وربما تكون هي ذاتها وإنما تغير الاسم مع تداول الروايات . انظر : الحموي ، المصدر السابق ، م٢، ص ١٨٠ .

35 – يذكر الطبري إن عمر بن هبيرة غزا أرمينية في هذا العام واسر منهم الكثير حوالي ٧٠٠ أسير. انظر: الطبري، المصدر السابق ، ج٤، ص ١٣٥٤.

36 – المصدر نفسه ، ص ١٣٥٤.

37 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٦٥ .

لمسلمة الخبر بعزل ابن هبيرة لعماله وبعزله ، وبرأي الباحثة فان هذا التصرف من يزيد الثاني به اهانة لمسلمة بن عبدالملك ولجهوده العسكرية والإدارية .

٤- مسألة خراج العراق كانت تبريرا ضعيفا تعذر به أغلب المؤرخين لتحليل قرار العزل المفاجئ والمهين لشخص مسلمة بن عبدالملك . إذ إن العراق كان خارج من حرب قوية مع يزيد بن المهلب والذي استولى على بيت المال في البصرة . ونؤكد رأي الاعظمي هنا في هذه المسالة إذ يقول : " فسبق لعبدالعزيز بن مروان عدم إرسال شيء من خراج مصر إلى دمشق ولم يكن ثم ما يدعوه إلى ذلك . وقبل ذلك فان عمرو بن العاص أيضا لم يبعث بشيء من خراج مصر إلى معاوية أثناء حربه مع علي ، وإذا كان عزل مسلمة يعود إلى عدم إرساله شيئا من خراج العراق فكيف يكون ذلك ومسلمة كان في حالة حرب مع يزيد بن المهلب وان هذا الأخير قد سيطر واخذ خراج العراق فقد ذكر إن يزيد بن المهلب استحوذ على بيت مال البصرة ووجد فيها عشرة آلاف درهم فرقها في أصحابه مما زاد في تقويتهم فمن أين يأتي مسلمة بالمال ليبعثه إلى يزيد ولم تمض على ولايته على العراق سوى أشهر قليلة ..." [٣٨].

٥- إن كان قرار العزل لحاجة الخليفة لقرب مسلمة منه في الشام ، بعد أن انصرف الخليفة عن الرعية لانشغاله بجاريته حبابه ولهوه معها ، فهذا أيضا لا يبرر طريقة العزل المفاجئة وغير المشرفة لشخص مسلمة بن عبدالملك ، فكان ينبغي على الأقل إن يعلم الخليفة مسلمة انه بحاجة له في الشام وانه استخلف ابن هبيرة مكانه .

٦- إن قرار العزل كما يبدو تدخلت فيه أطرافا لم تشر الروايات التاريخية مباشرة إليها ، إذ إن Rotter يرى إن تدخل مسلمة بن عبدالملك في مسألة ولاية العهد وحرمانه ابن أخيه الوليد ابن يزيد من توليها ، لعبت دورا في قرار العزل وعليه يشير Rotter فيقول : " ... تدخله – أي مسلمة – في مسألة ولاية العهد لصالح أخيه هشام وضد ابن أخيه الوليد بن يزيد أثرت على علاقته بالخليفة ولهذا لا نجده يمارس أي نشاط عسكري أو إداري بعد عزله من هذه الولاية ... "[٣٩] . ويشير البلاذري بتدخل أطراف في مسالة العزل فيقول : " وأقام مسلمة بن عبدالملك على العراق ثمانية أشهر ويقال ستة أشهر ، فقدح فيه عند يزيد بن عبدالملك ، وقيل انه غير مأمون على الخراج ، وليس هو ممن يكشف عنه فعزله وولى العراق عمر بن هبيرة " [٤٠].

٧- يذكر لنا صاحب الأغاني إن حبابة وأطراف من بني أمية هي التي تدخلت في مسالة عزل مسلمة بن عبدالملك حيث نجد لديه رواية لا توردها المصادر التاريخية

---

[38] – الاعظمي ، المرجع السابق ، ص ص ١٤٥ – ١٤٦ .

[39] – Rotter, Op.Cit .p740.

[40] – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٥٢٦ .

كالطبري أو البلاذري ، حيث يقول :" ...وحسد ناس من بني أمية مسلمة بن عبدالملك على ولايته وقدحوا فيه عند يزيد وقالوا إن مسلمة أن اقتطع الخراج لم يحسن يا أمير المؤمنين أن يعيشه وان يستكشف عن شيء لسنه وخفته ، وقد علمت إن أمير المؤمنين لم يدخل أحدا من أهل بيته في الخراج ، فوقر ذلك في قلب يزيد وعزم على عزله ، وعمل ابن هبيرة في ولاية العراق من قبل حبابة فعملت له في ذلك ، وكان بين ابن هبيرة وبين القعقاع بن خالد عداوة ، وكانا يتنازعان ويحاسدان ، فقيل للقعقاع لقد نزل ابن هبيرة من أمير المؤمنين منزلة انه لصاحب العراق غدا ، فقال ومن يطيق ابن هبيرة ، حبابة بالليل وهداياه بالنهار ، مع انه وان بلغ فانه رجل من بني سكين . فلم تزل حبابة تعمل له في العراق حتى وليها "[41].إلا إن خريسات يرفض رواية الأصفهاني هذه ويؤكد ذلك فيقول : " لقد بالغت المصادر في سيطرة حبابة على يزيد بن عبدالملك حتى جعلتها وراء تعيين عمر بن هبيرة على العراق .

والواقع إن عزل يزيد لمسلمة عن العراق ، لم يكن إلا لعدم رفعه شيئا من الخراج . فاستبدله بابن هبيرة ، ولم يبرز هذا الاهتمام إلا عندما حدث خلاف بين القعقاع بن خويلد الاسدي وابن هبيرة ... فبنى الناس على هذه المشادة دور حبابة في تعيين ابن هبيرة على العراق"[42]. الواقع إن مكانة حبابة لدى الخليفة يزيد بن عبدالملك لم توردها المصادر المعادية للأمويين أو تلك التي لأصحابها ميل للعلويين كالأصفهاني مثلا فقط بل أوردتها المصادر التاريخية المعتد بها كالطبري والبلاذري وابن عساكر وغيرهما ، ولم تكن مبالغة تصوير العلاقة كما وجدناها من خلال الروايات التاريخية وذلك لان الخليفة يزيد بن عبدالملك لم يكن أول ولا آخر خليفة تحمله أهوائه لإتباع رأي جارية له أو حتى إن كانت امرأة له ، ليس في التاريخ الأموي ولا العباسي بل في التاريخ الإنساني أجمع .

وبرأي الباحثة فان قرار العزل به الكثير من الحلقات المفقودة ، والتي لا تسعفنا الروايات التاريخية في الوصول لحقيقة واحده واضحة بشأنه، وان كان تدخل حبابة بالمسألة حتما كان له تأثيره على اتخاذ الخليفة يزيد القرار فيه . وهكذا جاء القرار تعسفيا في وقت قصير وتعيين ابن هبيرة الفزاري القيسي له أبعاده الكثيرة على اليمانية بالعراق

---

41 – الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٣ ، ص ١٥٠ .

42 – خريسات ، محمد عبدالقادر ، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط (٤١هـ-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) ، مؤسسة حمادة : اربد ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٥٤ .

والذين لم تهدأ أنفسهم مما حدث لآل المهلب [٤٣] . مما سيجعل العراق منطقة ثورات دائمة ضد الدولة الأموية .

الفترة الثالثة: ولاية أرمينيا وأذربيجان (١٠٧هـ/٧٢٥م – ١١١هـ/٧٢٩م)

تولى هذه الولاية في عهد أخيه هشام بن عبدالملك والذي تولى الخلافة بعد وفاة يزيد ابن عبدالملك سنة ١٠٥ هـ/٧٢٤م ، حفظا لذلك الثغر [٤٤] من حملات الخزر [٤٥] ، الذين ازداد نشاطهم في هذه الفترة التاريخية ، ولهذا لم يجد هشام اقدر من أخيه مسلمة للحفاظ على استقرار هذا الثغر ، وقام مسلمة أثناء ولايته هذه بالعديد من الحملات العسكرية ضد الترك ووصلت حملاته إلى السند في عام ١٠٩هـ/٧٢٧م ، وهذه هي أول مره يرد ذكر مناطق خارج بلاد الروم يغزوها مسلمة بن عبدالملك.تولى مسلمة أرمينية وأذربيجان بعد عزل هشام للجراح بن عبدالله الحكمي سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م [٤٦] ، ووجه مسلمة لإدارتها أثناء عملياته العسكرية الحارث بن عمرو الطائي [٤٧]. ونظرا لقصر ولايته هذه فإننا لا نجد لمسلمة انجازات إصلاحية على النطاقين السياسي والاجتماعي في هذه المنطقة عدا حملاته على الترك والسند وأرمينية خلال فترة ولايته هذه . وتم عزل مسلمة سنة ١١١هـ/٧٢٩م أيضا دون ذكر لأسباب عزله ، إلا إننا نرى انه إحدى سببين لقرار العزل هذا ، أولهما حاجة الخليفة هشام لأخيه مسلمة للتشاور معه بالشام ، أو لأسباب مرضيه ألمت بمسلمة بن عبدالملك والذي لم يتمتع بصحة جيدة في أي وقت من الأوقات [٤٨]. وتولى إمارة هذا الثغر الجراح بن عبدالله الحكمي [٤٩] ، والذي ما لبث أن قتل في عام ١١٢هـ/٧٣٠م [٥٠] فولي هشام سعيد بن عمرو الحرشي عليها [٥١].

---

43 – للتفاصيل انظر : ضرار ، صالح ضرار ، العرب من معين إلى الأمويين ، ط٥ ، الدار السودانية للكتب : الخرطوم ، ١٩٨١م ، ص ص ١٤٧ – ١٥٠ ، انظر كذلك : ولهاوزن ، المرجع السابق ، ص ص ٢٥٧ – ٢٥٨

44 – الذهبي ، تاريخ ، ج٧ ، ص ٤٦٨ .

45 – قبائل كانت تسكن على بحر الخزر (بحر قزوين حاليا) فعرفت باسم البحر . وبحر الخزر تطل عليه مدينة الباب (باب الأبواب) وعليه جبال موقان وطبرستان وجبل جرجان . للتفاصيل عن بحر الخزر . انظر : الحموي، المصدر السابق،م١،ص ص ٣٤٢-٣٤٣.

46 – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

47 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٣٧ .

48 – شعبان ، محمد عبدالحي ، صدر الإسلام والدولة الأموية (٦٦٠-٧٥٠م (١٣٢هـ)) ، الأهلية للنشر والتوزيع : بيروت ، ١٩٨٧ ، ص ص ١٦١ – ١٦٢

49 – الطبري، المصدر السابق ،ج٤، ص١٣٧٩.

50 – يقول الفرزدق في رثائه : وقائمة قامت فقالت لنائح تفيض بعينيه الدموع السواجم
لقد صبر الجراح حتى مشت به إلى رحمة الله السيوف الصوارم-

الفترة الرابعة: ولاية أرمينيا وأذربيجان (١١٣هـ/٧٣١م – ١١٤هـ/٧٣٢م)

تولاها مسلمة بعد عزل الخليفة هشام لسعيد بن عمرو الحرشي سنة ١١٣هـ/٧٣١م[٥٢]. حيث أرسل الخليفة هشام بن عبدالملك كتابا إلى سعيد بن عمرو الحرشي يعلمه بتولية مسلمة بن عبدالملك امارة الثغر. إلا انه يبدو إن مسلمة تأخر بالقدوم لأرمينية في الوقت الذي ازداد فيه خطر الخزر فتحرك الحرشي بقواته لقتالهم. فلما وصل مسلمة إلى مدينة برذعه[٥٣] فنزلها ، ثم أرسل إلى الحرشي فلما جاءه ودخل عليه قال له مسلمة :" يا سعيد ! الم يأتك كتابي أمرتك فيه أن لا تتعرض لحرب الخزر حتى أقدم عليك! فلم هوّنت بنفسك وخاطرت بمن معك من المسلمين؟ فقال الحرشي : أصلح الله الأمير ! انه لم يرد علي كتابك إلا بعدما هزم الله الخزر وأمكن منهم ، ولو ورد علي كتابك قبل ذلك لما تعديت أمرك ، فقال مسلمة : كذبت ، ولكن أحببت إن يقال : فعل الحرشي ، وقتل الحرشي، وصرم الحرشي ، فقال الحرشي : إني لم أرد ذلك ولكني أردت ما عند الله ، وكان الرأي ما صنعت ، والأمير أصلحه الله يعلم إن هذا كما أقول – والسلام . قال : فغضب مسلمة من ذلك ، ثم أمر بالحرشي فجئ به وشتمه وأمر بلوائه فضرب على رأسه وسحب برجله إلى السجن "[٥٤].

إلا إن في رواية ابن أعثم شيء من المبالغة الواضحة في كيفية معاملة مسلمة للحرشي ، حيث أننا لا نجد في تاريخ مسلمة الإداري والعسكري تصرفا يشبه هذا أو يماثله فكيف يعامل مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي بهذه الطريقة وهو من رجال الدولة الكبار والذي له من الفضل الكبير للدولة الأموية ايضا . والروايات تختلط في هذه الحادثة ففي الوقت الذي يشير فيه البلاذري إلى إن مسلمة أرسل كتابا إلى الحرشي " يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه ويعلمه انه قد ولي عسكره عبدالملك بن مسلم العقيلي ، وكان مع الحرشي إسحاق بن مسلم العقيلي وإخوته وجعونه بن الحارث بن خالد احد بني عامر بن ربيعة بن صعصعة وذفافة وخالد ابنا عمير ابن الحباب السلمي والفرات بن سلمان الباهلي والوليد بن القعقاع العبسي فواقع الخزر وقد حاصروا ورثان فكشفهم عنها وهزمهم ، فاتوا ميمذ من أعمال أذربيجان "[٥٥].نجد لدى ابن اعثم رواية مشحونة بالمعاملة القاسية والظالمة

–انظر : ديوان الفرزدق ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ٢٥١ .

51 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٣٨.

52 – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ٢٢٢ .

53 – برذعة : بلد في أقصى أذربيجان ، وتعرف بقصبة أذربيجان . انظر : الحموي ، المصدر السابق، م١ ، ص ٣٧٩.

54 – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٨٠

55 – البلاذري ، فتوح، ص ص ٢٠٤– ٢٠٥ .

له والتي لا نجد لها ذكرا لدى البلاذري والذي يستطرد في روايته فيقول إن مسلمة كتب بأمر الحرشي للخليفة هشام واعلمه ما كان من الحرشي ، والذي رد عليه ببيت شعر جاء فيه :

أنتركهم بميمذ قد تراهم   وتطلبهم بمنقطع التراب

وأمر بإخراج الحرشي من السجن " [٥٦] . وما يجعلنا نشكك في مدى مصداقية رواية ابن أعثم الكوفي هذه وما فيها من المبالغة في معاملة مسلمة للحرشي إنها رواية فردية ولا نجدها في مصادر متقدمة كالطبري أو البلاذري ، فالطبري لا يشير لهذه الحادثة في أي من أحداث سنة ١١٣هـ /٧٣١م ، والبلاذري كما ذكرنا سابقا أشار إليها باقتضاب، كما انه كما رأينا في الفصل السابق فانه ليس من أخلاق مسلمة بن عبدالملك معاملة عمال الدولة الكبار خاصة كسعيد الحرشي بهذه الصورة . ويشير اليعقوبي لهذه الحادثة فيقول : " وولى هشام مسلمة بن عبدالملك أرمينية وأذربيجان سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م[٥٧] ، فوجه سعيد بن عمرو الحرشي على مقدمته... "[٥٨] ، وفي هذا تناقض واضح مع الروايات السابقة ، فسعيد ابن عمرو الحرشي كان واليا عام ١١٣هـ/٧٣١م وليس قبل ذلك ، وعليه فان اليعقوبي خلط بين أحداث الفترة الأولى لإدارة مسلمة لأرمينية وبين الفترة الثانية . كما إن اليعقوبي يشير هنا إن الحرشي كان من ضمن جيش مسلمة في حين انه كان واليا على أرمينية وأذربيجان في هذه الفترة وكان مسلمة يتحرك بجيشه لقتال الترك عام ١١٣هـ/٧٣١م في مدينة الباب[٥٩] قبل أن يأتيه قرار التعيين بالولاية ، وحينها وصل الكتاب إليه بتعيينه واليا خلفا للحرشي .

ما يهمنا إن مسلمة تولى إمارة هذا الثغر مرة أخرى نظرا لحاجة الخليفة لتواجد مسلمة هناك للقضاء على ثورات الترك المتزايدة في هذه الجهة من حدود الدولة الإسلامية. فقام مسلمة بذلك خير قيام [٦٠] . كما انه لا يخفى علينا القدرة الإدارية لمسلمة والتي ظهرت في إدارته لهذا الإقليم سابقا سواء في عهد الوليد بن عبدالملك أو في عهد هشام بن

---

[56] – البلاذري ، فتوح ، ص ص ٢٠٤– ٢٠٥.لمزيد من التفاصيل انظر:ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٤، ص ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

[57] – إشارة للإمارة الأولى لمسلمة على أرمينية وأذربيجان .

[58] – اليعقوبي ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ٣١٧ .

[59] – هي مدينة الدربند ويقال دربند انو شروان . وفي وسطها مرسى السفن وتطل على بحر الخزر ، وهي مدينة تكون اكبر من اردبيل نحو ميلين في ميلين ولهم زروع كثيرة وثمار قليلة ، وهي احد الثغور الجليلة العظيمة لأنها كثيرة الأعداء الذين حفوا بها من أمم شتى . انظر للتفاصيل : الحموي ، المصدر السابق،م١،ص ص ٣٠٢–٣٠٦.

[60] – سنتعرض لقضاء مسلمة على ثورة الخزر في أذربيجان بالتفصيل في الفصل القادم المختص بالأدوار العسكرية لمسلمة بن عبدالملك .

عبدالملك . فقد سار مسلمة بالمسلمين حتى نزل حيزان[٦١] من ارض الشروان[٦٢] ، وعندما رفض أهلها الخضوع للدولة الإسلامية وبعد حصار طويل اشتد فيهم الجوع والعطش عليهم طلبوا الأمان من مسلمة فأعطاهم إياه ، إلا أنهم لم يستوثقوا فقاتلوا المسلمين حتى قتلوا وهدم حصنهم وأمر مسلمة بنسائهم وأولادهم فأسكنهم ارض حيزان[٦٣] . كما إن لمسلمة بها ضياع تعرف باسم حوز خيزان[٦٤] ، كما إن مسلمة حين فتح مدينة الباب عمل على إتباع نظام التوطين للقبائل العربية في هذه المناطق ، حيث قسمت المدينة أربعة أرباع حيث جعل ربعا لأهل دمشق وربعا لأهل حمص وربعا لأهل فلسطين وربعا لسائر أهل الشام ، وهي اليوم لا تعرف إلا بهم ، كما انه أمر واليا عليها واحد من خيرة أصحابه ويدعي فرير بن سويد الثعلبي وأمره أن يجعل أبرجة المدينة مخازن للحنطة والشعير والسلاح ، وان يقيم شرف المدينة ويغلق عليها أبوابا من الحديد ، ثم جعل مسلمة رتبة[٦٥] مدينة الباب مائة دينار وعشرة دنانير في كل سنة غير القمح والزيت والرزق شهرا بشهر[٦٦].

استمرت ولاية مسلمة لهذا الإقليم حتى عام ١١٤هـ/٧٣٢م ، واختلف المؤرخون في تفسير أسباب انتهاء هذه الولاية هل عزله الخليفة أم انه تنازل عنها من تلقاء نفسه. فالطبري يروي رجوع مسلمة عن مدينة الباب دون إن يربطه بانتهاء ولاية مسلمة ومن ثم يذكر تولية هشام لمروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان فيقول " ... وفيها – أي سنة ١١٤هـ– قفل مسلمة بن عبدالملك عن الباب بعدما هزم خاقان وبنى الباب فاحكم ما هنالك ... وفي هذه السنة ولى هشام مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان ..."[٦٧] . ويؤكد ابن أعثم ذلك حيث يذكر إن مسلمة بن عبدالملك استخلف مروان بن محمد وعاد للشام[٦٨] من تلقاء نفسه دون الحاجة لطلب من الخليفة بذلك واقر الخليفة مروان على ولايته التي

---

[61] – يذكرها البلاذري باسم خيزان . انظر :البلاذري ، فتوح ، ص٢٠٥. والأصل حيزان وهي بلدة كثيرة الشجر والبساتين والمياه وقيل هي من مدن أرمينية بالقرب من شروان . انظر : الحموي، المصدر السابق ، م٢ ، ص ٣٣١ .

[62] – شروان : مدينة من نواحي باب الأبواب (الدربند) ، بناها انوشروان فعرفت باسمه . انظر : الحموي ، المصدر السابق ، م ٣ ، ص ٣٣٩ .

[63] – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٨٢ .

[64] – البلاذري ، المصدر السابق ، ص٢٠٥ .

[65] – رتبة أي عطاء المدينة .

[66] – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ص ص ٢٨٢ – ٢٨٨ . انظر أيضا : حسين ، صابر محمد دياب ، أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري ، دار النهضة العربية : القاهرة ،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٥١ .

[67] – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٨٨ .

[68] – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

استخلفه عليها مسلمة . فابن خلدون يذكر إن مروان بن محمد خرج متسللا من جيش مسلمة إلى الشام حيث شكا للخليفة " تخاذله – أي مسلمة – عن الغزو ، وما ادخل بذلك على المسلمين من الوهم ، وبعث إلى العدو بالحرب وأقام شهرا حتى استعدوا وحشدوا ودخل بلادهم فلم يكن له فيهم نكاية وقصد وأراد السلامة ..." [٦٩]. ويؤكد اليعقوبي هذه الرواية . وترى الباحثة إن مسلمة بن عبدالملك قد بلغ منه الإجهاد مبلغه بعد غزوة الخزر هذه واستخلف مروان بن محمد وعاد للشام ليقضي باقي حياته في مقاطعاته في شمال سوريا بين حران والرقة[٧٠]، ولا يمكن أن نقبل رواية وشاية مروان بن محمد إنها صحيحة نظرا لعمق العلاقة وقوتها بين الأمير مسلمة وأخيه الخليفة هشام وان كان البعض ربط بين مسألة الحرشي وقرار العزل[٧١] ، ولكننا لا نميل لهذا القول مطلقا ، فان كان مسلمة أعياه المرض في الفترة الأولى من ولاية هذا الإقليم فحتما ارتأى انه بعد هزيمة الخزر بإمكانه العودة للشام وترك الأمور لقائد قادر على تسيير الأمور وهو مروان بن محمد والذي سنجده يحذو حذو مسلمة في أعماله الإدارية والعسكرية ، كما لا نغفل إن هشام أضاف الجزيرة الفراتية لمروان بن محمد لحاجته له في تلك المنطقة .

ثانيا : القضاء على الثورات الداخلية المهددة لاستقرار الدولة الأموية

كان لمسلمة بن عبدالملك من المساهمات الكثيرة في تثبيت أركان الدولة الأموية على الصعيد الداخلي ، فمنها كما أسلفنا آنفا أدواره الإدارية والتي اثبت فيها قدرات إدارية كبيرة ساهمت في الحفاظ على استقرار الحدود الشمالية للدولة وكذلك حفاظه على العراقين والاستقرار فيهما على الرغم من قصر ولايته فيها . كما ساهم في هذا الاستقرار من خلال قيادته العسكرية للقضاء على ثورات داخلية عصفت بالدولة الأموية وكانت لها أبعادها الكبيرة لولا جهود هذا القائد الكبير في القضاء عليها ، وسنركز في حديثنا هنا على اثنتين من أهم الثورات الداخلية التي كانت لها آثارها على الدولة الأموية ، وهما الثورتان اللتان قاد الجيش الأموي فيهما مسلمة بن عبدالملك بن مروان .

---

69 – ابن خلدون ، المصدر السابق ، م٣ ، ص ٩١ . ويوافق ابن خلدون البدراني حيث يقول إن هشام اقتنع بمقدرة مروان بن محمد العسكرية وعدم مقدرة مسلمة العسكرية لاستكمال الفتح في هـذه الجهة . للتفاصيل انظر : البدراني ، جاسم محمد جاسم ، الوفادات على الخلفاء الأمويين ، دار الكتاب الثقافي : اربد ، ٢٠٠٥ ، ص ص ١٠٣ – ١٠٤ .

70 – Rotter,Op.Cit ,p740

71 – يرى الاعظمي إن تصرف مسلمة مع سعيد الحرشي قد يكون هو السبب الأساسي فـي عزلـه خاصة وان سعيد الحرشي قد عين من قبل الخليفة هشام فعزلـه مـسلمة دون أن يأخـذ رأي الخليفة وليس بسبب ضعف في مقدرة مسلمة العسكرية . للتفاصيل انظر ، الاعظمي ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

أولا : القضاء على ثورة شوذب الخارجي

حدثت هذه الثورة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٨هـ/ ٧١٧م-١٠١هـ/٧١٩م) وكانت العراق مسرحا لها واستمرت حتى خلافة يزيد بن عبدالملك. كان والي عمر على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن في سنة ١٠٠هـ/٧١٨م حين خرج عليه أحد الخوارج ويدعى شوذب واسمه بسطام من بني يشكر وكان خروجه بجوخي[٧٢] في ثمانين فارسا أكثرهم من ربيعة [٧٣]. وهنا تعامل الخليفة عمر مع هذه الثورة بطريقتين أولهما من خلال مناظرة الخوارج والثانية الطريقة العسكرية وأمر واليه أن يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يتحرك نحوهم إلا إذا بدءوا هم بالحرب فان فعلوا فعليه أن يولي أمر القتال رجلا قويا يستطيع التعامل مع هذه الثورة ، فجهز الوالي جيشا بقيادة محمد بن جرير البجلي في ألفين من أهل الكوفة ، في ذات الوقت بعث الخليفة عمر إلى بسطام يدعوه يسأله عن دعواه وأسباب خروجه على الدولة ، ووصل الكتاب في نفس الوقت الذي وصل فيه الجيش الأموي لقتالهم واستطاعت الخوارج هزيمة الجيش الذي أرسله الوالي ، فبلغ الخبر عمر بن عبدالعزيز فلم يجد قائدا للجيش الشامي خير من ابن عمه ومستشاره مسلمة بن عبدالملك [٧٤]، وأرسل الخليفة لواليه رسالة واضحة اللهجة حيث قال له : " قد بلغني ما فعل جيشك جيش السوء ، وقد بعثت مسلمة بن عبدالملك فخل بينه وبينهم "[٧٥] ، واستطاع مسلمة بالفعل القضاء على هذه الثورة وان كان زعيمها بسطام لم يقتل آنذاك كما سنرى لاحقا. في نفس الوقت أرسل الخليفة لبسطام كتابا جاء فيه " انه بلغني انك خرجت غضبا لله ولنبيه ولست بأولى بذلك مني ، فهلم أناظرك فان كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وان كان في يدك نظرنا في أمرنا " فرد بسطام للخليفة "أن قد أنصفت وقد بعثت إليك برجلين يدارسانك ويناظرانك"[٧٦] ويورد لنا الطبري تفاصيل المناظرة فيقول : " ...اخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك، قال: صيره غيري. قالا:أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه؟ أتراك كنت أديت

---

72 – لم نجد لها ذكر لدى الحموي ، لكنه يذكر اسم كورة بالقرب من نهر في سواد العراق اسمها جوخا وهي طيبة وخراجها ثمانين ألف ألف درهم ، قد تكون هي المقصودة هنا . راجع : الحموي ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ١٧٩ . يذكر الطبري إن جوخي قريبة من المدائن قريب النهروان . انظر : الطبري ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ص ٩٠٩ ، ٩٥٤ .

73 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٣٠ .

74 – هذا أول ظهور عسكري لمسلمة بن عبدالملك في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز بعد إعادة الأخير لجيش مسلمة من حصار القسطنطينية .

75 – المصدر نفسه ، ص ١٣٣٠ .

76 – المصدر نفسه، ص ١٣٣٠ . الرجلين هما ممزوج مولى بني شيبان والآخر من صلبية بني يشكر .

الأمانة إلى من ائتمنك ؟ قال : انظراني ثلاثا فخرجا من عنده ، وخاف بنو مروان أن يخرج ما عندهم وفي أيديهم من الأموال وان يخلع يزيد فدسوا إليه من سقاه سما فلم يلبث بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثا حتى مات " [٧٧]. وهنا نرى إن مسلمة بن عبدالملك سيعود للشام حين بلغه خبر مرض الخليفة عمر بن عبدالعزيز بدليل إن ثورة الخوارج ستستمر حتى خلافة يزيد بن عبدالملك .

ويروى انه حين توفي عمر بن عبدالعزيز أراد عبد الحميد بن عبدالرحمن أن يحظى عند يزيد بن عبدالملك فكتب إلى محمد بن جرير يأمره بمحاربة شوذب وأصحابه ،ولم يرجع رسولا شوذب ، ولم يعلم كذلك بموت الخليفة عمر فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب أرسل إليه شوذب : ما أعجلك قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم ! اليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب!فأرسل إليهم محمد : انه لا يسعنا تركم على هذه الحالة . فأدركت الخوارج أن الخليفة عمر بن عبدالعزيز قد مات فاستعدوا للقتال واقتتلوا فهزمت الخوارج جيش محمد بن جرير البجلي وتبعوهم حتى الكوفة حيث احتموا بعبد الحميد بن عبدالرحمن . وحين تولى يزيد بن عبدالملك الخلافة اقر عبد الحميد بن عبدالرحمن على ولايته وأرسل إليه تميم بن الحباب في ألفين ، لتهزمهم الخوارج مرة أخرى ، فبعث الخليفة يزيد بإمدادات بقيادة نجدة بن الحكم الازدي فقتل وقتل الكثير معه ومنهم ابن عم بسطام ، وأرسل إليهم يزيد الشحاج بن وداع في ألفين فراسلهم وراسلوه حتى قتل [٧٨]. وهنا استعان الخليفة يزيد بن عبدالملك بأخيه مسلمة كما استعان به عمر بن عبدالعزيز من قبل ، فتقدم مسلمة بجيش حتى وصل الكوفة وشكا له أهلها أمر شوذب وصحبه ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي وكان فارسا فعقد له على عشرة ألاف ووجهه إليه ، وكان شوذب قد بلغ منه التعب مبلغه ، وكاد الحرشي أن يهزم هو الأخر لولا انه استطاع رفع معنويات جنده فحملوا على الخوارج فقتلوهم وقتل شوذب وفرسانه منهم الريان بن عبدالله اليشكري [٧٩].

ثانيا : ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة

لم تكد العراق تهدأ بعد القضاء على شوذب الخارجي حتى وصل للبصرة يزيد بن المهلب واستولى عليها واخذ عامل يزيد بن عبدالملك عليها عدي بن أرطأة الفزاري فحبسه وخلع يزيد بن عبدالملك [٨٠].وقبل الحديث عن هذه الثورة لابد من الإشارة إلى مكانة آل المهلب في الدولة الأموية وكيف أدت الأحوال بهم إلى الثورة على الدولة الأموية وهم كانوا من قادتها وأمرائها والمدافعين عنها ضد الثورات الأخرى . ينتمي آل المهلب إلى

---

77 – الطبري، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٣١ .

78 – المصدر نفسه ، ص ١٣٣٨-١٣٣٩ .

79 – المصدر نفسه ، ص ١٣٣٩ .

80 – المصدر نفسه ، ص ١٣٣٩.

قبيلة العتيك الازدية وهم من أحفاد الحارث بن العتيك ، وجدهم أبو صفره يعرف باسم ظالم ابن سراق وله تسعة عشرة ولدا وثماني بنات، من أشهر أبنائه المغيرة والمهلب ، وكان ظالم بن سراق شريفا في قومه مقدما فيهم ، فلما اسلم زاد شرفه وقدّمه قومه، وتوفي بالبصرة في ولاية عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب لعلي بن أبي طالب ، وكان ابن عباس صلى عليه وقال : لقد دفنا اليوم سيد هذه النفرة [٨١].وورث المهلب من أبيه كل الصفات القيادية ، وكان أبوه قد ادخله على علي بن ابي طالب فدعا له ، وبرزت شخصيته العسكرية منذ أيام معاوية بن أبي سفيان ، وقيل انه لم يكن في وقت المهلب في جميع العراق وقبائل العرب رجل منهم بقي في الحزم والعزم والعلم والصدق والأمانة والوفاء والرواية للحديث والخطابة والبلاغة والشعر والبيان ، الذي ليس في الأرض مثله . وكان للمهلب ثلاث وعشرين ابنا وإحدى عشرة بنتا ، أشهرهم يزيد وحبيب والحجاج والمغيرة والمفضل وعبدالملك وعمرو وأبو عيينة ومروان وهند [٨٢]. وكان اكبر ظهور للمهلب على الساحة العسكرية في حرب الخوارج زمن عبدالملك بن مروان ، إذ استطاع بقوته وبولاء أهله وعشيرته له من القضاء على حركات الخوارج التي كانت تشكل تهديدا خطيرا على الاستقرار والأمن في الدولة الأموية .ويروى في هذا الشأن إن البصرة كانت تعرف ببصرة المهلب ، وكذلك كان يكتب على الأموال بهذه العبارة ، وكان أهل الكوفة يقولون لأهل البصرة يا موالي المهلب . وولاه عبدالملك ابن مروان خراسان وجوارها وظل بها حتى وفاته ، واستخلف ابنه يزيد على خراسان واقره عبدالملك على ذلك رغم معارضة الحجاج لذلك. [٨٣] ويعلل العوتبي رفض الحجاج لولاية يزيد بن المهلب على خراسان لحسد الحجاج من المهلب وولده[٨٤] ، وربما في هذا شيء من الصحة ، وقد يعود السبب في ذلك لخوف الحجاج من ازدياد نفوذ آل المهلب ومواليهم في خراسان وما جاورها من المناطق التي تم فتحها . إلا إن الحجاج نجح في مساعيه وعمل على عزل يزيد بن المهلب في خلافة الوليد ابن عبدالملك وولاها المفضل بن المهلب والذي ما لبث أن عزله بعد أشهر فقط وعين قتيبه ابن مسلم الباهلي مكانه [٨٥]. ولما بويع سليمان ابن عبدالملك بالخلافة سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م ، ونظرا لمواقفه من آل الحجاج بن يوسف وقرب آل المهلب منه فأعاد إليهم سلطتهم في

---

81 – لمزيد من التفاصيل حول أبو صفرة ظالم بن سراق ومكانته في الدولة الإسلامية راجع:العوتبي ، سلمه بن مسلم (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) ، الأنساب ، ط٣، وزارة التراث القومي والثقافة : مسقط.١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، ج٢ ، ص ص ١٢٠-١٢٨.

82 – المصدر نفسه ، ص ص ١٢٨-١٢٩ .

83 – المصدر نفسه ، ص ص ١٣٦،١٣٨، ١٤٠-١٤١.

84 – المصدر نفسه ، ص ص ١٤١ – ١٤٢ .

85 –للتفاصيل انظر : المصدر نفسه ، ص ص ١٤٢-١٤٧ . انظر أيضا : البطاشي ، سيف بن حمود، تاريخ المهلب القائد وال المهلب ، ب.د:ب.م ، ١٩٨٨م ، ص ص ٧٨، ٨٢ .

خراسان مرة أخرى[86] ، إلا أنها عادت و تزعزعت مع تولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة عام ٩٩هـ/٧١٧م ،حيث يذكر الطبري : " ... وقد كان عمر يبغض يزيد وأهل بيته ويقول : هؤلاء جبابرة ، ولا أحب مثلهم . وكان يزيد بن المهلب يبغض عمر ويقول : إني لأظنه مرائيا ..." [87]. بحيث يمكننا اعتبار هذا العداء بين الخليفة عمر بن عبدالعزيز ويزيد ابن المهلب البداية الفعلية لنهاية آل المهلب في الدولة الأموية. إذ ما لبث أن عزل عمر بن عبدالعزيز يزيد بن المهلب عن خراسان بل وحبسه بحجة عدم إرسال يزيد خراج خراسان للشام ، وظل يزيد بالسجن حتى هرب منه مع اشتداد مرض الخليفة عمر بن عبدالعزيز وخشية يزيد بن المهلب من يزيد بن عبدالملك عند توليه الخلافة . وكتب يزيد لعمر بن عبدالعزيز بعد هربه يقول له :" إني والله لو علمت انك تبقى ما خرجت من محبسي ، ولكني لم آمن يزيد بن عبدالملك ، فقال عمر: اللهم أن كان يزيد يريد بهذه الأمة شرا فاكفهم شره ، واردد كيده في نحره "[88].وبالفعل ومع تولي يزيد الثاني أمور الخلافة في الدولة الأموية أخذت مأساة آل المهلب مسارا آخرا ، حيث ستبدأ ثورة يزيد على الدولة الأموية فعليا بسبب الخلاف بينهما، وتعود أسباب هذا الخلاف إلى أيام الخليفة سليمان بن عبدالملك حيث أن زوجة يزيد بن عبدالملك هي بنت أخي الحجاج بن يوسف والذي كان سليمان بن عبدالملك قد أمر يزيد بن المهلب بتعذيب أقرباء الحجاج ومنهم زوجة يزيد بن عبدالملك ، ولم تنفع شفاعة يزيد الثاني عند يزيد بن المهلب فهدده يزيد بن عبدالملك فرد عليه يزيد بن المهلب : لئن وليت أنت لأرمينك بمائة ألف سيف ، ففداها يزيد الثاني بمائة ألف دينار [89] . ومع هروب يزيد بن المهلب من السجن مر بأحد الزقاق وفيه الهذيل بن زفر مع قيس فاتبعوا يزيد بن المهلب حيث مر بهم فأصابوا طرفا من ثقله وغلمة من وصفاته فأرسل الهذيل بن زفر في أثارهم فردهم فقال : ما تطلبون ؟ اخبروني أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحدا من قومه بتبل؟فقالوا: لا ، قال : فما تريدون ؟ إنما هو رجل كان

---

[86] -يذكر إن الحجاج قد حبس يزيد وإخوته سنة٨٦هـ/٧٠٤م وعزل حبيب بن المهلب عن كرمان، فأقاموا في حبسهم حتى سنة ٩٠هـ/٧٠٨م ، وبلغه إن الأكراد غلبوا على فارس فعسكر قريبا من البصرة ، واخرج معهم أولاد المهلب وجعلهم في خيمة قريبه منه وشدد الحراسة عليهم ، وطلب منهم ستة آلاف ، وأمر بتعذيبهم فبكتهم أختهم هند التي كانت زوجة للحجاج فطلقها ، ثم ما لبثوا أن استطاعوا خداع الحجاج وحرسه فهربوا حتى قدموا الشام حيث استجاروا بسليمان بن عبدالملك وظل يزيد هناك حتى وفاة الوليد بن عبدالملك . انظر التفاصيل في الطبري،المصدر السابق،ج٤،ص ص١٢٦٩-١٢٧١.انظر أيضا: ابن خلدون،المصدر السابق،م٣،ص ص٦٤-٦٥.

[87] - الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٣٣١ .

[88] - المصدر نفسه ، ص ص ١٣٣١، ١٣٣٤ .

[89] - ابن خلدون ، المصدر السابق ، م٣ ، ص٧٦ .

في إسار فخاف على نفسه فهرب[٩٠]. ولما تولى يزيد بن عبدالملك الخلافة في الشام لم يكن له همة إلا طلب يزيد بن المهلب وأرسل لواليه عدي بن أرطأة الفزاري يأمره أن يأخذ كل من قدر عليه بالبصرة من بني عم يزيد بن المهلب وشيعته فيستوثق منهم ، وتوجه يزيد للبصرة ولم يعلم إن كتاب يزيد بن عبدالملك سبقه لهنالك [٩١]، ووصل يزيد للبصرة في سنة ١٠١هـ/٧١٩م واستولى عليها وحبس عاملها عدي بن أرطأة الفزاري وخلع يزيد بن عبدالملك [٩٢]، بعد أن كان الفزاري قد حبس المفضل وحبيب ومروان وحماد وجميع إخوة يزيد بن المهلب فحبسهم وحبس مواليهم وشيعتهم[٩٣]،وكان من الطبيعي أن يتوجه يزيد بن المهلب للبصرة موطن أسرته من المهالبة ومستقر قبيلة الازد العمانية.هذه هي الشرارة التي أشعلت البارود فعليا بين يزيد بن المهلب والخليفة يزيد بن عبدالملك . وتوافقت ثورة الخوارج في نفس الوقت الذي خلع فيه يزيد بن المهلب الخليفة الأموي ، فأصبح الموقف أمام الخليفة واضحا وهو بتوجيه قواته للعراق إلا انه في البداية أوكل الأمر لواليه على العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن والذي بدوره أرسل هشام بن مساحق بن عبدالله بن مخرمة بن عبدالعزيز بن أبي قيس القرشي في ناس من أهل الكوفة من الشرطة ووجوه الناس وأهل القوة، والتقى بيزيد بن المهلب عند العذيب واتقوا الإقدام عليه حتى وصل يزيد للبصرة وفيه يقول الشاعر :

وسار ابن المهلب لم يعرج وغرس ذو القطيفة من كنانة
وياسر والتياسر كان حزما ولم يقرب قصور القطقطانه[٩٤]

والمقصود بذو القطيفة محمد بن عمرو وهو أبو قطيفة بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وهو أبو قطيفة ، وإنما سمي ذا القطيفة لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر ومحمد يقال له ذو الشامة [٩٥] .وانصرف هشام بن مساحق حيث يوجد الوالي عبد الحميد بالكوفة ، وفي البصرة قام عدي بن أرطأة الفزاري بجمع أهل البصرة إليه وخندق فيها ، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبدالله بن أبي عقيل الثقفي ، وبعث على كل خمس من أخماسها رجلا[٩٦]، يذكر إن عبدالملك بن المهلب كان قد حبب لعدي بن أرطأة أن يطلق سراحه مقابل

---

[90] – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ص ١٣٣٤ ، ١٣٣٩ .
[91] – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ١ .
[92] – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣١٥ ، انظر أيضا : نبيه عاقل ، المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .
[93] – ابن أعثم ، المصدر السابق. ذكر الطبري إن محمد بن المهلب الوحيد الذي لم يتم حبسه من قبل عدي بن أرطأة الفزاري . انظر : الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٣٤٠ .
[94] – القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية .انظر:الحموي،المصدر السابق،م٤،ص ٣٧٤ .
[95] – الطبري ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٣٩– ١٣٤٠ .
[96] – بعث عدي بن أرطأة على خمس الازد المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي ، وبعث على خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر ، وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن –

ضمان رجوع يزيد بن المهلب عن البصرة ويهرب لشرق الدولة حيث له مواليين كثر هناك فرفض الفزاري . وصل يزيد بن المهلب للبصرة واستقبله أخيه محمد بن المهلب – ولم يكن ممن حبس – ومعه جماعة كبيرة من مواليه وأهل بيته فاقبل يزيد للبصرة في كتيبة وصفها الطبري بأنها " كتيبة تهول من رآها "[٩٧] ، وكان يزيد بن المهلب كلما مر على قبيلة من القبائل إلا تنحوا له عن السبيل حتى يمضي ، واستقبله المغيرة بن عبدالله الثقفي في الخيل فحمل عليه محمد بن المهلب فأفرج له عن الطريق هو وأصحابه ، واقبل يزيد حتى نزل داره واختلف الناس إليه [٩٨]. وهكذا دخل ابن المهلب البصرة دون أي وجه مقاومة تذكر من القبائل التي كان عدي الفزاري قد جهزها لوقف دخوله إليها . وأرسل لعدي بن أرطأة : أيها الأمير انك حبست إخوتي ومالي وأهل بيتي بلا ذنب منهم إليك ، وذلك إني أنا المطلوب فأخرجهم من حبسك وأنا أصالحك إني لا ادخل البصرة ولا أقربها وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسي الأمان من أمير المؤمنين يزيد بن عبدالملك[٩٩] . وللمرة الثانية يرفض عدي بن أرطأة دفع الحرب عن البصرة وأهلها ، بل انه جعل من السهل على يزيد بن المهلب أن يجمع إليه اكبر عدد من أهل البصرة فقد كان يزيد يقطع قطع الذهب والفضة لكل من أتاه من الناس فاستمال إليه الكثير فجعل الفرزدق يقول :

أظن رجال الدرهمين يسوقهم ... إلى الموت آجال ومصارع

فأحزمهم من كان في قعر بيته ... وأيقن إن الأمر لا شك واقع[١٠٠]

ويذكر البلاذري إن يزيد بن المهلب حين خلع يزيد بن عبدالملك قال : إني لأرجو أن اهدم مدينة دمشق حجرا جدرا ، فقال الفرزدق :

تخبرك الكهان انك ناقـــض ... دمشق التي قد كانت الجن جزت

لها من جبال الثلج صخرا كأنه ... قناعيس حتى أشرفت واشمخرت[١٠١]

–عامر بن مسمع من بني قيس بن ثعلبة ، فقال أبو منقر : رجل من قيس بن ثعلبة ، إن الراية لا تصلح إلا في بني مالك بن مسمع فدعا عدي نوح بن شيبان بن مالك بن مسمع فعقد له على بكر بن وائل ، ودعا مالك بن المنذر بن الجارود فعقد له على عبدالقيس ودعا عبدالاعلى بـــن عبدالله بن عامر القرشي فعقد له على أهل العالية وهم من قريش وكنانة والازد وبجيلة وخـــثعم وقيس عيلان كلها ومزينة وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربع أهل المدينة وبالبصرة خمس أهل العالية ، وكانوا بالكوفة أخماسا فجعلهم زياد بن عبيد أرباعا.انظر: الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٤٠ .

97 – المصدر نفسه ، ص ١٣٤٠

98 – المصدر نفسه ، ص ١٣٤٠ .

99 – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ٢.

100 – انظر التفاصيل في الطبري ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٤٠ – ١٣٤١ .

101 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣١٥ .

وهكذا استطاع يزيد بن المهلب أن يجمع حوله ثلاثة آلاف رجل من أهل البصرة ومن بني عمه وأقربائه ، وقابل عدي بن أرطأة وهو في جماعة من أهل الشام ومن جاءه من أهل البصرة ، فلما دنا القوم بعضهم من بعض دعا يزيد بن المهلب أخاه محمد بن المهلب وابن عمه المهلب بن العلاء بن أبي صفرة وأمرهما بالتقدم في ألف رجل من قواته ، واقتتلوا قتالا شديدا وحمل محمد بن المهلب على رجل من أصحاب عدي بن أرطأة يقال له المسور بن عباد الحنظلي فضربه بسيفه ضربة على انف البيضة وأسرع السيف في انفه ، وكان في جيش يزيد بن المهلب فتى يقال له دارس حمل على جميع أهل البصرة ففرق الناس وقتل جماعة منهم حتى قال الفرزدق فيه :

تفرقت الخيلان إذ صاح دارس ولم يصبروا تحت السيوف الصوارم

ثم حمل يزيد على عدي بن أرطأة وأصحابه حتى كشفوهم واضطره للاحتماء بدار الإمارة واخرج من كان فيها من إخوته وأهله وبني عمه ومواليهم وشيعتهم وانهزم الناس ودخلوا بيوتهم[١٠٢]. قال أبو مخنف بحديث معاذ بن سعد إن " يزيد بن المهلب حين سيطر على البصرة جمع الناس فخطب فيهم فحمد الله واثني عليه ثم اخبرهم انه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويحث على الجهاد، وقال إن جهاد أهل الشام أعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم[١٠٣]. قال : فدخلت أنا والحسن البصري وهو واضع يده على عاتقي وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه؟ قلت : لا ، والله ما أرى وجه رجل اعرفه ، قال: فهؤلاء والله الاعتاء ، قال : فمضينا حتى دنونا من المنبر قال : فسمعته يذكر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه والسلام ، ثم رفع صوته ، فقال : والله لقد رأيناك واليا ، وموليى عليك فما ينبغي لك ذلك! قال : فوثبنا عليه ، فأخذنا بيده وفمه ، وأجلسناه فوالله ما نشك انه سمعه ، ولكن لم يلتفت إليه ومضى في خطبته . قال : ثم إننا خرجنا إلى باب المسجد النضر بن انس بن مالك يقول : يا عباد الله ، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فوالله ما رأينا ذلك ، ولا رأيتموه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبدالعزيز ، فقال الحسن : سبحان الله ! وهذا النضر بن انس قد شهد أيضا "[١٠٤] . وكان الحسن البصري[١٠٥] قد مر على الناس وهم مصطفين صفين

---

102 – ابن أعثم ، المصدر السابق ،ج٨ ، ص ص ٥– ٦ .

103 – وقد كان يزيد بن المهلب يبايع الناس بالبيعة التالية : " تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألا تطأ الجنود بلادنا ولا بيضتنا ،ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومن أبى جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه " . للتفاصيل انظر الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٤٥.

104 – المصدر نفسه ، ص ١٣٤٣ . يروى الطبري أيضا إن الحسن البصري كان يثبط الناس عن الخروج مع يزيد في الوقت الذي كان أخوه مروان بن ا لمهلب يحثهم على قتال بني أميه حيث كان الحسن يقول : أيها الناس ، الزموا رحالكم وكفوا أيديكم واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل–

بانتظار خروج يزيد بن المهلب ناصبين الرايات والرماح وهم يقولون : يدعونا يزيد إلى سنة العمرين ، فقال لهم الحسن البصري : " إنما يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها إلى بني مروان يريد بهلاك هؤلاء رضاهم ، فلما غضب غضبة نصب قصبا ، ثم وضع عليها خرقا ، ثم قال إني قد خالفتهم فخالفوهم" .وبين الحسن البصري للناس إن سنة العمرين تقتضي وضع قيد في رجل ابن المهلب ويرد إلى السجن الذي وضعه فيه عمر بن عبدالعزيز[١٠٦] .أما عن مصير عدي بن أرطأة فقد أتي به إلى يزيد بن المهلب وهو يتبسم ، وحاول عدي تهديد يزيد وتخويفه بجنود الشام فما كان من يزيد بن المهلب إلا أن أمر بحبسه ومن معه انتقاما منه لحبسه آل المهلب . فحبس عدي بن أرطأة وبايع الناس يزيد بن المهلب، وسلموه بيت المال وفيه عشرة آلاف ألف درهم ففرقها يزيد بين الناس وبعث لعماله إلى الأهواز وفارس وكرمان ومكران والسند والهند وسائر البلاد فضمن ولائها[١٠٧] .

في ذات الوقت يذكر لنا الطبري بموضع آخر إن يزيد بن المهلب أرسل ابن أخيه حميد بن عبدالملك بن المهلب إلى الشام حيث بعث معه الخليفة يزيد بن عبدالملك خالد بن عبدالله القسري وعمر بن يزيد الحكمي بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته[١٠٨] ، والواقع إن القارئ لعلاقة الرجلين وطبيعة العداء بينهما نوعا ما يستبعد أن يرسل يزيد في طلب الأمان من الخليفة بدمشق ، ذلك لان الطبري يبرر عدم وصول خبر الأمان ليزيد بن المهلب بقوله: " وخرج الحواري بن زياد بن عمرو العتكي يريد يزيد بن عبدالملك هاربا من يزيد ابن المهلب فلقي خالد بن عبدالله القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبدالملك ابن المهلب قد اقبلوا من عند يزيد بن عبدالملك بأمان يزيد بن المهلب وكل شيء

بعضكم بعضا على دنيا زائلة ، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بباق وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براض ، انه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء ..." فما كان من مروان بن المهلب إلا الرد عليه في المنابر ، حتى إذا أدرك انه ما تارك اثباط الناس عن آل المهلب تركه لشانه.انظر:الطبري،المصدر السابق،ج٤،ص ١٣٤٥ .

105 – يذكر البلاذري إن مروان بن المهلب حين استخلفه أخاه يزيد على البصرة أتي إليه برجل مرتد فاستشار الحسن البصري في ذلك فقال له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من بدل دينه فقتلوه"فقتله . راجع : البلاذري ،أنساب ، ج٨، ص ٣٥٠٥ . وفي هذا إشارة إن العلاقة الدينية ظلت موجودة بين مروان بن المهلب والحسن البصري رغم الاختلافات السياسية فان الحسن البصري ظل المرجعية الدينية لأهل البصرة وولاتها آنذاك .

106 – الطبري ، المصدر السابق ، ص١٣٤٣ .انظر أيضا الخطبة برواية اخرى عند ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ص ٨-١٠ .

107 – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ص ص ٦- ٨ .

108 – الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٣٤٠ .

أراداه ، فاستقبلهما فسألاه عن الخبر فخلا بهما حين رأى معهما حميد بن عبدالملك فقال : أين تريدان ؟ فقالا : يزيد بن المهلب قد جئناه بكل شيء أراده ، فقال : ما تصنعان بيزيد شيئا ولا يصنعه بكما ، قد ظهر على عدوه عدي بن أرطأة ، وقتل القتلى وحبس عديا فارجعا أيها الرجلان ، ويمر رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبدالملك ، فلم يقف عليهما فصايحاه وساءلاه فلم يقف عليهما ،فقال القسري : ألا ترده فتجلده مائة جلده ! فقال له صاحبه: غرّ به عنك ، وأملا لينصرفا . ومضى الحواري بن زياد إلى يزيد بن عبدالملك ، واقبلا بحميد بن عبدالملك معهما فقال لهما حميد: أنشدكما الله إن تخالفا أمر يزيد ما بعثتما به فان يزيد قابل منكما ، وان هذا وأهله لم يزالوا لنا أعداء فأنشدكما الله أن تقبلا مقالته فلم يقبلا قوله ، واقبلا به حتى دفعاه إلى عبدالرحمن بن سليم الكلبي ، وقد كان يزيد بن عبدالملك بعثه إلى خراسان عاملا عليها فلما بلغه خلع يزيد بن عبدالملك كتب إليه إن جهاد من خالفك أحب إلي من عملي على خراسان فلا حاجة لي فيها فاجعلني ممن توجهني إلى يزيد بن المهلب ،وبعث بحميد بن عبدالملك إلى يزيد ..." [109] .فلِمَ لَمْ يقبل الرسولان خالد القسري وعمرو الحكمي بكلام حميد بن عبدالملك ويكملا المهمة التي كلفهما بها الخليفة؟هذا أمر لا يمكن تفسيره إلا من حيث كون الحواري بن زياد العتكي من رجالات الدولة الأموية الموثوق بهم ، وان يزيد قد وصلت أنباءه إلى الشام وبقية المناطق مما حدا بالرجلين بالتهاون عن الوصول ليزيد بن المهلب والعودة لإبلاغ الخليفة بما سمعاه على الرغم من إننا نرى إن هذه هي الفرصة الثالثة والأخيرة التي كانت ستوقف ثورة يزيد بن المهلب إلا انه ما قدر الله وما شاء فعل فقد أرسل يزيد بن عبدالملك رجالا من الشام لمساندة واليه بالكوفة ولكي يسكنونهم ويثنون عليهم ويمنونهم بالأعطيات من الدولة [110]. وبفشل ولاة الخليفة يزيد بن عبدالملك على العراق بالقضاء على ثورة ابن المهلب وبفشل كل الجهود لدحر هذه الثورة قرر الخليفة إن خير من ينهي هذه الثورة قائد جيوش الفتح الأموية ببلاد الروم مسلمة بن عبدالملك .

---

109 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٤٠ .

110 – ممن أرسل لهذه المهمة القطامي بن الحصين وهو شاعر معروف والذي قال حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب :

لعل عيني إن ترى يزيــدا	يقود جيشا جحفلا شدديا
تســمع للأرض به وئــيدا	لا برما هدا ولا حيــودا
ولا جبانا في الوغى رعديدا	ترى ذوي التاج له سجودا
مكفــرين خاشعــين قــودا	وآخــرين رحبوا وفــودا .

وقد شهد العقر ومقتل يزيد بن المهلب فقال يزيد بن المهلب ما ابعد شعر القطــامي مــن فعله . انظر : المصدر نفسه ، ص ١٣٤٢ .

تم إرسال هذا الجيش على دفعتين في سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م ، وذكر إن عدد الجيش وصل إلى سبعين ألف وقيل ثمانين ألف [١١١] قاد الفرقة الأولى العباس بن الوليد بن عبدالملك في أربعة آلاف فارس حتى وصل للحيرة ، وكان على القيادة العامة للجيش مسلمة بن عبدالملك الذي اقبل ومعه جنود أهل الشام واخذ على الجزيرة الفراتية وعلى شاطئ الفرات[١١٢] .

ويروى إن مسلمة بن عبدالملك حين وصل هو والعباس في بادئ الأمر النخيلة بالكوفة قال : ليت هذا المزوني[١١٣] لا يكلفنا إتباعه في هذا البرد ، فقال حسان النبطي له : أنا اضمن لك إن يزيد لا يبره الارصة – أي أنا اضمن لك إن يزيد لا يبرح العرصة– فقال العباس : لا أم لك أنت بالنبطية أبصر منك بهذا ، فقال حسان له : نبّط الله وجهك أشقر احمر ازرق ليس اليه طابئ الخلافة ، فقال مسلمة : يا أبا سفيان ، لا يهولنك قول العباس ، قال: انه اهمق لا يأرف – يريد أحمق لا يعرف – [١١٤] .

وبدأ يزيد بن المهلب بالاستعداد لمقابلة الجيش الشامي. فاستعمل أخاه مروان بن المهلب على البصرة ،وقد كان يزيد قد بعث وداع بن حميد الازدي واليا على قندابيل[١١٥] كخطة بديلة في حالة هزيمته في الحرب وحماية لأهله من السبي ، ووعده يزيد بن المهلب بالمكافأة إن هو أحسن لأهله [١١٦]. وحين بلغ يزيد بن المهلب قدوم مسلمة والعباس في جند الشام والجزيرة الفراتية كتب إلى أخيه محمد بن المهلب في القدوم من فارس والذي أيضا أشار عليه كما أشار عليه حبيب بالقدوم لفارس بحجة مناعة قلاعها ووجود حلفاء كثر له هناك ، فرفض يزيد ذلك وأشار عليه إخوته بعد ذلك في اتجاههم التالي فأشار عليه حبيب بالموصل وقال ليزيد : لا تخدعن فان أهل مصرك غير مقاتلين معك ، ولكن احمل هذا المال واخرج إلى الموصل فادع عشيرتك بها ، فقال : يا أبا بسطام أردت أن تقربني من عدوي فيقاتلني في بلاده؟ لا، ولكني آت واسطا ثم اقرب من الكوفة وارتاد مكانا في مجال للخيل ، وأرجو أن ينضم إلي أهل الكوفة مثل من معي من أهل البصرة[١١٧] .

---

111 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ص ٣١٥ – ٣١٦ .

112 – راجع الطبري، المصدر السابق ، ج٤ ،ص ص ١٣٤٢ – ١٣٤٣.

113 – المزوني نسبه لموطن أهله الأصلي عمان والتي عرفت باسم مزون حيث أطلق عليها الفرس هذا الاسم لكثرة خيراتها وزراعتها . انظر : الحموي ، المصدر السابق ، م٥ ، ص ١٢٢ .

114 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٠٤.

115 – قندابيل مدينة بالسند وهي قصبة لولاية يقال لها الندهة.انظر:الحموي،المصدر السابق ، م٤ ، ص ٤٠٢ .

116 – الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٣٤٨ .

117 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٠٥

وخرج يزيد من البصرة بعدها بالسلاح وما معه من مال حتى نزل واسط في ستة عشر ألفا من رجاله وشخص معه عدي بن أرطأة الفزاري وجماعه ممن حبسوا معه ، وتكلم الناس فعظموا أمر أهل الشام فقال لهم يزيد : "رأيت ارتجاس هذا العسكر بقولهم جاء مسلمة وجاء العباس ، وجاء أهل الشام ، وما أهل الشام هل هم إلا تسعة أسياف سبعة منها لي وسيفان علي ؟ ما مسلمة ؟ جرادة صفراء . وما العباس ؟ نسطوس بن نسطوس أتاكم في برابرة وجراجمة وأنباط وأبناء فلاحين وأوباش أخلاط كاشلاء اللحم وأقباط . أليس لكم جنن كجننهم ؟ أوليسوا بشرا يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون ؟ فأعيروني سواعدكم ساعة تصفعون بها خراطيمهم " [١١٨].ثم استشار أصحابه فأشار عليه أخاه حبيب وآخرون إما بالخروج لفارس والتحصن بالشعاب أو الخروج إلى الجزيرة الفراتية ، إلا إن يزيد رفض كلا الأمرين[١١٩]. وبعد أياما قلائل خرج يزيد بن المهلب من واسط واستخلف بها ابنه معاوية بن يزيد وجعل عنده الخزائن وبيت المال [١٢٠] وخلف معه عدي ابن أرطأة ومن حبس معه مع معاوية هناك[١٢١]. وتوجه يزيد بن المهلب ومعه أخاه عبدالملك حتى وصل العقر[١٢٢] ، في نفس الوقت وصلت جيوش الشام بقيادة مسلمة بن عبدالملك حتى نزلوا بالانبار، وهنا أصدر مسلمة أوامره بإنشاء جسر عبر من خلاله الجيش الأموي حتى نزلوا قريب العقر . وقد قدم يزيد أخاه عبدالملك نحو الكوفة ، وهناك التقى بالنصف الآخر من جيش الشام بقيادة العباس بن الوليد بن عبدالملك فاقتتلوا قتالا شديدا[١٢٣]، وكشف جيش الشام فساندهم جماعه من أهل البصرة فيهم هريم بن أبي طعمه المجاشعي ، فلما انكشف أهل الشام تلك الانكشافه ناداهم المجاشعي : يا أهل الشام ، الله الله أن تسلمونا ! ، وكان أصحاب عبدالملك بن المهلب قد حملوا جيش الشام على التراجع بجانب نهر ، فاخذوا ينادونه – أي هريم – لا باس عليك إن لأهل الشام جولة في أول القتال أتاك الغوث . فحمل جيش الشام حملة على جيش عبدالملك بن المهلب حتى هزموهم، ومع المفضل بأخيه في العقر[١٢٤]. وقد اقبل إلى يزيد بالعقر جماعات من الكوفة وغيرها فجمعهم يزيد مع المفضل بن المهلب.يروى عن يزيد ابن المهلب في هذه الحادثة انه قال :" ترون إن في هذا المعسكر ألف سيف يضرب به ؟ قال حنظلة بن عتاب : أي والله وأربعة

---

118 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٥٠٦ .

119 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ،ص ١٣٤٣ .

120 – ابن الجوزي ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٥٤٧ .

121 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٠٧

122 – تعرف بعقر بابل بالقرب من كربلاء من الكوفة.انظر الحموي،المصدر السابق،م٤،ص ١٣٦ .

123 – يذكر البلاذري أنهم التقوا بمكان يسمى سوراء ، ويذكر اسم هريم بن أبي طحمه بدل ابن طعمه . انظر البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٠٧ .

124 – الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٣٤٤ .

آلاف سيف . قال : إنهم واالله ما ضربوا ألف سيف قط ، واالله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفا ، واالله لوددت إن مكانهم الساعة معي من بخراسان من قومي . ثم انه – أي يزيد بن المهلب – قام ذات يوم فحرض ورغب في القتال وقال : إن هؤلاء القوم – أي أهل الشام – لن يردهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم، والضرب بالمشرفية على هامهم . ثم قال : انه قد ذكر لي إن هذه الجرادة الصفراء – يعني مسلمة بن عبدالملك – وعاقر ناقة ثمود يعني العباس بن الوليد[125]... واالله لقد كان سليمان أراد إن ينفيه حتى كلمته فيه فاقره على نسبه فبلغني انه ليس همهما إلا التماسي في الأرض ، واالله لو جاء أهل الأرض جميعا وليس إلا أنا ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم. قالوا : نخاف إن تعنينا كما عنانا عبدالرحمن بن محمد ، قال : إن عبدالرحمن فضح الذمار وفصح حسبه وهل كان يعدو اجله! ... " [126] .

من جانب آخر كان والي الكوفة عبدالحميد بن عبدالرحمن قد عسكر بالنخيلة ، وعمل على حبس المياه فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب لئلا يصل إلى الكوفة ، ووضع على الكوفة مراصد وحرس لتحبس أهل الكوفة من الخروج إلى يزيد ، وبعث جماعه إلى مسلمة ابن عبدالملك فأحسن استقبالهم وأثنى على طاعتهم . وحاول عبدالحميد كسب مسلمة إلى جانبه فأرسل وفدا أكبر من الأول على رأسه سبرة بن عبدالرحمن بن مخنف الازدي فقال مسلمة : هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ضموا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة وبعث مسلمة إلى عبدالحميد بن عبدالرحمن فعزله ، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة ذو الشامة مكانه [127] .

واجتمع الجيشان وعلى رأسهما اثنين من خيرة القادة العسكريين الذين حافظوا على الخلافة الأموية ضد الثورات فترات زمنية طويلة ، وابتدأ جيش آل المهلب القتال إذ حبب محمد بن المهلب إلى أخيه البدء بالقتال ، فما كان من يزيد إلا أن أرسل أربعة آلاف بقيادة عبداالله بن حيان العبدي وضم اليه فضيل بن هناد الازدي ثم الفراصي في خيل ، وضم اليه سالم المنتوف في خيل ، وصيره على خيل بكر بن وائل فعبروا الصراة ، فأرسل إليهم مسلمة سعيد بن عمرو الحرشي في أربعة آلاف مقاتل ، وكان لأهل الشام كمين فاقتتلوا فقتل عبداالله بن حيان وفارس من أصحاب فضيل بن هناد ، وخرج كمين أهل الشام على

---

125 – حيث كان العباس ابن جارية رومية فكان ازرق احمر .

126 – المصدر نفسه ، ص ص ١٣٤٤ – ١٣٤٥

127 – قرار العزل هذا هو قرار إداري بحت يشير إلى إن مسلمة بن عبدالملك مارس سلطات إدارية أثناء توليه قيادة القوات الأموية أثناء ثورة يزيد بن المهلب مما يشير إلى إن مسلمة بن عبدالملك كانت بيده السلطة العسكرية والسياسية والإدارية في العراق من قبل الخليفة يزيد بن عبدالملك ، وما قرار توليه الإدارة في العراقين بعد ذلك إلا تأكيدا لهذه السلطة .

أهل العراق فهزموا واخذ سالم المنتوف أسيرا لمسلمة فقتله مسلمة ، عبر بعدها مسلمة الصراة وخندق خندقين هناك [128].

وبدأ يزيد بن المهلب يعيد حساباته بعد هذه الهزيمة حيث دعا رؤوس أصحابه فقال لهم : قد رأيت أن اجمع اثني عشر ألف رجل فابعثهم مع محمد بن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ، ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبل لدفن خندقهم فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم وأمده بالرجال حتى أصبح ، فإذا أصبحت نهضت إليهم أنا بالناس فنناجزهم فاني أرجو عند ذلك إن ينصرنا الله عليهم[129]. وقد كان مسلمة قد سبقه بالتخطيط إذ كان أرسل فرقة بقيادة الوضاح [130] للقتال عند الجسر؛ حيث بدأ الاشتباك الفعلي بين المعسكرين من يوم الجمعة الرابع عشر من صفر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م ، أرسل مسلمة ابن عبدالملك الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن ويحرق الجسر ، فخرج بعدها مسلمة وعبى قواته وتحرك نحو يزيد بن المهلب وجعل على ميمنته جبلة بن مخرمة الكندي، وجعل على ميسرته الهذيل بن زفر بن الخارث العامري ، في الوقت نفسه جعل العباس بن الوليد على ميمنته سيف بن هاني الهمداني ، وعلى ميسرته سويد بن القعقاع التميمي . في حين جعل يزيد بن المهلب على ميمنته أخاه حبيب وعلى ميسرته المفضل وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم ومعه خيل مما يلي العباس بن الوليد [131]. في هذه الاثناء ارسل مسلمة بن عبدالملك ليزيد بن المهلب يطلب منه الرجوع عن امره ووعده بتوليته الولاية على أي المناطق التي يريد فما كان من هذا الاخير سوى التعنت والرفض [132]. وهذا ما يؤكده البلاذري ذلك فيقول: " أراد مسلمة ألا يواقع يزيد حتى يعرض عليه الأمان، فقال العباس بن الوليد : لا تؤمنه فلا يبقى احد إلا خلع وافسد وسفك الدماء ثم ركن إلى الأمان ، فأبى وأمنه فلم يقبل يزيد أمانه " [133].

وكعادة العرب بدأ القتال بالمبارزة ، حيث خرج احد أهل الشام وهو حيان النبطي فبرز له محمد بن المهلب الذي حمل عليه فاتقاه الرجل بيده وعلى كفه كف من حديد فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السبق في كفه واعتنق فرسه واقبل محمد يضربه ويقول : المنجل أعود عليك . ومع مجيء الوضاح بدأ التكتيك العسكري لمسلمة بن

---

128 – البلاذري ، أنساب ، ج٨، ص ٣٥٠٨ .

129 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٤٥ .

130 – الوضاح مولى عبدالملك بن مروان ، وقيل كانت هزيمة أصحاب يزيد من قبل الوضاحية نسبت اليه . انظر : البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥١٨ .

131 – الطبري ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٤٥ – ١٣٤٦ .

132 – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ١٥ .

133 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٣٦ .

عبدالملك يظهر ، إذ أمر الوضاح فأشعل الجسر حتى ظهر دخانه والقتال في بدايته ، والذي أثار الرعب في قلوب جيش يزيد بن المهلب فولوا هاربين [134].ويروى إن يزيد بن الحكم بن أبي العاص وأمه ابنة الزبرقان السعدي أتى ليزيد بن المهلب وهو بواسط قبل إن يصل إلى العقر فقال :

إن بني مروان قد باد ملكهم   فان كنت لم تشعر بذلك فاشعر

قال يزيد: ما شعرت ، قال يزيد بن الحكم :

فعش ملكا أو مت كريما وان   تمت وسيفك مشهور بكفك تعذر

قال ابن المهلب : أما هذا فعسى[135] .

وفجع يزيد بهذه الهزيمة ليأتيه في الوقت نفسه خبر وفاة أخيه حبيب حيث أقبلت عليه خيل أخيه حبيب أتته غائرة [136]. فقال : لا خير في العيش بعد حبيب ! قد كنت والله ابغض الحياة بعد الهزيمة فوالله ما ازددت له إلا بغضا[137]. فأخذ يزيد يقاتل بكل شجاعة في حين بدأ القوم في النكوص عنه والتسلل من جيشه فلم تبق معه إلا جماعة قليلة ، لكنه استطاع إلحاق الهزيمة بجيش الشام ولو لوقت قصير ، وحين رأى أبو رؤية المرجيء الوضع هكذا أتى يزيد يقترح عليه اقتراحا بأن يرجع لواسط ويتحصن بها حتى يأتيه مدد أهل عمان والبحرين ويحصنها بخندق فرفض يزيد الهروب من ساحة القتال . وكان يزيد بن المهلب على حصان له أشهب حين اتجه لقتال مسلمة مباشرة لا يريد غيره، وحين دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب فعطف عليه خيول أهل الشام وعلى أصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل السميدع وقتل معه محمد بن المهلب وكان رجل من كلب من بني جابر ن زهير بن جناب الكلبي يقال له القحل بن عياش ، لما نظر إلى يزيد قال : يا أهل الشام ، هذا والله يزيد ، والله لاقتلنه أو ليقتلني وان دونه ناسا فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه؟ فقال له ناس من أصحابه : نحمل نحن معك ، ففعلوا فحملوا باجمعهم واضطربوا ساعة وسطع الغبار ، وانفرج الفريقان عن يزيد مقتولا بساحة القتال ، واخذ مسلمة رأس يزيد بن المهلب ليرسله للخليفة يزيد الثاني بدمشق[138].إلا إن البلاذري لا يذكر انه جرى

---

134 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٤٦ .

135 – المصدر نفسه ، ص ١٣٤٦ .

136 - البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٥١٠ .

137 – الطبري ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٤٦– ١٣٤٧

138 – المصدر نفسه،ص ص ١٣٤٦– ١٣٤٧ . وفي هذا الإطار يروى انه حين وصل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبدالملك بعث به إلى امرأته أم الحجاج بن محمد بن يوسف والتي قلنا سابقا أنها كانت سببا رئيسيا للعداء بين اليزيدين ، فبصقت في وجه يزيد بن المهلب فقال يزيد ابن عبدالملك معلقا : والله ما أشبهت أم الحجاج أمي عاتكة بينت يزيد حين أتي برأس –

قتال بين يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبدالملك إذ يذكر لنا برواية أبو مخنف إن " مسلمة جلس على تل وحوله حماة أهل الشام ، فقصد أصحاب يزيد التل فلما رآهم مقبلين انحدر ... فسمي ذلك اليوم يوم التل ويوم العقر لان مسلمة كان على تل، فلما اقبل الناس نحوه نزل عنه "[١٣٩]. ويؤكد ابن أعثم ذلك من إن يزيد بن المهلب طلب من مسلمة المبارزة وقال له : يا مسلمة ! هل لك أن تبرز إلي وتعفي الفريقين من القتال ؟ قال : فالتفت مسلمة إلى أصحابه فقال : ما تقولون ؟ فقال له رجل من بني كلب يقال له عياش الفحل : أصلح الله الأمير ! انه يزيد بن المهلب فارس العراق قاطبة ، فقال له مسلمة: صدقت ياعياش ! انه لكذلك ولكنه قد دعاني إلى المبارزة وهذا عار عليّ أن لا ابرز إليه ، فقال له عياش الفحل: صدقت أصلح الله الأمير! هو والله العار أو الموت ، فاختر أيهما شئت ، فسكت مسلمة ولم يبرز إليه ... " [١٤٠]. وان كنا نقبل برواية ابن أعثم هذه بحذر كبير إذ إن بها قدحا للقدرة العسكرية والقتالية لمسلمة بن عبدالملك فإننا نوردها فقط للتأكيد انه لم يجر قتال واضح بين يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبدالملك ، وذلك عائد لطبيعة سير المعركة والأحداث التي أوردناها سابقا وليس لتخاذل مسلمة كما يصفه ابن أعثم في روايته هذه . وبعد مقتل يزيد بن المهلب صلبت جثته وعلق معه خنزيرا ومرديا وزقّ خمر وسمكة [١٤١].

يروى إن المفضل بن أبي صفرة استمر في قتال أهل الشام دون أن يدري بمقتل أخيه يزيد ولا بهزيمة الجيش ، إلا حينما صاح الناس بعدم جدوى القتال بعد مقتل يزيد وأخيه حبيب ، فما كان من المفضل إلا أن عاد إلى واسط[١٤٢]. وفي رواية أخرى فان عبدالملك بن المهلب اقبل للمفضل وهو كاره إخباره بوفاة يزيد فاخبره إن يزيد انحدر إلى واسط ، فحين وصل المفضل واسط وعلم بوفاة يزيد حلف إلا يكلم عبدالملك وبالفعل لم يكلمه حتى قتل في قندابيل[١٤٣] .

وهكذا انتهت حياة يزيد بن المهلب والعديد من أبناء المهلب بن أبي صفرة الذين كانوا سيف بني أمية ضد أعدائهم ، والذين كانوا حماة عرش بني أمية بسيوفهم وأموالهم وأبنائهم ،

-الحسين بن علي فأراد الرسول أن يضعه على الأرض فشتمته ودعت بوسادة فوضع عليها ثم غسلته وطيبته.لمزيد من التفاصيل انظر : البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٥١٩.

139 – المصدر نفسه ، ص ص ٣٥١٠ – ٣٥١١ .

140 – ابن أعثم ، المصدر السابق ،ج٨، ص ص ١٧ – ١٨ .

141 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٢٠ .

142 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٤٧ .

143 – البلاذري،المصدر السابق،ص ٣٥١٦ .يشير ابن أعثم إن المفضل انهزم بنفسه بمن معه إلى واسط وقتلوا الاسارى هناك وهذا أمر ينافي الروايات التي استعرضناها.لمزيد من التفاصيل انظر:ابن أعثم،المصدر السابق،ص٢٠.انظر أيضا العوتبي،المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥٢.

وكانوا ممن ساهم في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس وما وراء النهر ، وصدق من قال: " ضحّى بنو حرب بالدين يوم كربلاء ، وضحّى بنو مروان بالمروءة يوم العقر "[144].

والحقيقة إن عسكر يزيد لم يوقفوا القتال بموته وإخوته بل إن أبا رؤبة المرجئي واصل القتال حتى قتل أغلب ممن كان معه وأسر أهل الشام ثلاثمائة رجل فسرحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم حتى وصله كتاب يزيد بن عبدالملك أن يضرب أعناق هؤلاء الأسرى ، فبدأ بجماعة من بني تميم طلبوا ذلك ، إلا انه ما إن انتهوا من ضرب عنق آخر فرد منهم حتى جاء رسول مسلمة إليهم للكف عن قتلهم . وحين وصل مسلمة للحيرة جيء إليه بخمسين أسيرا ممن لم يبعثوا للكوفة ، والذي بدرت منه بادره طيبه هنا حيث انه أعطى الآمان لكل من طلب ذلك ، حيث إن الحصين بن حماد الكلبي استوهب ثلاثة منهم هم زياد بن عبدالرحمن القشيري وعتبة بن مسلم واسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود فوهبهم له مسلمة ، ثم استوهب بقيتهم أصحابه فوهبهم لهم [145].

وحول مصير معاوية بن يزيد بن المهلب الذي كان أبوه قد استخلفه على واسط ، فحين وصله خبر ما حدث لوالده وآل بيته والأسرى ، أخذ اثنين وثلاثين أسيرا كانوا في يده فضرب أعناقهم ومنهم كان عدي بن أرطأة وابنه محمد ومالك وعبدالملك ابنا مسمع وعبدالله بن عزرة البصري وعبدالله بن وائل وابن أبي حاضر التميمي من بني أسيد ابن عمرو بن تميم، وعفا فقط عن ربيع بن زياد بن الربيع بن انس بن الريان ، فقال له الناس: نسيته ، فقال : ما نسيته ولكن لم أكن لأقتله ،وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم ، ولست اتهمه في ود ولا أخاف بغيه ، فقال ثابت بن قطنه في قتل عدي بن أرطأة :

ما سرني قتل الفزاري وابنه — عدي ولا أحببت قتل ابن مسمع

ولكنها كانت معاوي زلة — وضعت بها أمري على غير موضع

ثم أقبل معاوية حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن التي تركها معه والده ، والتقى عمه المفضل وبقية من بقي من آل المهلب بالبصرة ، وقد أعدوا السفن البحرية وتجهزوا بكل الجهاز للتوجه لقندابيل والتي كما ذكرنا سبق ليزيد إن أمنها لأهله .وحين ركبوا البحر جميعهم مروا بهرم بن القرار العبدي والي يزيد ابن المهلب على البحرين والذي نصحهم بعدم مغادرة السفن تجنبا لمواجهات مع الأمويين أو أحد أنصارهم . فلما وصلوا كرمان نزلوا من سفنهم وحملوا عيالهم وأموالهم على الدواب[146] ، إلا إن مسلمة بن عبدالملك ما

---

144 – المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت : ٢٨٦هـ/٨٩٩م) ، الكامل في اللغة والادب . عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٣، دار الفكر العربي : القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، ج٤، ص ١١ .

145 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ص ١٣٤٧ – ١٣٤٨ .

146 – المصدر نفسه ، ص ١٣٤٨ .

كان ليترك آل المهلب يفرون بهذه الصورة لمنطقة بها من مواليهم الكثير ، بل قرر تعقبهم وأرسل مدرك بن ضب الكلبي في إثرهم ، الذي استطاع إن يدرك آل المهلب بفارس ويلحق بهم إلى عقبه حيث جرت بينه وبين المفضل بن المهلب مقتله عظيمه قتل على أثرها النعمان بن ابراهيم بن الاشتر ومحمد بن اسحاق بن محمد بن الاشعث ، واخذ ابن صول ملك قهستان أسيرا ، وأخذت سرية المفضل العالية ، وجرح عثمان بن اسحاق ابن محمد بن الاشعث وهرب إلى حلوان فدل عليه فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب على اثر مقتل المفضل إلى مسلمة وطلبوا الأمان ومنهم مالك بن ابراهيم بن الاشتر والورد بن عبدالله بن حبيب السعدي من تميم ، وكان قد شهد مع عبدالرحمن بن محمد مواطنه وأيامه كلها فطلب له الأمان محمد بن عبدالله بن عبدالملك بن مروان إلى مسلمة بن عبدالملك عمه وابنه مسلمة تحته فأمنه[١٤٧] .

أما بقية آل المهلب فقد مضوا في طريقهم دون المفضل حتى وصلوا إلى قندابيل ، فبعث إليهم مسلمة قوات أخرى ولكن هذه المرة بقيادة هلال بن أحوز التميمي من بني مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقندابيل ، وهناك كانت النهاية لأسرة آل المهلب حيث خانهم واليها وداع بن حميد الازدي ومنعهم من الدخول بل وكاتب هلال بن أحوز ، وحين تبين لآل المهلب ذلك حاول مروان بن المهلب قتل النساء مخافة إن يهتك سترهن جراء القتال إلا إن المفضل منعه وقال له : ويحك! أتقتل أخواتك ونساء أهل بيتك ، إنا والله ما نخاف عليهن منهم . وتقدموا جميعا للقتال فاقتتلوا وقتلوا من عند أخرهم إلا أبا عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل فإنهما نجوا ولحقوا بخاقان ورتبيل [١٤٨].

يستطرد البلاذري في ذكر مصير آل المهلب في قندابيل ويقول : " ... ولما قتل ولد المهلب وكل هلال بالحرم من يحفظهم ، وفر عثمان بن المفضل وأبو عيينة بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب[١٤٩] ، ونادى منادي هلال : ألا برئت الذمة ممن اتبع موليا ، وأمر أن لا يعرض للنساء وما في أيديهن ، وقال : من رفع سترا أو دخل على امرأة فلا ذمة له . وشكت امرأة من آل المهلب رجلا دخل منزلها فضرب عنقه . وكان نساء آل المهلب يقلن : لو إن المهلب ولينا ما فعل بنا إلا دون ما فعل هلال بن أحوز[١٥٠] . وانته

---

147 – يذكر الطبري إن المفضل قتل في هذه المعركة ، ولكنه يعود فيذكر تواجده بقندابيل . ولهذا نميل إلى القول إن المفضل قتل في قندابيل وليس في عقبه كما ذكر الطبري .

148 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٤٨ .

149 – طلبت هند بنت المهلب الأمان من يزيد بن عبدالملك لأبي عيينة فأمنه فقدم إلى العراق ، أما عثمان بن المفضل وعمر بن يزيد فبقيا عند رتبيل سجستان حتى قدم أسد بن عبدالله القسري واليا على خراسان فأمنهما فقدما إليه . انظر : البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٥٢٦، انظر أيضا : ابن خلدون ، المصدر السابق م٣ ، ص ص ٧٩-٨٠ .

150 – كان من القادة الذين مدحهم الفرزدق . انظر : ديوان الفرزدق ، المصدر السابق،م٢،ص ٣٢.

ميسون بنت المغيرة فسألته أن يأذن لها في دفن جثث رجالها فأذن لها ... "[151].ويؤكد صاحب العقد ذلك فيقول : " ... وقتل هلال بن أحوز خمسة من ولد المهلب ، ولم يفتش على النساء ولم يعرض لهن ... "[152]. ولعل في الانتماء القبلي لهلال بن أحوز الدور الكبير في المعاملة الكريمة التي لقينها نساء آل المهلب في قنداييل ، فهو من بني تميم فحرم آل المهلب هو حرم بني تميم أيضا . إلا انه في رواية الطبري ما يناقض هذا من انه بعث بالنساء والأطفال إلى مسلمة بن عبدالملك بالحيرة مع رؤوس إخوتهم وأزواجهم وأبنائهم ، وقد كان مسلمة قد سبق أن اقسم على سبي نساء آل المهلب ، حيث قال: لأبيعن ذريتهم وهم في دار الرزق ، فقال الجراح بن عبدالله : فانا اشتريهم منك لأبر يمينك ، فاشتراهم منه بمائة ألف درهم إلا إن مسلمة لم يأخذها وخلى سبيلهم إلا تسعة فتية منهم أحداث، أرسلهم مسلمة ليزيد بن عبدالملك فضرب أعناقهم .

وحين أرسل مسلمة رؤوس آل المهلب ليزيد بن عبدالملك بعث بها للعباس بن الوليد بحلب الذي خرج لينظر إليها فقال لأصحابه : هذا رأس عبدالملك وهذا رأس المفضل والله لكانه جالس معي يحدثني[153]. إلا إن البلاذري يعارضها فيذكر إن هلال بن أحوز أرسل إلى أم الفضل بنت غيلان بن خرشه وهي زوجة يزيد بن المهلب أن اختاري من يخرج معك فاختارت قوما من مواليهم يخرجون معها ومع نساء آل المهلب ، وبعث معهم بمشيخة من أهل الشام ، وبعث بالرؤوس إلى مسلمة بن عبدالملك فورد العراق وقد عزل مسلمة بن عبدالملك وولى عمر بن هبيرة ، فاخذ ما كان في أثقالهن وبسط عليهن حتى استنطف ما كان عندهن فأخذ الرقيق لنفسه ، وخاف أن يخرج النساء إلى الشام فيخبرن بما صار اليه فكتب إلى يزيد يستعفيه لهن من الشخوص فأعفاهن [154]. كذلك فان رواية اليعقوبي والتي يشير فيها إلى انه حمل إلى يزيد بن عبدالملك خمسين امرأة من نساء آل المهلب وحبسهن بدمشق [155] لا يمكننا القبول بها كذلك، ولكننا نميل إلى الرواية الأولى للطبري وذلك لأنه ما كان هلال بن أحوز سينتظر أشهرا حتى يرسل بالرؤوس والنساء لمسلمة بالعراق لأننا سبق وشرحنا إن مسلمة بقي في ولايته على العراقين أشهرا قبل أن يتم عزله .

وإننا لنجد الأخلاق الرفيعة لمسلمة بن عبدالملك ظاهرة في ثورة يزيد بن المهلب بصورة واضحة سواء فيما يختص بنساء آل المهلب وأبنائهم أو في تذكره لفضل آل المهلب ومكانتهم في الدولة الأموية ، إذ يروى إن رجلا من أهل الشام شتم يزيد بن المهلب

---

151 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ص ٣٥٢٢ – ٣٥٢٣ .

152 – ابن عبد ربه ،المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٠٩ .

153 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٤٩ .هذه الرواية تؤكد إن المفضل قتل في قندابيل.

154 – البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٣٥٢٦ .

155 – اليعقوبي ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ٣١١ .

فغضب مسلمة لذلك وقال له : اسكت! أتقول هذا لرجل سار إليه قريعا قريش[156]؟ إن يزيد حاول أمرا جسيما ومات كريما [157]. وسمع مسلمة بن عبدالملك رجلا من أهل الشام وهو يقول : ماذا لقينا من ابن حالك كنده ثم إنساناه هذا المزوني – أي يزيد بن المهلب – ، فقال له مسلمة : اسكت ثكلتك أمك ، أما والله لولا حسد العرب له ، ومشي قريع قريش إليه ما كان خليفتك غيره [158]. وكانت هند وفاطمة ونفيسة بنات المهلب قصدن عمان بعد خروج آل المهلب من العراق ، وبقين في عمان حتى أتاهن أمان مسلمة بن عبدالملك فرجعن إلى البصرة [159].ويروى إن مسلمة بن عبدالملك بعث إلى هند بنت المهلب يخطبها ، وكان رسوله إليها رجل يقال له سياف ، فلما ابلغها الرسالة قالت : كفء كريم ، ولكن يأمني مسلمة على نفسه وقد قتل إخوتي ، والله لو إن مسلمة أعاد فيهم الروح ما طابت نفسي بتزويجه ، وقد كنت احسب لمسلمة عقلا . فانطلق الرسول إلى مسلمة فاخبره بمقالتها فقال: صدقت ابنة المهلب ، وما كان إرسالي إليها إلا هفوة . ثم اقبل على من حضره من أصحابه فقال: كنت احسب إن الشجاعة في رجالهم، فإذا هي في رجالهم ونسائهم جميعا[160].

ويؤكد كرم هذه الشمائل ما نجده لدى العوتبي من ذكره لشفاعة مسلمة لبقية آل المهلب لدى أخيه يزيد بن عبدالملك حيث قال له : " يا امير المؤمنين ، قال الله عزوجل (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب اوزارها) . وقد قتل الله طواغيتهم وامكن منهم واظفرك ببقيتهم ، فامنن عليهم، فانه لم يبق أحد تخافه . الا ان يزيد ابى ذلك وانحاز للراي الذي قاله من حضر معه من ان لا يستبقي منهم احدا فقتلهم جميعا [161].

وقد رثى يزيد وآل بيته الكثير من الشعراء في مقدمتهم ثابت بن قطنه حيث يقول:

---

156 – يعني نفسه والعباس بن الوليد بن عبدالملك . والقريع تعني السيد أو المختار . انظر : ابن منظور، لسان ، ج١١،ص١٢٢.

157 – البلاذري ، أنساب ، ج٨ ، ص ٣٥٣٦ . يروي البلاذري في موضع آخر إن هذا القول هو ليزيد بن عبدالملك إذ سأل يزيد رجل من اليمانية : كيف كانت غزاتكم بالعراق ؟ قال : قتلنا أشرافنا وجئناك.فقال:أما يزيد فقد طلب عظيما ومات كريما.انظر :المصدر نفسه،ص ٣٥٢٥ .

158 – العوتبي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ١٥٥ – ١٥٦ ، ولدى الجاحظ يقول : وفي رواية أخرى قال رجل عند مسلمة :ما استرحنا من حائك كندة حتى جاءنا هذا المزوني ، فقال له مسلمة : أتقول هذا لرجل سار إليه قريعا قريش ؟ يعني نفسه والعباس بن الوليد بن عبدالملك . إن يزيد بن المهلب حاول عظيما ومات كريما.انظر:الجاحظ، المصدر السابق ، ج٢، ص ٩٩.

159 – لتفاصيل أحوال بقية آل المهلب انظر العوتبي ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٦ –١٥٨ .

160 – العوتبي ، المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

161 – المصدر نفسه ، ص ص ١٥٣ – ١٥٤ .

أبا خالد لم يبق بعدك سوقة ولا ملك ممن يعين على الرفد

ولا فاعل يرجز المقلون فضله ولا قائل ينكي العدو على الحقد

لو إن المنايا سامحت ذا حفيظة لأكرمنه أو عجن عنه على عمد[162]

وحين قتل بقية آل المهلب بالشام تمثلت أختهم فاطمة بنت المهلب فقالت :

فان الذي حانت بفلح دمــاؤهم هم القوم كل القوم يا أم خــالد

هم ساعدوا الدهر الذي تبقى به وما خير كفَ لم يؤيد بســاعد

اسود شرى لاقت اسود خـــفية يساقوا على لوح دماء الاساود[163]

ومثلما مدح آل المهلب في هذه الثورة الكبيرة فقد شتمهم الكثير من شعراء الأمويين المشاهير كجرير الذي يقول في نكبتهم[164]:

آل المهلب (جذّ) الله دابــرهم أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف

قد هزموا حين أخزى الله شيعتهم آل المهلب من ذل وقــــد لهــفوا

ما نالت الازد من دعوى مضلهم آل المعاصم والأعناق تختطـــف

والازد قد جعلوا المنتوف قائدهم فــقتــلتـــهم جنــود الله وانـــتثفوا

تهوي بذي العقر أقحاف جماجمهم كأنــها الحنــظل الخطبان ينــتقف

إن الخلافة لم تــوجد ليـملكــها عــبــد لازديــة في بطــنها عقف

وأنشد مسلمة بن عبدالملك بعد قتل يزيد بن المهلب قول ثابت بن قطنه :

يا ليت أسرتك الذين تغيبوا كانوا ليومك يا يزيد شهودا

قال مسلمة : وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهودا يومئذ فسقيتهم بكأسه . وكان مسلمة أول من أجاب شعرا بكلام منثور فغلبه[165].

و بعد أن استعرضنا هذه الروايات التي نقلت لنا أحداث واحدة من اكبر وأعظم الثورات الداخلية في الدولة الأموية في زمن اخذ الضعف يدخل رويدا إلى الدولة ، من وجود خليفة لاه عن شؤون الخلافة وبدايات ظهور دعاة الدولة العباسية ، فيمكننا تلخيص أسباب هذه الثورة ونتائجها بالاتي :

١- اتفق المؤرخون إن سبب الخلاف بين يزيد بن عبدالملك ويزيد بن المهلب هي امرأة يزيد بن عبدالملك وهو السبب الرئيسي الذي حمل يزيد بن المهلب على الهرب من سجنه في الأيام الأخيرة لعمر بن عبدالعزيز ،مما أدى لقيام هذه الثورة نتيجة لما حدث زوجة

---

[162] – الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٣ ، ص ٥٤.

[163] – العوتبي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥٤ .

[164] – ناصر الدين ، المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

[165] – الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج١٣ ، ص ص ٥٢ -٥٣ ، وفي موضع آخر يــورد البيــت برواية أخرى فيقول :يا ليت أسرتك الذين تغيبوا كانوا ليومك بالعراق شهودا

يزيد بن عبدالملك وأهلها من بقية آل الحجاج حين تولى يزيد بن المهلب ولاية العراق في زمن سليمان بن عبدالملك .

٢- يتضح من الأحداث إن يزيد حين هرب من سجنه لم يهرب ليثور ضد الدولة الأموية أو ليخلع الخليفة وإنما هرب تفاديا لتصادمه مع الخليفة يزيد بن عبدالملك لذات الأسباب التي ذكرناها سابقا . بدليل انه أرسل في طلب الأمان من الخليفة ، إضافة لمحاولات الوساطة من قبل إخوة يزيد لدى ولاة الأمويين في الكوفة والبصرة ، والذين رفضوا أي صورة من صور الصلح مع يزيد بن المهلب[١٦٦] . الكتاب الذي أرسله ثابت بن كعب الازدي ليزيد بن المهلب أثناء تواجد الازدي بخراسان يحرض يزيد فيه على بني أمية ويأمره بحربهم دليل على ذلك ، يقول ابن أعثم :" فلما وردت هذه الأبيات على يزيد بن المهلب ونظر فيها كأنه هش لها ودعته نفسه إلى قتال بني أمية وعزم على ذلك " [١٦٧].

٣- لم يكن سبب هزيمة يزيد بن المهلب قلة خبرته العسكرية مقارنة بخبرة مسلمة بن عبدالملك ولا عدد القوات التي حاربت معه وإنما – واتفق هنا مع رأي نجدت خماش – من إن عدم قدرة يزيد في استقطاب أهل الكوفة والبصرة وأشرافهما إليه ، وربما السبب في ذلك يعود كما تقول نجدت خماش إلى السياسة السلمية التي اتبعها ولاة عمر بن عبدالعزيز في تحالف أهل البصرة والكوفة وأشرافهما ، لاسيما وان يزيد بن عبدالملك لم يعمد إلى عزلهما[١٦٨] . كما لا ننسى الدور الذي لعبه الحسن البصري في تثبيط خروج كبار أهل البصرة مع يزيد بن المهلب وموالاتهم للأمويين .

٤- المرض الذي كان يعاني منه يزيد بن المهلب أدى إلى تخبط في الكثير من قرارته[١٦٩]،حيث كانت به علة فأضعفته وأنهكته [١٧٠] وكذلك تعنته ورفضه لرأي أخيه حبيب

---

166 – يقول علي صافي حسين في هذا : " إن يزيد ولى أخاه مسلمة العراق وأوكل إليه أمر قتال يزيد ابن المهلب ... ومعنى هذا إن يزيد بن المهلب أصبح تابعا لمسلمة بن عبدالملك بعد أن ولي هذا الأخير أمر العراقين وإذن فخروج ابن المهلب على الخليفة في دمشق يعد أولا وبالذات خروجا على مسلمة ، ومن هنا وجد مسلمة نفسه في مأزق ليس له منه مخرج إلا بواحد من اثنتين الأول : أن يعزل نفسه من ولاية العراقين ، والأخرى أن يخرج بنفسه لقتال ابن المهلب وقد اختار مسلمة الأخيرة ... " . راجع : حسين،علي صافي ، مسلمة بن عبدالملك حياته العسكرية والأدبية ، الدار القومية للطباعة والنشر : القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص ٦٠، وهذا يتعارض تماما مع ما تورده المصادر الأولية من إن مسلمة ولي العراقين مكافأة من أخيه يزيد لقضائه على ثورة يزيد بن المهلب .

167 – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ص ١١– ١٢ .

168 – لمزيد من التفاصيل راجع : خماش ،المرجع السابق ، ص ص ١٧٩ – ١٨١ .

169 – أصابت يزيد خلفه فضعف ولهذا ظل على كرسيه طوال القتال . للتفاصيل راجع : البلاذري ، أنساب ، ج ٨ ، ص ص ٣٥٠٨ – ٣٥٠٩.

باللجوء إلى خراسان ، ورفضه الأمان الذي عرضه عليه مسلمة بن عبدالملك والذي برأي الباحثة يعود لنفس السبب هو عدم ثقة يزيد بن المهلب من وعود يزيد بن عبدالملك وأمانه.

٥- سوء تصرف معاوية بن يزيد بن المهلب وقتله للأسرى الذين كانوا بين يديه ومنهم عدي بن أرطأة وابنه ، مما زاد من حنق الكثيرين على آل المهلب ، فانضموا لجيوش الشام في ملاحقة آل المهلب وقتالهم .

٦- ابرز نتائج هذه الثورة هي الضغينة التي حملتها القبائل اليمانية ضد الأمويين ، مما حدا بالكثير من المؤرخين كهاوتنج Hawting إلى القول إن : " إن أهمية ثورة ابن المهلب تكمن في تقويتها للانقسام القبلي الذي ستشهده الدولة الأموية ... وقد اعتبر الكثير من اليمانية إن هزيمة ابن المهلب هي إهانة كبيرة لهم ، وواحدة من أهم عوامل مساندة القبائل اليمانية في خراسان لبني هاشم ضد الأمويين والتي كانت بمثابة انتقام لبني المهلب "[١٧١].

وهكذا كانت نهاية آل المهلب وتاريخهم الطويل في الدولة الأموية مأساويا ،وهم الذين ساندوا الأمويين في تثبيت ملكهم في العراق و شرق الدولة الإسلامية،والتي نشروا من خلالها الإسلام واللغة العربية في تلك المناطق والتي ظلت موالية لهم حتى بعد مقتل يزيد ابن المهلب ، ويكفينا قول مسلمة بن عبدالملك: " ... إن يزيد حاول أمرا جسيما ومات كريما "[١٧٢]. ونجح مسلمة بن عبدالملك بحسن التخطيط من القضاء على ثورة كبيرة كان من الممكن أن تغير الكثير من تاريخ الأمويين آنذاك ، ومرة أخرى يكتب لأهل البصرة والكوفة صعوبة كسب ولائهم في المحن والشدائد .

---

170 – العوتبي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥١ .

171 – Hawting , G.R , The First Dynasty of Islam : The Umayyd Caliphate AD 661 – 750, Croom Helm: London&Sydney , 1986, p 76 .

172 – البلاذري ، أنساب ، ج ٨ ، ص ٣٥٢٥ . لمزيد من التفاصيل انظر : خريسات ، المرجع السابق ، ص ص ٢٥٧ – ٢٦٤ .

الفصل الثالث

الدور العسكري لمسلمة بن عبدالملك لحماية الحدود الشمالية والشمالية الشرقية

لقد ظهر اسم مسلمة بن عبدالملك جليا في الميدان العسكري وكان المتزعم للحملات الأموية لحماية الحدود الشمالية والشمالية الشرقية للدولة الأموية، والحفاظ عليها ضد أي تهديدات من قبل دولة الروم (الامبراطوية الرومانية الشرقية) ،أو من قبل قبائل الخزر التي شكلت خطرا على الحدود الشمالية الشرقية وهددتها أكثر من مرة . وهنا لا تتفق الباحثة مع رأي إبراهيم بيضون من إن هذه الجبهة لم تتجاوز العلميات الحربية فيها النطاق التقليدي المحدود ، حيث يقول : " وكانت الجبهة الوحيدة التي لم تتجاوز العمليات الحربية فيها النطاق التقليدي المحدود هي الجبهة الشمالية ، حيث ابتعدت عنها الجيوش الأموية إلى جبهات أخرى في الشرق والغرب ، فأصابها الجمود وتراجعت إلى الوراء في اهتمامات الدولة التوسعية ..."[1]. والأدلة التاريخية تبين لنا مدى الاهتمام الأموي بهذه الجبهة منذ قيامها على يد معاوية بن أبي سفيان كما سنبين في هذا الفصل ، وما جعل الفتح في هذه المناطق لا يأخذ ذات الشكل في المناطق الأخرى الاضطرابات الداخلية في الدولة والتي كانت تشغل أولويات الخلفاء ، ولكن الأمويين لم يهملوا هذه الجبهة قط ، وكان لهم حملات وصولات فيها على طول تاريخهم . وارتأت الباحثة تقسيم مراحل حياة مسلمة العسكرية إلى خمس مراحل أساسية ، بدءا من سنة ٨٦هـ/٧٠٤م في أواخر أيام والده عبدالملك بن مروان ، وحتى خلافة أخيه هشام بن عبدالملك والتي يمكننا أن نحدد سنة ١١٤هـ/٧٣٢م كآخر محطة في حياة مسلمة العسكرية ، ولكننا في هذا الفصل سنفصل في أربع منها إذ سبق وذكرت المرحلة الرابعة منها في إطار دور مسلمة في الحفاظ على الاستقرار الداخلي للدولة الأموية في الفصل الثاني من هذه الدراسة . وهذه المراحل يمكننا إجمالها في التالي :

المرحلة الأولى : من سنة ٨٦هـ/م٧٠٤- ٩٠هـ/٧٠٨م : حيث عمل كمقاتل في قوات عمه محمد بن مروان الذي كان أيضا واليا على أرمينية والجزيرة الفراتية في هذه الفترة وذلك خلال خلافة والده عبدالملك بن مروان وأخيه الوليد من بعده .وخلال هذه المرحلة سنرى كيف لعب محمد بن مروان دورا في صقل شخصية ابن أخيه العسكرية من خلال عددا من الحملات التي وجه مسلمة إليها.

المرحلة الثانية : وتمتد من ٩١هـ/٧٠٩م -٩٧هـ/٧١٥م : حيث تولى مسلمة بن عبدالملك خلال هذه السنوات القيادتين الإدارية والعسكرية في كل من الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان وذلك في عهد أخيه الوليد بن عبدالملك خلفا لعمه محمد بن مروان ، وقاد خلالها حملات عسكرية استطاع إخضاع الثورات التي قامت ضد الدولة الأموية في هذه المناطق .

المرحلة الثالثة : وتنحصر في الفترة من ٩٨هـ/٧١٦م - ٩٩هـ/٧١٧م : والتي شملت حصار القسطنطينية الكبير في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك ، والتي جعل من

---

[1] بيضون ، المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

أخيه مسلمة القائد العام للقوات التي حاصرت القسطنطينية حصارا عظيما ، اقسم مسلمة بعدم الرجوع إلا وهو فاتحا لها إلا إن وفاة الخليفة سليمان والظروف الصعبة التي مر بها الجيش الإسلامي اضطرت الخليفة عمر بن عبدالعزيز من إعادة القوات مرة أخرى .

المرحلة الرابعة: تمتد من سنة ١٠٠هـ/٧١٨م – ١٠٢هـ/٧٢٠م ، وهي الفترة التي انحصر دور مسلمة بن عبدالملك العسكري في القضاء على ثورة الخوارج وثورة يزيد بن المهلب واللتين كانت العراق مسرحا لهما ، والتي هددت الاستقرار الداخلي للدولة الأموية والتي ناقشناها في الفصل الثاني .

المرحلة الخامسة : وتنحصر في الفترة من ١٠٧هـ/٧٢٥م- ١١٤هـ/٧٣٢م : وذلك خلال خلافة أخيه هشام بن عبدالملك والتي سيتولى فيها مسلمة القيادتين العسكرية والإدارية أكثر من مره في المناطق الشمالية من الدولة الأموية ، والتي سيعطي مسلمة لوائها بعد ذلك لابن عمه مروان بن محمد مكملا مسيرة من سبقه في الحفاظ على هذا الثغر المهم . والآن سنستعرض أحداث كل مرحله من هذه المراحل بالتفصيل .

المرحلة الأولى (٨٦هـ/٧٠٤م- ٩٠هـ/٧٠٨م)[2]:

ابتدأت مساهمات مسلمة بن عبدالملك في تعزيز قوة الأمويين في الحدود الشمالية للدولة الأموية في أواخر حياة والده عبدالملك بن مروان ، والذي رأى إن الوقت حان لابنه مسلمة للانخراط فعليا في الحملات العسكرية في المناطق الشمالية برفقة عمه محمد بن مروان . وإننا إذ نستعرض الدور العسكرية لمسلمة في هذه المرحلة لا يفوتنا ملاحظة التدرج الذي اتبعه الخليفة عبدالملك بن مروان في سبيل تولية ابنه القيادة العسكرية في هذه المناطق ، وهو نموذج سنراه عند كل الخلفاء الأمويين إذ يعدون أبنائهم للحياة والقيادة العسكرية بهذه الطريقة ، بدءا من مرافقة احد كبار قادة الدولة من الأمراء يتبعها استقلال في قيادة الحملات العسكرية في واحدة من أكثر المناطق اضطرابا وأهمية للدولة الأموية نظرا لأنها تمثل الحدود الفاصلة بين الدولة الأموية والإمبراطورية البيزنطية . يذكر ابن أعثم اسم مسلمة بن عبدالملك في الحدود الشمالية مع تولية عبدالملك بن مروان أخيه محمد بن مروان الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان ، حيث رافق مسلمة بن عبدالملك عمه في ولايته هذه ، ثم ما لبث أن عقد له عمه محمد بن مروان لواءا ضم جيشا كثيفا ووجهه لقتال الخزر[3] في مدينة الباب[4] والتي قدر المقاتلين فيها يومئذ ما يزيد على ثمانين ألف ، إلا إن مناعة المدينة[5] جعلت

---

2 – لتحديد مواقع هذه المناطق التي فتحت في هذه الفترة ، انظر الخارطة في ملحق رقم (٣) .

3 – انظر هامش رقم ٤٥ في الفصل الثاني من الدراسة .

4 – انظر هامش رقم ٥٩ في الفصل الثاني من الدراسة .

من الصعب على مسلمة إخضاعها ، حتى جاءه رجل من أهلها يعلن إسلامه ويطلب منه الأمان على نفسه وأهله مقابل أن يدل مسلمة بن عبدالملك على موضع يستطيع من خلاله إخضاع المدينة ، فقبل منه مسلمة ذلك وبعث معه ألف رجل من اشد أصحابه ، واقبل على المدينة من موضع في سورها كان أهلها لا يخافون أن يؤتون منه نظرا لوقوعه في منطقة خلف الجبل ، فدخل المقاتلون من ذلك الموضع وباغتوا أهل مدينة الباب فاقتتلوا قتالا شديدا ، حتى علت صيحات المسلمين بالتكبير وصاح رجل من عسكر مسلمة : إلا انه الظفر ورب الكعبة ! فتوجه إليهم مسلمة وبقية الجيش وخرج الخزر من المدينة هاربين[6] . يقول ابن أعثم في هذا أيضا : " وعزم مسلمة على هدم سور المدينة ، فقال له بعض أصحابه : لا تهدم هذا السور فلعلنا نحتاج إلى هذه المدينة فتكلفنا بناء هذا السور بالمؤن الكبيرة ، ولعلنا لا نبلغ من أحكامه ما نريد . فقال مسلمة : صدقت ، ولكني حلفت أن اهدمه ولابد لي من ذلك! فقال : فاهدم بعضه واترك بعضه ، قال : فأمر مسلمة بهدم بعض السور مكان يمينه "[7]. ولكننا لا نجد هذه الرواية في أي مصدر آخر من المصادر التاريخية ، كما إن محمد ابن مروان تولى إمارة هذا الثغر قبل عام ٨٦هـ/٧٠٤م ، وهذه الرواية يوردها ابن أعثم في أكثر من موقف في حديثه عن حملات مسلمة بن عبدالملك وهذا ربما يعود لنزعة ابن أعثم العلوية والتي أراد بها تشويه تاريخ الجهاد في الدولة الأموية في هذه الفترة التاريخية حيث يوضح في هذه الروايات إن مسلمة بن عبدالملك لم ينجح في إخضاع هذه المناطق سوى بمساعدة احد أبناء تلك المناطق إذ عجز أمامها تماما٨.ومع إجماع المصادر التاريخية الأولية إن أول ظهور لمسلمة بن عبدالملك كقائد مستقل كان أيضا في عام ٨٦هـ / ٧٠٤ م حين وجهه والده إلى بلاد الروم ، فان الباحثة تميل للقول بان مسلمة بن عبدالملك خرج مع عمه محمد بن مروان في حملات متعددة إبان إمارة عمه على الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان عام ٨٣هـ/٧٠١م كما هو العهد بالخلفاء من إرسال أبنائهم للجهاد مع احد أمراء البيت الأموي على ثغر مهم كالحدود الشمالية للدولة الأموية ، وعليه فإننا لا نقبل رواية ابن أعثم للغزوة التي قادها مسلمة خلال مرافقته لعمه محمد بن مروان حيث لا تذكرها أيا من المصادر التاريخية كما أسلفنا .

---

5 – يقول ابن أعثم : " ... وهو – أي مسلمة بن عبدالملك– في ذلك لا يقدر عليها ولا يطمع فيها لحصانتها ووثاقة سورها ، لان سورها إنما كان من بناء انوشروان بن قباذ بن فيروز ملك فارس مما يبنى في الدهر الأول " . انظر : ابن أعثم ، المصدر السابق، ج٦ ، ص ٢٩٤ .

6 – المصدر نفسه ، ص ص ٢٩٤ – ٢٩٦ .

7 – المصدر نفسه ، ص ٢٩٧ . يذكر إن الخزر عادت مرة أخرى واستولت على المدينة فعاد خطرهم على الدولة مرة أخرى ، إلا إن محمد بن مروان استطاع ضبطهم ومعه مسلمة بن عبدالملك .

8 – للتفاصيل حول هذه الروايات راجع المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ص ١٣٩ – ١٤١ .

أما الذكر الفعلي لقيادة مسلمة للجيوش الأموية فهي في أواخر حياة والده عبدالملك بن مروان من العام ٨٦هـ/٧٠٤م ، حيث غزا بلاد الروم وقتل وسبى وفتح حصون بولق[9] والاخرم ، إلا إن الذهبي يذكر إن مسلمة افتتح ثلاثة حصون دون أن يذكر أسمائها [10] . ولكننا نجد لدى ابن أعثم الكوفي رواية مفصلة حول أسباب تولية عبدالملك بن مروان لابنه مسلمة هذه الحملة ، ورغم ما يشوبها من أسلوب أدبي رفيع إلا إننا نتردد كثيرا في قبولها ، إذ عدا أنها رواية فردية فإنها تمزج بين الأحداث التاريخية بصورة واضحة جدا ، إذ إننا نجد ابن أعثم يوصل فتوحات مسلمة في أيام والده إلى القسطنطينية وهذا ما ينافي الوقائع التاريخية ، فمسلمة بن عبدالملك حين توفي والده كان خارجا للجهاد في ارض الروم ولم يحضر جنازة والده ، وإنما وصله الخبر لاحقا ، وعبدالملك بن مروان توفي في نفس الفترة التي بعث فيها ابنه مسلمة لأرض الروم ، فلا يعقل أن يكون مسلمة امتد في فتوحاته كما يصفها ابن أعثم إلى عمورية والسماوة والقسطنطينية وغيرها[11].ويقول ابن أعثم في سياق حديثه عن الخطبة التي ألقاها عبدالملك بن مروان لتسيير القوات لبلاد الروم : "... ثم دعا مسلمة فعانقه وقبل بين عينيه وقال : السلام عليك يا ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي ، فان نفسي تحدثني إني لا أراك ولا تراني بعد هذا أبدا ، ثم بكى وبكى الناس لبكائه ..."[12].إلا أننا نجد لدى خليفة بن خياط وهو مصدر متقدم نوعا ما ورواية أخرى تبين ذلك حيث يقول في ذكر أحداث سنة ٨٥هـ/٧٠٣م: "قال ابن الكلبي : وفي سنة خمس وثمانين بعث عبدالله بن عبدالملك وهو بالمصيصة يزيد بن حنين فلقيته الروم في جمع كثير فأصيب الناس بسوسنه ، وأصيب ميمون الجرجماني[13] في نحو ألف من أهل أنطاكية عند طوانة"[14] . ويؤكد الذهبي هذا فيقول في ذكر أحداث عام ٨٥هـ/٧٠٣م :" ...وقتل ميمون الجرجماني في نحو ألف نفس من أهل أنطاكية ، وكان ميمون أمير أنطاكية من موالي بني أمية ، مشهور بالفروسية وتألم غاية الألم لمصابهم "[15]. وعلى هذا الأساس أرسل عبدالملك بن مروان جيشا للثأر لميمون الجرجماني كما يذكر البلاذري حيث يقول : " ... فبلغ عبدالملك عنه بأس وشجاعة

---

9 – يوردها ابن عساكر باسم بوق ، ولم نجد لها ذكر عند ياقوت الحموي . انظر : ابن عساكر ، تاريخ، ج٥٨، ص ٣٠ .

10 – الذهبي ، تاريخ ،ج٧ ، ص ٤٦٨ .

11 – لمزيد من التفاصيل انظر : ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ص ١٢٢-١٤٣ .سنناقش هذه القضية في موضعها لاحقا. انظر أيضا : البدراني ، المرجع السابق ، ص ص ١٠٠- ١٠١ .

12 – ابن أعثم ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

13 – ميمون الجرجماني عبد روماني لبني أم الحكم أخت معاوية بن أبي سفيان وإنما نسب إلى الجراجمة لاختلاطه بهم وخروجه بجبل لبنان معهم .انظر:البلاذري، فتوح ،ص ص ١٦٠ – ١٦١.

14 – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص١٨٤ .

15 – الذهبي، تاريخ ،ج٦،ص٢٣.

فسأل مواليه أن يعتقوه ففعلوا وقوده على جماعة من الجند وصيره بأنطاكية ، فغزا مع مسلمة بن عبدالملك الطوانة وهو على ألف من أهل أنطاكية فاستشهد بعد بلاء حسن وموقف مشهود فغم عبدالملك مصابه وأغزى الروم جيشا عظيما طلب بثأره ..." [16].

إلا إن غزو مسلمة بن عبدالملك للطوانه تجمع المصادر الأولية انه تم في عام ٨٨هـ/٧٠٦م أي في عهد الوليد بن عبدالملك [17] ،كما أنه من المشهود إن عبدالملك بن مروان صالح الجراجمة الذين كانوا على جبل اللكام في بلدة يقال لها الجرجومه [18] حين انشغل بقتال ابن الزبير وصالحهم على ألف دينار في كل جمعه لتخوفه أن يهددوا الشام وهو منشغل بقتال العراق ، إلا انه حين استتبت الأمور لعبدالملك بن مروان وجه إلى الرومي سحيم المهاجر فتلطف حتى دخل عليه متنكرا فاظهر الممالأة له وتقرب إليه بذم عبدالملك وشتمه وتوهين أمره حتى أمنه واغتر به ثم انكفى عليه بقوم من موالي عبدالملك وجنده ونادى بالأمان فتفرق الجراجمه بقرى حمص ودمشق ورجع أكثرهم إلى مدينتهم باللكام وذلك في سنة ٧٠هـ/٦٨٩م [19] ، ولا يعقل أن يكون مسلمة قد تواجد إبان هذا الغزو أو حتى قريبا منه إذا ما أخذنا في اعتبارنا إن مسلمة بن عبدالملك ولد عام ٦٣هـ/٦٨٢م بحسب رواية البلاذري ، كما إن اسم ميمون الجرجماني لا يرد مع مسلمة بن عبدالملك إلا لدى البلاذري ، فخليفة بن خياط يذكر وفاة ميمون الجرجماني ولا يذكر تواجد مسلمه معه ، كما إن الذهبي الذي نقل من خليفة بن خياط خبر الحادثة كذلك لا يذكر اسم مسلمه بن عبدالملك ، في حين إن البلاذري هو الوحيد الذي يذكر صراحة إن ميمون الجرجماني تواجد مع مسلمه في الطوانة خلال هذه الفترة ، فان قسنا إن وفاة عبدالله بن الزبير كانت سنة ٧٣هـ/٦٩٢م ، فإن عبدالملك ما كان لينهي اتفاقه مع الجراجمه قبل انتهائه من حرب ابن الزبير وتخلصه من اكبر الثورات الداخلية المناوئة له وللدولة الأموية . ولهذا ترى الباحثة إن ميمون الجرجماني كان على أنطاكية في عهد عبدالملك بن مروان وسير الجيش إلى الطوانة وحاول فتحها إلا

---

16 – البلاذري، فتوح ، ص ١٦١.

17 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤، ص ص ١٢٨٤-١٢٨٥ .

18 – موضع على الثغر الشامي عند معدن الزاج فيما بين بياش وبوقه قرب أنطاكية ، والجراجمة قوم كان أمرهم في أيام استيلاء الروم فخافوا على أنفسهم وهادنوا الروم فلم ينتبه لهم المسلمين ، فلما ولى أبو عبيدة الجراح حبيب بن مسلمة الفهري هذا الثغر غزا الجرجومه فصالحه أهلها على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام ، وكان الجراجمة كثيرا ما يخالفون عهودهم مع المسلمين . انظر : الحموي ،المصدر السابق،م٢، ص ١٢٣ ، ولمزيد من التفاصيل حول أوضاع الجراجمة في بلاد الشام انظر : تدمري،عمر عبدالسلام ، الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق ولبنان،بحث القي في الندوة الثانية من المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في صدر الإسلام،الجامعة الأردنية:عمان،اربد:جامعة اليرموك،١٩٨٧م،م٢،ص ص ٣٦٤-٣٦٦ .

19 – البلاذري ،المصدر السابق ، ص ١٦١ .

انه قتل مع ألف من أهل أنطاكية ، ولا ترى الباحثة فعلية تواجد مسلمه بن عبدالملك في هذا الجانب من الدولة الأموية إذا أخذنا بعين الاعتبار رواية ابن أعثم الكوفي من تواجد مسلمه مع عمه محمد بن مروان بأرمينية خلال هذه الفترة ، كما إن تواجد عبداالله بن عبدالملك بالمصيصة كفيلة بإمكانيات عبدالله لنصرة ميمون الجرجماني ودعمه في تلك الحدود من الدولة ، ونؤكد إن إجماع الروايات على إن فتح الطوانة تم في عام ٨٨هـ/٧٠٦م وليس قبلها، وكما ذكرنا سابقا فان ميمون الجرجماني حاول فتحها ولكنه فشل في ذلك .

ويروى إن عبدالملك بن مروان استبطأ ابنه مسلمة في مسيره إلى الروم وكتب إليه :

عن الظعائن سيرهن تزحف سير السفين إذا تقاعس يجذف

فلما قرأ مسلمة الكتاب كتب إلى والده:

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم[٢٠]

وبعد وفاة والده أكمل مسلمة مهمته في بلاد الروم في عهد أخيه الوليد بن عبدالملك ، الذي أرسله في حملة أخرى في نفس العام فافتتح حصن قونس[٢١] ، وفي عام ٨٧هـ/٧٠٥م غزا مسلمة بلاد الروم فقتل منهم خلقا كثيرا ، وفتح حصونا كثيرة وغنم غنائم جمة ، ويقال إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبدالملك ففتح حصن بولق والاخرم وبحيرة الفرمسان[٢٢] وحصن بولس وقميقم وقتل من المستعربة نحوا من ألف وسبى ذراريهم[٢٣] ، وبلغ عسكره قلوذيما تلس [٢٤]، ويضيف ابن خلدون أسماء هذين الحصنين اللذان فتحهما مسلمة عام ٨٦هـ/٧٠٤م وهما حصن بولق والاخرم [٢٥]، واني لأرى إن ابن خلدون كرر الأسماء لا أكثر هنا أو أنه خلط أحداث عام ٨٦هـ بتلك التي وقعت عام ٨٧هـ/٧٠٥م . أما ابن عساكر فيشير إن مسلمة غزا الصائفة بمواليه و فتح الطوانة في عام ٨٧هـ/٧٠٥م يرافقه ابن الخليفة العباس بن الوليد بن عبدالملك حيث شتوا فيها وهزموا الروم الذين كانوا قد جمعوا لهم من القوات العديد وقتل نحو خمسين ألف وفتح الطوانه والجرجومه[٢٦]، إلا انه – أي ابن عساكر – يعود فيذكر حدث فتح الطوانه سنة ٨٨هـ/٧٠٦م بذات العبارات والتفاصيل ، وتؤكد المصادر الأولية إن فتح الطوانه والجرجومه تم في عام

---

20 – الجاحظ ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٨١-١٨٢.

21 – ابن عساكر ، تاريخ،ج٥٨ ، ص ٣٣ . ربما كان هذا هو الحصن الثالث الذي ذكره الذهبي في فتوحات عام ٨٦هـ لمسلمة ولكنه لم يكن في عهد والده .

22 – في الأصل بحيرة الفرسان . انظر : المصدر نفسه ، ص٣٠ .

23 – ابن كثير،المصدر السابق،ج٩،ص ٢٣٨٩.انظر أيضا:ابن الجوزي،المصدر السابق،ج٤،ص ٤١٤.

24 – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ١٩١ .

25 – ابن خلدون، المصدر السابق ، م٣ ، ص ص ٧٠-٧١.

26 – ابن عساكر، المصدر السابق ، ص ٣٠، ٣٣ .

٨٨هـ/٧٠٦م[٢٧].ويروى انه عندما سار مسلمة بن عبدالملك إلى بلاد الروم سنة ٨٧هـ/٧٠٥م كان في مقدمة قواته عشرة آلاف مقاتل لا يرى منهم إلا الحذق حيث كانوا يرتدون البيضة(الخوذة) [٢٨]. ويشير ابن الأثير إلى إن مسلمة فتح في عام ٨٨هـ/٧٠٦م ثلاثة حصون هي حصن قسطنطين وغزالة والاخرم [٢٩].

من ناحية أخرى يروي لنا الطبري تفاصيل فتح الطوانه فيقول : " ... كان فتح طوانه على يدي مسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد بن عبدالملك ، وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم ، ثم رجعوا فانهزم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبدا ، وبقي العباس معه نفير منهم ابن محيريز الجمحي ، فقال العباس لابن محيريز : أين أهل القران الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابن محيريز : نادهم يأتوك ، فنادى العباس : يا أهل القران ! فاقبلوا جميعا فهزم الله العدو حتى دخلوا طوانه . وكان الوليد بن عبدالملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة فذكر محمد بن عمر عن أبيه إن مخرمة بن سليم اللوالبي قال: ضرب عليهم بعث ألفين ، وإنهم تجاعلوا ألف خمسمائة ، وتخلف خمسمائة فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس وهما على الجيش وإنهم شتوا بطوانة وافتتحوها..."[٣٠]. ونجد لدى ابن أعثم الكوفي رواية مختلفة عن فتح الطوانة ، إذ يشير إليها في مقدمة الحملات العسكرية لمسلمة في بلاد الروم في عهد والده عبدالملك بن مروان ، حيث يقول : " ... فلما كان من الغد ودعهم عبدالملك بن مروان ورجع إلى دمشق في نفر من أصحابه. وسار القوم في الآلة والسلاح الكامل والزي الحسن والخيل العتاق والبراذين المطهمة حتى نزلوا بموضع يقال له مرج دابق. قال: فلم يزل مسلمة هنالك نازلا والناس يخرجون إليه ويتلاحقون به من كل موضع راغبين في الجهاد حتى صار في عسكر عظيم ، ووافاه الفتية المدنيون التوابون[٣١]... قال : ثم حمل يعقوب بن عبدالكريم الأنصاري حملة يريد باب الحصن ، قال : ولحقه إخوته الثلاثة حتى صاروا إلى باب حصن طوانه ، فجعلوا يقاتلون اشد القتال . قال : وصاح مسلمة بالمسلمين فحملوا وانكشفت الروم من بين أيديهم كشفة قبيحة .قال : وجعل قوم يقاتلون وقوم

---

27 – ابن عساكر، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٣١-٣٣ .

28 – الجنابي ، المرجع السابق، ص ص ١٥٤-١٥٥ .

29 – ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ٢٥٣٢ .

30 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤، ص ص ١٢٨٤-١٢٨٥ . انظر أيضا: ابن كثير، المصدر السابق ، ج٩ ، ص ص ٢٣٩١-٢٣٩٢.

31 – هم عشرة من الفتية من أهل المدينة منهم سليمان بن عمرو القرشي وأخوه يحيى بن عمرو وهارون بن الحصين التميمي وأخوه احمد بن الحصين، ومحمد بن زرعة العبدي ، واحمد بن محمد اليشكري ، وبشر بن مطر الازدي ، وسعيد بن اسماعيل الطائي الاسدي، وعبدالله بن عمرو الطائي،ويعقوب بن عبدالله الأنصاري . للتفاصيل انظر : ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٤، ص ص١٢٥-١٣٤.

ينقبون السور نقبا واسعا ، وبادر يعقوب بن عبدالكريم الأنصاري فدخل الحصن من ذلك النقب ، وجعل يقاتل أهل الحصن وحده ، فلم يزل كذلك حتى قطعت إحدى قدميه ووثب قائما على تلك الحالة يقاتلهم ... فلم يزل الأنصاري يقاتلهم وحده ويدفعهم عن ذلك حتى دخل إليه إخوته الثلاثة ، فأعانوا ودفعوا الروم عن ذلك النقب ، ثم إنهم كبروا وصاحوا بأصحاب مسلمة ، فدخل الناس من ذلك النقب وفتحوا باب الحصن ، والأنصاري ينزف الدم من رجليه حتى مات – رحمه الله ! وقتل إخوته الثلاثة الذين كانوا معه – رحمة الله عليهم جميعا ... وأنشأ أعشى تغلب يقول أبياتا مطلعها :

خير لمسلمة البنان فانه فضلت أنامله الأكف وطالها " [٣٢].

ويشير نبيه عاقل إن البيزنطيين بعد الانتصارات التي حققها مسلمة في السنتين السالفتين شعروا بتصميم المسلمين على الاستيلاء على حصن طوانه نظرا لأهميته فسيروا إليه قائدين من أشهر قوادهم ومعهما عدد من الجنود النظاميين وقوات غير نظامية ، كما انه – أي نبيه عاقل– يرى إن فتح الطوانه هو مقدمة خطه رسمها الوليد للوصول إلى القسطنطينية حيث يعتبر حصن الطوانه أهم حصن على الطريق بين الشام والقسطنطينية [٣٣].

كما يشير اليعقوبي إلى إن مسلمة والعباس بن الوليد بن عبدالملك افتتحا سورية[٣٤] في هذه السنة، وافتتح العباس ادرولنية[٣٥]، إلا إن المصادر تجمع إن هذه الأحداث وقعت سنة ٨٩هـ/٧٠٩م حيث غزا مسلمة بن عبدالملك عمورية[٣٦] . ويشير ابن أعثم الكوفي أيضا إلى فتح عمورية[٣٧] في عهد عبدالملك بن مروان معطيا تفاصيل لهذا الفتح لا نجدها في أي من المصادر الأخرى ، حيث يقول : " ... ثم نادى مسلمة في أصحابه بالسير إلى عمورية ، وبلغ شمعون صاحب عمورية بأن العرب قد سارت إلى ما قبله ، فجمع من كان حوله من القرى والحصون الصغار فأدخلهم عمورية ، ثم دعا بطريقا من بطارقته يقال له ورسيب ،

---

32 – ابن أعثم ، المصدر السابق، ج٤ ، ص ص ١٢٥–١٣٥ .

33 – عاقل، المرجع السابق، ص ص ٢١٩ ، ٢٢٠. .

34 – موضع بالشام بين خناصرة وسلمية . انظر : الحموي ، المصدر السابق،م٣،ص ٢٨٠ ، وخناصرة بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية . انظر : المصدر نفسه، م ٢، ص ص ٣٩٠–٣٩١ ، وسلمية هي بليدة من ناحية البرية من أعمال حماة . انظر: المصدر نفسه ، م٣ ، ص ص ٢٤٠ – ٢٤١.

35 – اليعقوبي ، المصدر السابق ، م٢، ص ٢٩٢ . يذكرها ابن خلدون باسم اردولية . انظر : ابن خلدون، المصدر السابق، م٣ ، ص ٧١ .

36 – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ . انظر أيضا : الذهبي ، تاريخ،ج٧، ص ص ٤٦٨–٤٦٩.

37 – بلد في بلاد الروم سميت نسبة إلى عمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام ، وتقع في موضع انقره حاليا . انظر: الحموي، المصدر السابق م٤، ص ١٥٨.

فضم إليه أربعة صلبان ، تحت كل صليب عشرة ألاف ، وأمره أن يكون على مقدمته . فسار ورسيب في أربعين ألفا على مقدمة شمعون ، وأقبل شمعون من ورائه في ثمانين ألف، وبلغ ذلك مسلمة بن عبدالملك فعبى أصحابه ، ثم دعا بالبطال بن عمرو[٣٨] فأمره أن يتقدم بين يديه، فسار البطال في المقدمة ومعه عشرة ألاف من المسلمين لا يرى منهم إلا الحدق، حتى إذا اشرف على عمورية لقيه ورسيب ومعه أربعين ألفا من الجنود فاقتتلوا ، فحمل ورسيب على البطال وهو لا يعلمه ، وعلم البطال انه ورسيب فخفق عليه قم ضربه ضربة على قونس بيضته ، فقد البيضة والهامة وخر ورسيب قتيلا . ثم جال البطال في ميدان الحرب وهو يقول :

قد يقتل المرء بلا ذنوب   وربما كان أخا تكذيب

لاسيما مثل الشقي ورسيب   جدلته بصارم قضيب

وحين وصل نبأ مقتل ورسيب الى شمعون صاحب عمورية ، تقدم بقواته يريد لقاء المسلمين ، وتقدم عبدالرحمن بن صعصعصة بن صوحان العبدي أمام المسلمين وهو يرتجز ... ثم حمل ساعة ورجع مجروحا ، وتقدم عبدالله بن جرير البجلي ... وحمل على جميع الروم فقاتل ورجع مجروحا، ثم تقدم محمد بن مروان ... ثم حمل فقاتل ، وحمل عليه شمعون بنفسه فطعنه طعنة منكرة ، فرجع محمد بن مروان جريحا ، فتقدم محمد بن عبدالعزيز ... ثم حمل فقاتل ساعة ورجع مجروحا ... وترجل مسلمة بن عبدالملك فنزل عن فرسه ونزل الناس معه ، واختلط القوم فاقتتلوا قتالا شديدا ، وصبر القوم بعضهم لبعض ، وصاح صائح من المسلمين : أيها الأمير! البشرى فقد قتل الله شمعون . قال : فكبر مسلمة وكبر المسلمون معه ، فأقبل البطال وفي يده رأس شمعون وألقاه بين يدي مسلمة . فعند ذلك وثب مسلمة واستوى على فرسه واستوى الناس معه على خيولهم ثم حمل وحمل الناس معه، وانهزمت الروم وولوا الأدبار ، وتسارع الناس إلى باب عمورية فدخلوها بالسيف عنوة ، فقتلوا مقاتلتها وغنموا أمتعتها وأموالها. ووصلت الغنائم إلى ما يزيد على مائتي ألف مثال من الذهب والفضة سوى الأمتعة والبغال والحمير [٣٩]. إن القارئ والمحلل لرواية ابن أعثم الكوفي يتوقف عند الكثير من النقاط فيها ، فعمورية حصن قوي ومهم للروم وبالتأكيد فان استيلاء المسلمين عليه بعد الطوانة يعد فتحا كبيرا لهم في بلاد الروم ، ورواية الكوفي هذه تعطينا الكثير من المعلومات التي لا نجدها في أي من المصادر الأخرى هي مشابهة في فرديتها وطريقة روايتها تلك التي أوردناها عن الطوانة . إلا إن القلقشندي في حديثة عن أبو محمد عبدالله البطال يذكر اسم شمعون ومحاربة مسلمة له حيث يقول : " أبو محمد عبدالله البطال كان من كبار القادة الذي شهدوا مع مسلمه بن عبدالملك الكثير من حملاته على بلاد

---

[38] – راجع الفصل الأول للتفاصيل عن هذا القائد .

[39] – ابن أعثم ، المصدر السابق، ج٤، ص ص ١٣٥ – ١٣٧ .

الروم وشهد معه كذلك حصار القسطنطينية ، وللعامة حوله حكايات وقصص، وكانت وفاته سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م . وهو الذي قتل شمعون قائد الكفار في فتح عمورية وألقاه بين يدي مسلمه بن عبد الملك ، وكذلك حز رأس اقربطون ورفعه على رمحه[40]. إلا إن هذه الرواية ورواية ابن أعثم الكوفي لا نجد لها سندا في المصادر التاريخية كخليفة بن خياط أو الطبري وغيرهما ، أضف إلى هذا إن رواية ابن أعثم الكوفي تفقد مصداقيتها لأنه يواصل بين هذين الفتحين مؤكدا إنهما كانا في عهد عبدالملك بن مروان وهذا ما تنفيه الروايات التاريخية الأخرى ، كما إن أسماء القادة الذين وردوا في نص هذه الرواية أمثال محمد بن مروان ومحمد بن عبدالعزيز بن مروان أيضا تجعلنا نرفض هذه الرواية ونشكك كثيرا في صحتها ذلك لان محمد بن مروان كان على ولاية الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان بموجب عهد أخيه عبدالملك بن مروان بذلك ، ولا نجد أي رواية في أي مصدر تاريخي متقدم أو متأخر عن ابن أعثم تؤكد إن محمد بن مروان قاتل مع ابن أخيه مسلمة بن عبدالملك أو انه تحرك من مناطق ولايته تلك . أما محمد بن عبدالعزيز بن مروان فيذكر انه استشهد أثناء حصار القسطنطينية [41] ، وعليه فان الباحثة لا تجد أي دليل تاريخي يثبت رواية ابن أعثم هذه وبالتالي لا يمكن القبول بها . وجاء في الأثر إن مسلمة بن عبدالملك حين قصد عمورية مر على ارض له بغراس ، حمل هو والعسكر نسائهم معهم للجد في القتال ، فلما وصل لعقبة بغراس عند الطريق المستدقة التي تشرف على الوادي سقط جمل فيه امرأة، فأمر مسلمة النساء أن يمشين فسميت بعقبة النساء[42] ، كما إن المعتصم بنى على جد تلك الطريق حائطا من حجارة وبنى الجسر الذي على طريق أذنه من المصيصة [43] .

ومن ثم غزا الصائفة لشهرين ، وافتتح كذلك الحصون الخمسة بسورية دون تسمية لأسماء هذه الحصون،في حين يذكرها ابن كثير أربعه سورية وعمورية[44] وهرقلة[45] وقمودية[46] ،[47]إلا إن ابن عساكر مرة أخرى يعود فيذكر فتح مسلمة للحصون الخمسة بسورية

---

40 – القلقشندي ، قلائد ، ص ١١٦ .

41 – المنجد ، المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

42 – البلاذري ، فتوح ، ص ص ١٦٧-١٦٨ .

43 – الحموي ، المصدر السابق، م٤ ، ص ١٣٤ . وأذنه بلد من الثغور المهمة قرب المصيصة خرج منه جماعة من أهل العلم . انظر: المصدر نفسه ، م١ ، ص ١٣٣ .

44 – سبق الإشارة إليها في فتوحات عام ٨٩هـ/٧٠٦م .

45 – مدينة ببلاد الروم سميت نسبة إلى هرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام .انظر : الحموي، المصدر السابق م٤، ص ص ٣٩٨-٣٩٩.

46 – ابن كثير، المصدر السابق، ج٩ ، ص٢٣٩٣. انظر أيضا : ياسين، المرجع السابق ، ص ٤٠٣ . قمودية تذكر أيضا باسم قمورية ولم نجد لها أي ذكر لدى الحموي في معجم البلدان ، ويذكر الاعظمي إنها قونيه حاليا ، إلا إن الحموي يذكر قونيه بأنها موضع مدينة القيروان حاليا وإنها–

في أحداث عام ٩٠هـ/٧٠٧-٧٠٨م[٤٨] ، وفي هذا خلط كبير للأحداث هنا ولم يقتصر الأمر عند ابن عساكر بل أيضا في مصدر متقدم كما هو الحال لدى خليفة بن خياط الذي يروي أن فتح الحصون الخمسة تم في سنة ٩٠هـ/٧٠٧-٧٠٨م [٤٩]وكذلك هو الحال لدى الطبري والذي يذكر أيضا إن مسلمة فتح الحصون الخمسة التي بسورية في أحداث سنة ٩٠هـ/٧٠٧-٧٠٨م[٥٠] ، و يكرر الذهبي ذكر فتح الخمسة حصون في أحداث عام ٩٠هـ/٧٠٧-٧٠٨م م [٥١] .ويستطرد ابن خلدون فيقول إن مسلمة غزا أذربيجان في هذه السنة[٥٢] ، ويوافقه الطبري في ذلك من غزو مسلمة لمدينة الباب في هذا العام[٥٣]، إلا إن مصدر متقدم كخليفة بن خياط يؤكد في سياق ذكره لتولي مسلمه لإمارة الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان في سنة ٩١هـ/٧٠٩م من أن مسلمة غزا الترك حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصون كثيرة فيها [٥٤] ، أضف إلى إن ابن كثير يذكر إن من غزا بلاد الترك حتى بلغ مدينة الباب هو قتيبة بن مسلم الباهلي ، حيث فتح حصونا ومدائن كثيرة هنالك[٥٥]، ولا ننسى أن والي أرمينية والجزيرة الفراتية في هذه الفترة لا يزال محمد بن مروان بحكم وصية عبدالملك بن مروان لأبنائه وبالتالي فالمنطقة بها قوات وقيادة قوية ، قد يؤدي استدعاء مسلمه إليها أياما لتتحرك القوات من بلاد الروم إلى الحدود الشمالية الشرقية للدولة الإسلامية. ويشير ابن أعثم الكوفي إلى إن مسلمة غزا بعد عمورية مناطق عدة مثل القفورية[٥٦] والسماوة الكبرى[٥٧]والمسيحية[٥٨] ثم بدروق[٥٩] ، وقد يكون ابن أعثم قصد بهذه

-أيضا من أعظم مدن الإسلام بالروم . انظر : الحموي ، المصدر السابق ، ص ٤١٥ ،ونجدها لدى ابن خرداذبه باسم نقمودية ويذكر أنها دون خليج القسطنطينية وبينها وبين القسطنطينية ستون ميل . انظر : ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيداله بن عبداله (٣٠٠هـ/٩١٢م) ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى : بغداد . ب . ت،ص١٠٤ . وهذا ما يؤكده لسترنج من إن قمودية هذه هي نقمودية . انظر : لسترنج،كي،بلدان الخلافة الشرقية . نقله للعربية ووضع فهارسه بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،ط٢،مؤسسة الرسالة:بيروت، ١٩٨٥م،ص١٦٨ .

47 – ابن عساكر ، تاريخ ، ج٥٨، ص ص ٣١-٣٣.

48 – المصدر نفسه، ص ٣١.

49 – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

50 – الطبري، المصدر السابق، ج٤ ، ص ١٢٨٧.

51 – الذهبي ، تاريخ،ج٧،ص ٤٦٩ .

52 – ابن خلدون، المصدر السابق، م٣ ، ص ٧١ .

53 – الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٢٨٧.

54 – ابن خياط ، المصدر السابق،ص١٩٣ .

55 – ابن كثير، المصدر السابق ، ص ٢٣٩٢ ، ويذكر العسلي أيضا ذات الخطأ من إن مسلمة غزا من ناحية الترك في أذربيجان . نظر : العسلي ، رجال ، ص ١٣٤ .

56 – لم نجد ذكر لهذا الاسم عند الحموي أو غيره .

المناطق الحصون الخمسة التي فتحها مسلمة بعد فتح عمورية ، وذلك لأنه – أي ابن أعثم – يذكر إن مسلمة بعد بدروق توجه إلى القسطنطينية [٦٠].

أما البلاذري فيتفرد بذكر خبر غزو مسلمة بن عبدالملك للجراجمة في عهد أخيه الوليد حيث يقول:" ولما كانت سنة تسع وثمانين اجتمع الجراجمه إلى مدينتهم واتاهم قوم من الروم من قبل الاسكندرونه وروسس، فوجه الوليد بن عبدالملك إليهم مسلمة بن عبدالملك فأناخ عليهم في خلق من الخلق، فافتتحها على أن ينزلوا حيث أحبوا من الشام ويجري على كل امرئ منهم ٨ دنانير ، وعلى عيلاتهم القوت من القمح والزيت ، وهو مدان من قمح وقسطان من زيت، وعلى أن لا يكرهوا ولا احد من أولادهم ونسائهم على ترك النصرانية، وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية ، وعلى أن يغزوا مع المسلمين فينقلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة وعلى أن يؤخذ من تجارتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين فأخرب مدينتهم وأنزلهم فأسكنهم جبل الحوار وسنح اللولون وعمق تيزين ، وصار بعضهم إلى حمص . ونزل بطريق الجرجومه في جماعة معه أنطاكية ثم هرب إلى بلاد الروم..."[٦١]. وهذا دليل واضح على الطريقة الأخلاقية التي يتعامل فيها المسلمون مع أتباع الديانات الأخرى ، وهو جزء من العقلية العسكرية السياسية التي تربى عليها مسلمة بن عبدالملك ، حيث كما سبق واشرنا إن ثورة الجراجمه في عهد عبدالملك بن مروان، ولهذا احترازا من ثورة ثالثة تم تهجيرهم وتهديم بلادهم ، وهو أسلوب سنرى إن مسلمة سيستخدمه في أذربيجان أيضا . وفي سنة ٩٠هـ/٧١٠م غزا مسلمة بن عبدالملك ومعه العباس بن الوليد بن عبدالملك إن عبدالملك بلاد الروم ، ففتحا حصونا وقتلا خلقا من الروم وغنما وأسرا الكثير منهم [٦٢].

---

57 – هي مدينة صمالو وليس السماوة ، ذلك لان السماوة بين الكوفة والشام . نظر : الحموي ، المصدر السابق،ج٣ ، ص ٢٤٥ ، في حين الصمالو أو سمالو هي إحدى مناطق الثغور الشامية قرب المصيصة وطرسوس . انظر: المصدر نفسه ، ص ٤٢٣.

58 – ربما قصد بالمسيحية هنا مدينة هرقلة وذلك لأنها نسبة إلى احد أباطرة المسيحية ، حيث لم نجد ذكر لمدينة بأرض الروم باسم المسيحية ولكنها قد تكون هرقلة ، ويصف ابن أعثم المدينة بأنها عامرة كثيرة البساتين كثيرة الخير .انظر: ابن أعثم ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٤١ .

59 – لم نجد لها ذكرا بمعجم البلدان للحموي ، ولا وجود لها بالخرائط .

60 – انظر تفاصيل فتوح هذه الحصون عند ابن أعثم ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٧ – ١٤٣.

61 – البلاذري ، فتوح، ص ص ١٦١–١٦٣ . انظر أيضا : الجنذوري، عليه عبدالسميع ،الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية : القاهرة . ١٩٧٩م ، ص ١٥٦ . أيضا: عاقل ، المرجع السابق،ص٢٢٠. أيضا: خماش،المرجع السابق،ص ١٣٧ ، انظر أيضا :خريسات ، المرجع السابق ص ٢٢٢ .

62 – ابن كثير، المصدر السابق ، ج٩، ص ٢٣٩٤ .

المرحلة الثانية (٩١هـ/٧٠٩م – ٩٧هـ/٧١٥م)[٦٣]:

وتبدأ هذه المرحلة مع تولي مسلمة بن عبدالملك ولاية الجزيرة الفراتية وأذربيجان وأرمينية[٦٤] . وتميزت هذه المرحلة باستمرار الحملات على الحدود الشمالية للدولة الأموية ، إلا انه هذه المرة توجه إلى شرق بلاد الروم وركز حملاته ضد الترك والأرمن وثوراتهم المتتالية على الدولة الأموية . كما إن هذه المرحلة ستتميز كذلك بالاستعدادات التي اتخذها الوليد بن عبدالملك لغزو القسطنطينية .ففي عام ٩١هـ/٧٠٩م غزا مسلمة بن عبدالملك الترك حتى وصل مدينة باب الأبواب في أذربيجان ففتحها وعددا من المدائن والحصون الأخرى[٦٥] ورافق مسلمة في هذه الصائفة ابن أخيه عبدالعزيز بن الوليد بن عبدالملك[٦٦] .

وفي سنة ٩٢هـ/٧١٠م فتح لمسلمة بن عبدالملك طريدة ، وفيها غزا مسلمة من قبل الجزيرة الفراتية وفتح ملامسة وبرجمة والحديد[٦٧] ، وجلا أهل سوسنة إلى جوف ارض الروم، وشاركه الغزو في بلاد الروم هذه المرة شاركه عمر بن الوليد بن عبدالملك[٦٨] .

وخلال سنة ٩٣هـ/٧١١م نجد العباس بن الوليد بن عبدالملك يعود مرة أخرى فيتولى قيادة الجيوش فيفتح سمسطيه ، وكذلك ظهور اسم مروان بن الوليد بن عبدالملك خلال حملات هذا العام والذي سيغزو حتى يبلغ حنجره ، في حين سيتولى مسلمة بن عبدالملك منصب القائد العسكري العام والوالي في هذه المنطقة القتال في جهة أخرى فيفتح ماسة[٦٩] وحصن الحديد[٧٠] وغزالة وبرجمه من ناحية ملطيه[٧١] وملطية مدينة كبيرة من اكبر الثغور

---

63 – لتفاصيل المواقع انظر الخرائط في ملحق رقم (٣) و (٤) .

64 – انظر تفاصيل تولي مسلمة بن عبدالملك هذه الولاية في الفصل الثاني.

65 – الطبري، المصدر السابق ،ج٤، ص ١٢٩١، انظر ايضا : ابن خلدون ، المصدر السابق، م ٣، ص ٧١ ، أيضا : ابن عساكر ، تاريخ،ج٥٨،ص ٣١.

66 – ابن كثير،المصدر السابق، ص ٢٣٩٧ . انظر أيضا : ياسين ، المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .

67 – ابن عساكر ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

68 – الطبري، المصدر السابق، ص ١٢٩٧ ، انظر أيضا : ياسين ، المرجع السابق،ص٤٠٤ .أيضا: خفاجي، محمد عبدالمنعم وآخرون ، معارك فاصله في التاريخ الإسلامي (٤١ – ١٣٢ هـ) ، الدار المصرية اللبنانية: بيروت . ١٩٨٩م ،ص ٥٠ .

69 – يذكره ابن عساكر باسم أماسه، وبرجمه باسم برجامه.انظر: ابن عساكر،المصدر السابق، ص ٣٣.

70 – يذكره خليفة بن ابن خياط والذهبي باسم الجديد . انظر:ابن خياط، المصدر السابق ، ص ١٩٤.أيضا : الذهبي ، تاريخ،ج٦، ص٢٥٨ .

71 – ابن عساكر، المصدر السابق ، ص ٣٣. تكرار الأسماء لبعض المناطق هنا برأي الباحثة ما هو إلا تداخل بين السنوات والأحداث ، ذلك إن فتح بعضها لا يمر عليه عام حتى يذكر الفتح في سنة لاحقه مرة أخرى ، كما إن الجنذوري مثلا لا تذكر فتح ملطية قبل عام ٩٣هـ وإنما تذكرها ضمن أحداث هذا العام.راجع: الجنذوري،المرجع السابق،ص ١٠٥.وقد يكون من المحتمل إن–

وأكثرها سلاحا واجلدها رجالا ، يذكر قدامة بن جعفر إن هذا الثغر " هو الخارج في بلد العدو" من جميع الثغور السابقة ، وبمعنى آخر فهي " مع بلد العدو في بقعة وارض وادة". كان اسمها بالرومية ملطيا ، وسماها الروم Melitene وعربت إلى ملطية ، كانت مفتاح الطريق للجيوش الإسلامية القادمة من الشرق متوجهة لآسيا الصغرى ، ومفتاح الطريق للجيوش البيزنطية القادمة من الغرب . كانت في مستوى من الأرض تحيط بها جبال الروم وماؤها من عيون وأودية من الفرات ، وكانت ملتقى شبكة كبيرة من الطرق الهامة ووديان الأنهار مثل القباقب والقاقيس مثلا. ويقال إن بناءها يرجع إلى عهد الاسكندر [٧٢]، ولهذا اعد الكثير فتح هذه الحصون في ناحية ملطية هي بداية الاستعداد الإسلامي في عهد الوليد بن عبدالملك لغزو القسطنطينية ، ويبدو وكأن مسلمة بن عبدالملك ينفذ خطه مرسومه مسبقا من إعادة محاولات معاوية بن أبي سفيان لغزو القسطنطينية ، وذلك بدءا بفتح الحصون المهمة على الطريق إليها، بالإضافة لإخضاع الأراضي المحيطة بها للسيطرة الإسلامية، وكان مسلمة بن عبدالملك بحنكته العسكرية يسير قدما في هذا الطريق .كذلك استطاع مسلمة خلال هذا العام من السيطرة على هرقلة وطميم وحصونا ثلاثة معها [٧٣] .

وخلال عام ٩٤هـ/٧١٢م سيفتتح مسلمة بن عبدالملك سندرة ، ويقال إن العباس بن الوليد بن عبدالملك سيفتح أنطاكية وان أخيه عبدالعزيز بلغ غزاله [٧٤]، ويعلق ابن كثير فيقول:" وفيها- أي سنة ٩٤هـ- فتح الله على الإسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبدالملك ، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه حتى عاد الجهاد شبيها بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه"[٧٥]. وهذا القول صحيح ولا يمكن لأحد إنكاره ، فالفتوحات في عهد الوليد بلغت أوجها ، وتوغل الفاتحون في الشرق والغرب والشمال والجنوب، واستطاع توسيع رقعة الدولة الإسلامية، بحيث نجده يستعد لفتوحات عظيمه كفتح القسطنطينية ، وانعكست هذه الفتوحات على شؤون الدولة عامة فتجد العمران يزدهر والعلوم تتقدم والمجتمع الدمشقي يرتقي ، وتوج مسلمة بن عبدالملك هذا العام بقيادته للحج في هذا العام [٧٦].

-السبب يعود إلى إن الكثير يؤرخون فتح أحد الحصون حين يقترب منه المسلمين الا ان الفتح الفعلي يتم في عام لاحق من هذا الوصول .

72 – الجنذوري ، المرجع السابق ، ص ص ١٠٣ – ١٠٥ .

73 – ابن عساكر ، تاريخ،ج٥٨ ، ص ٣٣ .

74 – ابن كثير، المصدر السابق ، ج٩ ، ص ٢٤٠٨ .

75 – المصدر نفسه ، ص ٢٤٠٨.

76 – الطبري، المصدر السابق، ج٤ ، ص ١٣٠٦ ، انظر أيضا : ابن عساكر، المصدر السابق ، ص ص ٣١-٣٣ ، و لمزيد من التفاصيل حول ظروف رحلة الحج هذه والأقوال حول ولاية مسلمة للحج راجع الفصل الثاني.

وعاد مسلمة بن عبدالملك في العام التالي لغزو مدينة الباب التي ثارت مرة أخرى ضد الدولة الأموية ، ولكنه هذه المرة دمرها [٧٧] ، أما العباس بن الوليد بن عبدالملك فقد فتح الله على يديه حصونا عديدة وهي طولس والمرزبانين وهرقلة[٧٨] وهنا مرة أخرى نجد بعض الحصون تتكرر أسماءها وقد يعني هذا إن سكان الحصن ثاروا مرة أخرى ضد الدولة الأموية. وعن زيد بن أسيد يقول: " غزا مسلمة سنة خمس وتسعين وافتتح مدينتين ومدينة صول حتى أتى مدينة الباب" [٧٩].ويرى عدد من المؤرخين المحدثين إن غزوات الأمويين في بلاد الروم ما هي إلا تمهيد لغزو القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، وكما سبق واشرنا القول بان الروم تحسست رغبة المسلمين بفتح القسطنطينية فبدأت بالتقرب من المسلمين حيث يرى نبيه عاقل إن إهداء الروم خالد بن كيسان[٨٠] للخليفة الوليد بعد أسره ما هو إلا محاولة من الدولة البيزنطية للتقرب أكثر من المسلمين [٨١] . فالقسطنطينية ظلت حلما يراود الأمويين منذ أيام معاوية بن أبي سفيان[٨٢] ، وذلك يعود لأسباب كثيرة منها السياسية والعسكرية ، إلا إن أبرزها هو قول النبي صلى الله عليه وسلم :" لتفتحن القسطنطينية ، ونعم الأمير أميرها ، ونعم الجيش جيشها" [٨٣].وما إن وصلت القوات الإسلامية على مشارف القسطنطينية أرسل إمبراطورها انستازيوس[٨٤] سفارة إلى دمشق لتقصي الأخبار عن استعدادات المسلمين وللتفاوض معهم للتوصل إلى هدنه معهم . وكان رئيس هذه السفارة رجلا حصيفا يدعى دانيال حاكم مدينة سينوب ومن الشخصيات الكبرى التي تعتمد دولة الروم على صدق

---

[77] – ابن عساكر، تاريخ، ج٥٨ ، ص ٣١ .

[78] – الطبري، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٠٦

[79] –ابن عساكر، المصدر السابق ، ص ٣١ .

[80] – أسرته الروم سنة ٩٠هـ/٧٠٨م وهو صاحب البحر ، ثم أخذوه لملكهم والذي بدوره أهداه للخليفة الوليد بن عبدالملك . انظر : الطبري،المصدر السابق ، ص١٢٨٧ .

[81] – عاقل ، المرجع السابق، ص ٢٢٢ .

[82] – لتفاصيل حملات معاوية بن أبي سفيان انظر : ابن كثير ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ص ٢٠٧٣ – ٢٠٩٤ .

[83] – ابن عساكر ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .ويروى في هذا الشأن إن مسلمة بن عبدالملك كان يدعو عبدالله بن بشر الغنوي ليروي له مكانة فاتح القسطنطينية مما حفز لديه الرغبة لفتحها في عهد أخيه سليمان بن عبدالملك .

[84] – كانت الإمبراطورية البيزنطية ترزح تحت وطأة الفساد الذي كان على رأسه الإمبراطور جستنيان الثاني المعروف بالمستبد ، إلا إن احد الكاردينالات ويدعى فيليكيوس أطاح به واعتلى العرش ، ولكن هذا الأخير لم يلق القبول من العامة وتم إقصائه لاغتصابه العرش ، وتم تعيين اناستوزيوسالثاني إمبراطورا على القسطنطينية ، والذي عمل على تحصين البلاد من الغزو الإسلامي المحتمل . للتفاصيل انظر : Glubb,John. The Empire Of the Arabs. new Jersey : Prentic – Hall,Inc ;1965, p165

تقاريره . ولما وصلت السفارة إلى دمشق شاهد ضخامة الاستعداد البحري والبري ، عادت السفارة للقسطنطينية لتؤكد للإمبراطور ضرورة الاستعداد واتخاذ الاحتياطات للدفاع ولاسيما الاهتمام بالناحية البحرية ، ولهذا اتجهت خطة الروم البحرية إلى خلق قاعدة لأسطولهم تكون مهمتها عرقلة زحف الأسطول الإسلامي على القسطنطينية ، وإنشاء قاعدة أخرى قوية في العاصمة نفسها لمقاومة حصار الأسطول الإسلامي إذا ما نجح هذا الأخير في الوصول إلى مياه القسطنطينية [٨٥]. كما نصحوا الإمبراطور وسكان المدينة بالتزود بالمؤن والعتاد لثلاث سنوات . فملأ الإمبراطور الخزائن فعلا بالقمح والمواد الغذائية وجدد أسوار المدينة ، ووضع عليها المنجنيقات استعدادا للغزو [٨٦]. وتجلت سياسة الروم الجديدة حين جعلوا من شواطئ آسيا الصغرى والجزر القريبة منها إقليما بحريا حربيا ، ترسو في قواعده سفن حربية على أهبة الاستعداد للقتال ، وفي نفس الوقت أقام الروم في جهات من بحر مرمرة المواجهة للقسطنطينية فرق بحرية تساعد أسطول العاصمة على الدفاع ، وقد نال أمير البحر البيزنطي على أسطول القسطنطينية سلطات واسعة تخول له حق تنظيم وسائل التعاون بين أسطول شواطئ آسيا الصغرى وأسطول بحر مرمره[٨٧].

إلا إن وفاة الخليفة الوليد المفاجئة عام ٩٦هـ/٧١٤م أجلت تسيير الحملات فعليا نحو العاصمة البيزنطية ، وبصفته قائدا للقوات التي كان يعدها الخليفة الوليد لغزو القسطنطينية فان مسلمة بن عبدالملك كان مرة أخرى غير متواجد في الشام ، ولهذا نجده حين يصله نبا وفاة أخيه الوليد يخطب في الناس وهو مرابط بالثغور الشمالية ، فقال له الناس :"هلم أيها الأمير حتى نبايعك ،فأنت أحق بهذا الأمر ، فقال مسلمة:مهلا عافاكم الله!فاني رجل قد بلغ الناس عني ما قد فعلت بأرض العدو طول هذه المدة ، ولا أحب إن اشق العصا واخرج على رجل قد بايعه الناس طائعين غير مكرهين،وأنا قد بايعت أخي سليمان فبايعوه رحمكم الله ! "[٨٨]. يذكر جلوبGlubb إن المسلمين استطاعوا الاقتراب من القسطنطينية في عهد الوليد على مسافة ١٥٠ميل منها [٨٩].

ولا نجد في الحقيقة الكثير من الروايات التي تعطينا صورة واضحة وشاملة عن طبيعة العلاقة بين مسلمة وأخيه الخليفة سليمان قبل تولي الأخير الخلافة ، ولكن يمكننا القول إن سليمان بن عبدالملك صان حق أخيه مسلمة مثلما فعل الخليفة الوليد قبله ، ونجده يثبت أخيه مسلمة على ولاية الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان في بداية توليه للخلافة ، فما كان من

---

85 – خفاجي، المرجع السابق، ص ٦٣.

86 – عاقل، المرجع السابق، ص٢٢٣.

87 – خفاجي ، المرجع السابق، ص ٦٤.

88 – ابن أعثم، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٢٢٦ .

89 – Glubb,Op Cit, p165.

مسلمة إلا مواصلة حملاته في هذه الثغور لدعم أمن الدولة الأموية من هذه النواحي المضطربة ، إذ غزا في نفس العام مره أخرى بلاد الروم ويفتح حصن عوف[90] ، ويقول اليعقوبي :"وغزا في أيامه سنة ٩٦ مسلمة ففتح حصن الحديد وشتا بنواحي الروم ، وعمر بن هبيرة في البحر، فمخروا ما بين الخليج والقسطنطينية..."[91]، وهنا لا يفصل اليعقوبي بين أحداث سنتي ٩٦هـ/٧١٤م وأحداث سنة ٩٧هـ/٧١٥م ،حيث نجد إن أحداث عام ٩٧هـ/٧١٥م ما هي إلا تحركات فعلية بعد الاستعدادات التي بدأت منذ أواخر عهد الوليد بن عبدالملك كما ذكرنا سابقا فيذكر ابن عساكر إن مسلمة فتح برجمه وحصن عوف في سنة ٩٧هـ/٧١٥م ، وفتح في العام نفسه حصن الحديد وسردا وثلاثة حصون أخرى وشتا بضواحي الروم،وكان على الجماعة مسلمة بن عبدالملك في البر ومعه عمر بن هبيرة على البحر وأبو عبيدة بن عقبة [92]، كما استطاع مسلمة فيها فتح الحصن الذي كان الوضاح صاحب الوضاحيه قد فتحه من قبل[93].يقول العسلي في ذكره لأحداث عام ٩٧هـ/٧١٥م :" ركز سليمان جهده السياسي وإمكاناته الاقتصادية وقواته العسكرية والبحرية لحصار القسطنطينية منذ لحظة توليه الخلافة، فدفع في العام ٩٧هـ ابنه داود بن سيلمان لقيادة الصائفة فافتتح حصن المرأة ، كما دفع في السنة ذاتها أخاه مسلمة لغزو ارض الروم وقيادة الشاتية" [94].وهذا بالفعل ما تؤكده الأحداث السابقة التي ذكرناها. إلا إن الملاحظ هنا إن مسلمة بن عبدالملك حين وصله خبر وفاة أخيه الوليد بن عبدالملك وتولي سليمان للخلافة لم يتحرك في أي حملة إلا بعد أن أرسل إليه الخليفة الجديد أمرا بذلك، وفي هذا إشارة واضحة لالتزام مسلمة بن عبدالملك بصدق ولائه للدولة الأموية وانه حاميا لها ، إذ كان بإمكانه قبول رأي أصحابه من مبايعتهم له بالخلافة أو يستمر في الحملات العسكرية دون إن يعير الخليفة الجديد أي أهميه ، ولكنه انتظر أوامر خليفته الجديد ومنها بدأ التحرك الفعلي نحو القسطنطينية ، يقول البلاذري :" وحدثني هشام ابن عمار الدمشقي أبو الوليد عن مسلم بن أبي سليم الحمصي : خرج سليمان إلى دابق ليغزي الناس ، فاغزاهم وعليهم ابنه أيوب بن سليمان ومعه مسلمة بن عبدالملك " . وسنرى في المرحلة التالية التقاء قوات سليمان وابنه أيوب وأخيه مسلمة بمرج دابق والاستعداد والتعبئة للتحرك الفعلي نحو القسطنطينية .

---

90 – الطبري،المصدر السابق،ج٤،ص ١٣١٨،انظر أيضا:ابن الجوزي،المصدر السابق،ج٤ ، ص٤٩٠.

91 – اليعقوبي ،المصدر السابق، م٢، ص٣٠٠ .

92 – ابن عساكر، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ص ٣٢-٣٣ .

93 – الطبري،المصدر السابق ، ص ١٣١٨،انظر أيضا: ابن الجوزي،المصدر السابق،ص ٤٩٥ . يذكره ابن خلدون باسم الرصاع وهذا خطا كبير.انظر:ابن خلدون،المصدر السابق، م٣ ، ص٧١.

94 – العسلي ، بسام ، فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين ، دار الفكر : بيروت .١٩٨٨م ، م١ ، ص ٢٠٥.

المرحلة الثالثة (٩٨هـ/٧١٦م - ٩٩هـ/٧١٧م) :

إن أبرز أحداث هذه المرحلة هو حصار القسطنطينية الكبير الذي قاده مسلمة بن عبدالملك بن مروان في عهد أخيه الخليفة سليمان بن عبدالملك والذي كان قد تولى الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد سنة ٩٦هـ/٧١٤م ، وبالتالي فإن سليمان تولى الخلافة والدولة بلغت أقصى فتوحاتها في المشرق والمغرب ، زاخرة بسمعة عسكرية وحضارية كبيرة ، ومع تواجد مسلمة على الحدود الشمالية أتاح الفرصة لفتح القسطنطينية والتي كما سبق وأشرنا ظلت حلما يراود الأمويين ، فلم يجد سليمان بن عبدالملك خطا يسير عليه سوى إتمام ما كان قد بدأه أخاه الوليد من استعدادات عظيمة لفتح عاصمة الروم.وبالفعل ومنذ أوائل أيامه في الخلافة، بدأ سليمان بن عبدالملك بالتجهيز للتحرك الفعلي نحو القسطنطينية. ولهذا نجده يقضي السنوات الأولى من خلافته في استكمال الاستعدادات والتحرك نحو بلاد الروم لفتح عاصمتهم .

وقبل الخوض في تفاصيل هذه الحملة لابد أن نقف قليلا وبإيجاز على جغرافية مدينة القسطنطينية إذ لعبت هذه الجغرافية دورها الأبرز في صد حملات المسلمين الواحدة تلو الأخرى عنها.يقول الحموي :" كانت رومية دار ملك الروم ، وكان بها منهم تسعة عشر ملكا ونزل بعمورية منهم ملكان ، وعمورية دون الخليج وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلا ، وملك بعدهما ملكان آخران برومية ، ثم ملك أيضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بيزنطة ، وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية وهي دار ملكهم إلى اليوم واسمها اسطنبول وهي دار ملك الروم . بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح ، عمرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه ... ولها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال ، وجانباها الغربي والجنوبي في البر ، وسمك سورها الكبير احد وعشرون ذراعا ، وسمك الفصيل مما يلي البحر خمسة ، بينها وبين البحر فرجة نحو خمسين ذراعا ، وذكر إن لها أبوابا كثيرة نحو مائة باب ، منها باب الذهب وهو حديد مموّه بالذهب ... ومن المنائر العجيبة منارة قسطنطينية لأنها منارة موثقة بالرصاص والحديد والبصرم ... " [95].
ويصفها ابن خرداذبه فيقول : " ... ثم إلى ابدوس على المضيق ، ثم إلى خليج القسطنطينية وهو البحر الذي يدعى بنطس يجئ من بحر الخزر ، وعرض فوهته هناك ستة أميال ، وعند مدخله هناك مدينة تدعى مسناة[96] والخليج غربي يجري جريا حتى يمر بقسطنطينية على ستين ميلا من مدخله . وعرضه عندها أربعة أميال فإذا بلغ موضعا يدعى أبدس صار بين جبلين وضاق حتى يكون عرضه غلوة سهم ، وبين أبدس وبين قسطنطينية مائة ميل في

---

95 – الحموي ، المصدر السابق ، م٢ ، ص ص ٣٤٧- ٣٤٨ .

96 – لم يذكر الحموي موضعها بالضبط بل ذكر أبيات شعر للكميت بن معروف للمسنّاة . انظر : المصدر نفسه ، م٥ ، ص ١٢٦ .

مستوى من الأرض ..." [97]. يقول جيبون Gibbon" إن سيطرة المسلمين على حصون الطوانة وعمورية وغيرها اعطتهم حافزا ودافعا للسيطرة على القسطنطينية "[98]. ويبدو إن سليمان بن عبدالملك قضى السنة الأولى من خلافته في التخطيط الجيد للغزو ، إذ نجده يتحرك في عام ٩٨هـ/٧١٦م ويوجه أخاه مسلمة بن عبدالملك إلى القسطنطينية رسميا ويأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه[99]. ويشير ابن خلدون إلى إن اليون الثالث الايسوري – أو القون كما يسميه- جاء إلى الخليفة سليمان واخبره عن القسطنطينية وضمن لها فتحها[100] ، إلا إننا لا يمكن أن نقبل هذه الرواية ، وذلك لأنها تأتي من مؤرخ والذي رغم أهميته خالط كتابه الكثير من الأخطاء التاريخية والخلط بين الأحداث خاصة فيما يتعلق بالمشرق الإسلامي وفي هذه الفترة المتقدمة بالذات، فإن سليمان بن عبدالملك حين تولى الخلافة كانت الأمور قد دانت للأمويين في عهد سلفه الخليفة الوليد وبالتالي فان مهمته التالية هي استكمال استعدادات أخيه لغزو القسطنطينية للأسباب والتي سبق واشرنا إليها ، أضف إلى هذا إلى إن المصادر التاريخية تؤكد إن اليو الثالث الايسوري اتصل بمسلمة بن عبدالملك أثناء حصار القسطنطينية وليس قبلها كما سنوضح ذلك لاحقا .

ويشير ستودارد إلى حصار القسطنطينية هذا فيقول :" وجاء في الانسيكلوبيدية الإسلامية – دائرة المعارف الإسلامية- إن الهدنة بقيت بين العرب والروم نحوا من أربعين سنة إلى إن تولى سليمان بن عبدالملك فاعمل في غزو القسطنطينية ، وجرد لها جيشا كثيفا عليه أخيه مسلمة ..."[101] . وقد سبق ذلك إرسال الخليفة سليمان ابنه داود سنة ٩٧هـ/٧١٤م على الصائفة فافتتح حصن المرأة [102]. وكما يبدو فان سليمان بن عبدالملك حين خرج إلى دابق خرج معه ابنه أيوب الذي أراد الخليفة توليته ولاية العهد إلا إن الأخير وافته المنية قبل ذلك ، ويؤكد المدائني إن أيوب بن سليمان توفي بالشام ولم يكن غازيا[103] . واستنفر الخليفة الأساطيل الإسلامية في كل المناطق المهمة ، فقدم أسطول افريقية وعلى رأسه ابن أبي برده، وعلى أسطول مصر شريح بن ميمون ، وأبو عبيده على المدينة في البنطس ، وعلى الجماعة

---

97 – ابن خردذابه ،المصدر السابق ، ص ص ١٠٣– ١٠٤ .

98 – Gibbon, Edward , The history of the decline and fall of the Roman Empire / Edited with introd, notes, and appendices by J. B. Bury, Methuen&CO.LTD: London,1912,Vol 6 ,p7.

99 – الطبري، المصدر السابق، ج٤ ، ص١٣٢١.

100 – ابن خلدون ، المصدر السابق، م٣ ، ص ٧١ .

101 – ستودارد، لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي . وفيه فصول وتعليقات وحواشي مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية للأمير شكيب ارسلان،ط٢،دار الفكر:القاهرة، ١٩٣م،١،ص ٢١٦ .

102 – الطبري،المصدر السابق ، ص ١٣١٨ .

103 – البلاذري، أنساب،ج٨،ص ١١٦ .

مسلمة بن عبدالملك[104] . وقيل إن مسلمة ساندته قوات بحرية عـدادها ٨٠٠ سـفينة ، إلا إن طبيعة مضيق البسفور لم تتسع إلا لعشرين مركب ضم كل منها مئة من الجنـود مجهـزين بأسلحتهم فقط[105] ، الأمر الذي سينعكس على المسلمين سلبا كما سـيأتي لاحقـا . و ضـم الجيش القواد الآتية أسماءهم :

١- مسلمة بن عبدالملك وكان أميرا على الجماعة برا وبحرا وهو القائد العام .
٢- داود بن سليمان بن عبدالملك معاونا للأمير وقائدا ثانيا
٣- عمر بن هبيرة الفزاري وكان أميرا للبحر وقائدا عاما لأساطيل الشام ومصر وأفريقيا
٤- حظي بن كثير الجذامي وكان أميرا للبحر وقائدا لاسطول الشام في عكا .
٥- المغيرة بن أبي بردة العبدري أميرا للبحر وقائدا لأسطول أفريقيا وتحت قيادته أهل مصر
٦- شريح بن ميمون المهري أميرا للبحر وقائدا لأسطول مصر .
٧- أبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري أميرا للبحر وتحت قيادته أهل المدينة وكانت عدد قطع الأسطول ألف قطعة بحرية علاوة على قطع نقل الجند وهي تحمل ٨٠ ألف مقاتل[106].

سار مسلمة إلى القسطنطينية ومعه "خمس مئة وثلاثين ألف رجل،وخمس مئـة رجـل ممن قد ضمه الديوان واكتسب في العطاء وتقلب في الأرزاق"[107] ، عازما على عدم الرجوع منها إلا وهو فاتح لها ، وأجرى كل التجهيزات اللازمة لذلك ، وسار معه الكثير مـن كبـار القادة والأعيان المشهود لهم في الدولة الأموية، والذي يعطينا صورة واضحة عن حجم الدعم وحجم الأهمية التي كانت الدولة تعطيها لفتح كفتح القسطنطينية ، ومساندة كبار رجال الدولـة لها في هذه الخطوة[108]، والتي نؤكد أنها لم تكن فكرة مفاجئة أطلقها سليمان بـن عبـدالملك وإنما هي نتاج لتخطيط دقيق ومستمر منذ أيام الوليد بن عبدالملك . وممن كان مع مسلمة في هذه الغزوة من أمراء البيت الأموي محمد بن عبدالعزيز بن مروان واستشهد أثناء الحملات السابقة للحصار[109] ومن وجوه أهل الشام كان معه خالد بن معدان وعبدالله بن أبـي زكريـا الخزاعي ومجاهد بن جبر[110] ، كما كان معه عبيدالله بن عبدالعزيز بن عبـدالله بـن عـدي

---

104 – ابن عساكر، تاريخ ، ج٥٨ ، ص ٣٣ .

105 – Gibbon,Op.Cit,p8

106 – العسلي ، فن الحرب ، م١ ، ص ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

107 – ابن قتيبة،الإمامة، ج١ ، ص ص ٧٢ – ٧٣ .

108 – حين حاصر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القسطنطينية أول مره عام ٤٩هـ/٦٦٩م كـان معـه جماعة من خيرة الصحابة وأبناء الصحابة الأوائل من أمثال ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري الذي قيل انه توفي أثناء هذا الحصار . انظر : الطبري، المصدر السابق، ج٣،ص ٩٦٧ . أيضا: ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ٨، ص ٢٠٧٣.

109 – المنجد ،المرجع السابق،ص ١٥٢ .

110 –الطبري،المصدر السابق،ج٤،ص١٣٢١.

الأكبر والذي قتل في هذه الحملة ، كما كان معه المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام والذي أصيبت عينه أثناء الحصار[111].

أما الأوضاع في القسطنطينية فكانت مضطربة جدا مع تحرك القوات الإسلامية ، فرغم الإجراءات الاحتياطية التي قام بها اناستوزيوس الثاني والتي شملت عددا من الإجراءات الدفاعية بعد أن عاد إليه السفير بأخبار استعدادات المسلمين الكبيرة فقد أعلن أن على أي شخص لا يملك مؤنه لحصار يستمر لثلاث سنوات فعليه مغادرة المدينة ، واستدعى قادة الجيش واستنفار القوات، وتم تحصين المدينة وتدعيم أسوارها بالأسلحة من حجارة ونيران... الخ [112] ، إلا أنها لم تشفع له إذ ما لبث أن ثار الناس ضده وأعلن الجيش تعيين موظف حكومي يدعى ثيودوسيوس إمبراطورا [113]، في هذا الوقت عاد للقسطنطينية ليو (اليون) الايسوري[114] قادما من أرمينية حيث كان قائدا لقوات الثغور هناك فأطاح بثيودوسيوس وعزله في دير بعيد وأعلن نفسه إمبراطورا على الدولة البيزنطية ، وكان ليو الثالث بالنسبة للبيزنطيين المخلص والمنقذ [115]وكان بالفعل رجل الموقف وعرف مع توليه السلطة بليو الثالث. الجدير ذكره إن المصادر العربية كالطبري وابن كثير تشير إلى إن ليو الثالث بعد أن رأى الأحوال المضطربة في القسطنطينية تقدم بعرض للبطارقة ووعدهم بان يخلصهم من مسلمة وقواته فوعدوه بالملك إن فعل هو ذلك [116] ، كما إن المصادر العربية ذاتها تؤكد إن ليو الايسوري تحالف مع المسلمين في البداية ثم استغل اضطراب الأحوال في القسطنطينية لينكث عهده مع المسلمين وتوجه للقسطنطينية، ويشير البعض إلى إن مسلمة هو من أعطى ليو وعدا بتنصيبه إمبراطورا إذا ما استطاع إحداث فتنة في القسطنطينية ، حيث تشير هذه

---

111 – ابن حزم ،المصدر السابق، م١ ، ص ص ١٤٥،١١٦.

112 – Gibbon,Op.Cit, p6.

113 – يذكر إن اناستوزيوس حاول عرقلة واعتراض السفن المصرية التي كانت تحمل الأخشاب من لبنان ، ولكن محاولته باءت بالفشل وقامت جيوش مقاطعة اوبزيكون التي كانت متجهة إلى رودس التي اختارها اناستوزيوس مركز لتجمع قواته بإعلان العصيان وخلعت الإمبراطور وأعلنت جابيا للضرائب في اويزيليون اسمه ثيودوسيوس إمبراطورا . راجع : عاقل ، المرجع السابق، ص ص ٢٤٦-٢٤٧ .

114 – ينحدر ليو الثالث الايسوري من أصل متواضع ، ولد عام ٦١هـ/٦٨٠ م على الحدود مع الشام بالقرب من مرعش ، وكان يجيد اللغة العربية بطلاقة . استطاع خلال سنوات قصيرة من الخدمة العسكرية من الارتقاء في مناصب كبرى حتى عينه الإمبراطور اناستوزيوس الثاني قائدا عاما للقوات الشرقية المرابطة على الخطوط الأمامية في أرمينية . راجع : Glubb,Op.Cit,p165 .

115 – Glubb,Op.Cit, p p 165,167.

116 – الطبري،المصدر السابق،ج٤،ص١٣٢١ .انظر أيضا:ابن كثير، المصدر السابق،ج٩، ص٣٤٧١ .

المصادر إن مسلمة أرسل اليون الايسوري برسالة إلى بطارقة القسطنطينية يخبرهم فيها بأنهم في مأمن من السباء ، ولكن اليون لما دخل القسطنطينية دعته نفسه لانكاث عهده مع مسلمه بوعد البطارقة له بالملك إن رد عنهم مسلمه [١١٧]، وهذا ما حدث بالفعل .والملاحظ إن مسلمة بن عبدالملك درس خيار الحصار دراسة متعمقة هو ومن معه من كبار القادة ، ولهذا نجده يخطط لحصار طويل المدى ، نظرا لعلمه بحصانة القسطنطينية وان فتحها لن يكون هينا ، كما حاول مسلمة الاستفادة من أي ثغرة توصله للقسطنطينية ، مستغلا الاضطرابات الداخلية فيها [١١٨] . وهذا ما تؤكده الروايات الأوروبية من دخول ليو القسطنطينية وإطاحته بثيودوسيوس مثلما بينا آنفا.

ومع دخول ليو الثالث للقسطنطينية و اعتلائه للعرش كما تؤكد المراجع الأوروبية كجلوب Glubb وجيبون Gibbon مثلا ، رأى ليو الثالث إن الوضع سيئ بحيث انه اخذ بالطرق السياسية السلمية أولا فأرسل للقائد مسلمة يطلب منه إرسال شخص للتفاوض معه فأرسل عمر بن هبيرة إليه ، فقال له ابن هبيرة : ما تعدون الأحمق فيكم ؟قال :الذي يملا بطنه من كل شيء يجده[١١٩] .فقال له ابن هبيرة : إنا أصحاب دين ، ومن ديننا طاعة أمرائنا، قال : صدقت كنا وانتم نقاتل على الدين ، ونغضب له فأما اليوم فإنا نقاتل على الغلبة والملك [١٢٠]، ونعطيك عن كل رأس دينارا ، فعاد ابن هبيرة واخبر مسلمة بما قاله وعرضه عليه ليو الثالث فرفض مسلمة ذلك ، فعاد إلى ليو الثالث وقال : أبى أن يرضه- أي رفض مسلمة العرض- ، أتيته – أي ليو الثالث- وقد تغدى وملا بطنه ونام فانتبه وقد غلب عليه البلغم فلم يدر ما قلت[١٢١]. إلا إن ابن خلدون يذكر إن الروم هم من أرسل إلى مسلمة يصالحوه بدينار على كل رأس وان مسلمة لم يقبل[١٢٢] ، ويؤكد جيبونGibbon هذه الرواية حيث يقول: " كان الرومان على استعداد لبيع عقيدتهم وبلادهم من اجل قطعة من الذهب لأي احد يريد السيطرة على بلادهم ، إلا إن هذا العرض الذي قدمه الرومان لمسلمة تم رفضه

---

117 – ابن كثير، المصدر السابق ، ص٣٤٧١ ، انظر أيضا : خفاجي ،المرجع السابق ،ص ص ٦٤-٦٥ ، أيضا : ياسين ، المرجع السابق، ص٤١٩ .

118 – إشارة للوفد الذي أرسله الإمبراطور لدمشق لتقصي استعدادات المسلمين لغزو القسطنطينية.

119 – انظر الفصل الأول في إشارة إلى إن قائل هذه المقولة هو مسلمة بن عبدالملك .

120 – يشير Glubb أثناء حديثه عن هذا الحوار الذي دار بين ليو الثالث الايسوري وعمر بن هبيرة إن قول ليو الثالث ينطبق على بني أمية حقيقة ، في إشارة منه إلى إن فتوحات الأمويين كانت لأجل الملك والمال لا أكثر . انظر : Glubb,Op.Cit,p167 .

121 – الطبري،المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٣٢١ .

122 – ابن خلدون، المصدر السابق، م٣ ، ص ٧١ . انظر أيضا: الوكيل ، محمد السيد ،الأمويون بين الشرق والغرب : دراسة وصفية تحليلية للدولة الأموية ، دار القلم : دمشق . ١٩٩٥ م ، ص ٤٧٤-٤٧٥ .

وباستعلاء..." [١٢٣]. والباحثة تميل إلى الرأي الأخير من إن الروم بقيادة ليو الثالث هم من أرسل يصالحون مسلمة على الاستسلام ، وذلك لعلم ليو الثالث بأخلاقيات مسلمة وطباعه في الحرب إذا أخذنا في عين الاعتبار إن العلاقة بين الرجلين قديمه حيث إن ليو الثالث كان في مرعش وبالتالي لابد أن يكون قد حدث بينهما تصادم سابق لحصار القسطنطينية مما جعل كل منهما عارفا بالآخر . إلا إن هذا الرفض من قبل المسلمين دفع ليو الثالث لطرق أخرى استطاع من خلالها إلحاق الضرر بالمسلمين . ومنها احتياله على المسلمين بخديعة استطاع بها كسب الوقت والطعام لحصار أطول ، فأرسل لمسلمة فقال له : قد علم القوم انك لا تصدقهم القتال، وانك تطاولهم ما دام الطعام عندك ، ولو أحرقت الطعام أعطوا بأيديهم فاحرقه فقوي العدو ، وضاق المسلمين ، كما أرسل مسلمة الطعام إلى داخل المدينة بناء على رأي اليو الثالث إليه في إشارة لحسن النية من قبل مسلمة كما أمنهم من السباء والخروج من بلادهم . وضاق الحال بالمسلمين حتى أكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق ، ولم يستطع الخليفة سليمان أن يمدهم نتيجة لصعوبة الشتاء ، وظلوا على حالهم حتى توفي سليمان، وخدع مسلمة خديعة لو كان امرأة لعيب بها فلقي الجند ما لم يلق جيش [١٢٤] .إلا إن المراجع الأوروبية تؤكد إن سليمان أمد المسلمين بالمؤن وتحرك أسطول مصر وأسطول أفريقيا لمساندة القوات هناك [١٢٥] في الوقت الذي لا نجد أي رواية سواء لدى ابن خياط أو الطبري وممن نقل عنهما ما يؤكد إن مؤن وصلت لمسلمة في هذه الفترة عدا ما أرسله عمر بن عبدالعزيز حين تولى الخلافة ليضمن سلامة العودة لهذا الجيش . في ذات الوقت قام أسطول الروم بالإغارة على مدينة اللاذقية ومن فيها من جند حمص فاحرقوها وذهبوا بما فيها، فتحرك إليهم عمر بن هبيرة الذي كان عند خليج القسطنطينية [١٢٦] .

ويروي ابن أعثم الكوفي لنا تفاصيل هذا الحصار فيقول : " ... فاخذ القوم في اتخاذ السفن ففرغوا منها بعد ثلاثة أشهر [١٢٧] ، ثم نادى مسلمة في الناس فركبوا في السفن مع دوابهم وأثقالهم ورفعت الشرع وسار القوم يريدون الجزيرة ، وبلغ ذلك ليو الثالث ملك الروم فأمر بمراكبه ، فحمل فيها المقاتلة بالآلة والسلاح الشاك والنيران ونصاحات النفط . قال : فلم يشعر المسلمون وهم يسيرون في ذلك الخليج إلا ومراكب الروم قد وافتهم في الآلة

---

123 – Gibbon,Op.Cit,p8.

124 – الطبري، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٣٢١ .

125 – Glubb,Op.Cit,p169 .

126 – اليعقوبي،المصدر السابق، م٢ ، ص ٢٩٩ .

127 – لعل ابن أعثم هنا يشير إلى بناء المسلمين للسفن بأنفسهم بعد أن رأى مسلمة إن الحصار البري لن يفيدهم .

والسلاح والأعلام والمطارد . قال : وكبّر المسلمون وعطعطت[128] الروم ، ودنت المراكب بعضها من بعض ، وهبت الريح ونصحت الروم، فأشعلت النيران ورجعت على الروم فاحترقت بعض مراكبهم . قال : وانكشفت المراكب الباقية بين أيدي المسلمين مفلولين حتى صاروا إلى ساحل الخليج . قال : وسار مراكب المسلمين سيرا قاصدا حتى حطت بساحة الجزيرة ، فخرج المسلمون من المراكب واخرجوا أثقالهم ودوابهم ، فصاروا مع الروم في جزيرتهم ، قال : ومدينة القسطنطينية في وسط الجزيرة وسائر الجزيرة لزروعهم ومواشيهم. قال : فجعل مسلمة يدور في الجزيرة مع جماعة من أصحابه يطلب موضعا يبني به بناء له ولأصحابه ، حتى إذا أصاب موضعا كما يريد أمر الناس فبنوا مدينة حذاء مدينة القسطنيطينية وحصنوها وغلقوا عليها الأبواب وسموها مدينة القهر[129] . قال : والروم في خلال ذلك يحاربون المسلمين ويطمعون أنهم يمنعوهم من البنيان ، والمسلمون يحاربوهم ويبنون ، حتى إذا فرغوا من المدينة نادى مسلمة في أصحابه فركبوا ، ثم زحف بهم في خيله ورجله حتى دنا من باب القسطنطينية قال : وخرجت الروم في التعبية والآلة والسلاح ، فاقتتل القوم قتالا شديدا . قال :وإذا ببطريق من بطارقة الروم يقال له بوقاس قد خرج من صف الروم ، فجعل يحمل على المسلمين فلا يلحق أحدا إلا قتله ، قال : فتحاماه الناس وخافوه وكاعوا[130] عنه لما يرون من باسه وشدته ، قال : ونظر إليه البطال بن عمرو فتهيأ للحملة عليه ثم جعل يقول :

يا لك يوما ما رأينا قبله	فيما مضى من الحروب مثله
يوما عبوسا قد أرانا حمله	وقد أتى بوقاس يبدي جهله
هذا لأني قد أردت قتله	إن الجهاد قد عرفنا فضله

قال : ثم حمل عليه البطال فالتقيا بضربتين ضربه البطال جدله قتيلا . ثم انه حمل وحمل الناس معه ، وولت الروم الأدبار . فأخذهم السيف حتى ألحقوهم بمدينتهم، ورجع المسلمون مظفرين حتى دخلوا مدينة القهر وقد غنموا دوابا وسلاحا كثيرا وسلبا.ثم أمر مسلمة أصحابه بالغرس فغرسوا الأشجار من الكروم وأنواع الفواكه، وعزموا على المقام هنالك إقامة من لا يريد الرجوع إلى بلاد الإسلام أبدا. قال : وليس من يوم إلا والحرب يقع بين المسلمين والكفار ، فيقتل من الفريقين وينتصف بعضهم من بعض ... "[131].ورغم ما

---

128 – العطعطة هي تتابع الأصوات واختلافها أثناء الحرب ، وهي إشارة لارتفاع أصوات الروم .انظر: ابن منظور، لسان ، ج٩، ص ٢٦٨

129 – لم نجد في معجم البلدان أي ذكر لمدينة بهذا الاسم في بلاد الروم ، وإنما ذكر الحموي مدينة القهر في العراق أو في نجد فقط . انظر: الحموي ، المصدر السابق،م٤،ص٤١٨.

130 – كاعوا أي جبنوا . انظر : ابن منظور، المصدر السابق ، ج١٢،ص١١١.

131– ابن أعثم ،المصدر السابق،ج٤، ص ص ١٤٣-١٤٤ .

يكتنف هذه الرواية من الشكوك إلا إن الكثير مما ورد بها نجده في المصادر الأولية دون تفصيل ، كذلك تذكره المراجع الأوروبية ، إذ يؤكدون إن مسلمة عبر الدردنيل عن طريق أبيدوس متجها نحو تراقية لمحاصرة المدينة من الغرب ومعه ثمانية ألاف مقاتل [١٣٢]، وقد أمر مسلمة كل فارس أن يحمل على فرسه مديين[١٣٣] من طعام حتى يأتي به القسطنطينية ، فأمر بالطعام فالقي فيها وزرع الناس، ومكث ذلك الطعام في الصحراء لا يمسه احد ، وأمر مسلمة الناس أن تأكل مما تزرع ومما يحصلون عليه من الحملات الأخرى ، حتى قيل :" تحمل مديها ومدي مسلمة " [١٣٤]، كما أمر ببناء بيوت من خشب فشتى فيها[١٣٥] . ويروى إن مسلمة شق عينا أثناء الحصار عرفت بعين مسلمة قريب الدردنيل حيث عسكر مسلمة وجيشه أي انه شقها في أبدس [١٣٦]، وقيل إن مسلمة بنى جامعا في ذلك المكان [١٣٧] ، ويروى إن الملك الظاهر قام بترميم هذا المسجد في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بعدما رفض الإمبراطور الروماني طلبا سابقا لصلاح الدين الأيوبي بذلك الأمر الذي جعل المسلمين يتطلعون للقسطنطينية دائما [١٣٨].

ونجد أن مسلمة راعى أثناء الحصار أن تكون منازله هو وأصحابه بعيدة عن مرامي منجنيقات البيزنطيين ، كما أحاط معسكره بالخنادق[١٣٩]. ويفصل لنا Glubb [١٤٠] تفاصيل المعركة البحرية هذه فيقول : " ... وتحركت الأساطيل الإسلامية لمحاصرة المدينة من البحر، حيث تحرك الأسطول عبر الدردنيل حتى دخل بحر مرمرة ، في الوقت الذي كانت القوات البرية تحاصر المدينة . قام البيزنطيون بوضع سلسلة حديد عن القرن الذهبي للمدينة

---

[132] - Glubb,Op.Cit,p167. ، يرى جيبون إن هذا هو أول عبور للعرب من آسيا لأوروبا في حين يؤكد بيري إن العرب عبرت أثناء حصار يزيد بن معاوية للقسطنطينية عبرت الدردنيل للطرف الأوروبي من المدينة . للتفاصيل انظر : Gibbon,Op.Cit,p 7 .

[133] - مديّن = مكيال لأهل الشام وهو عبارة عن رطلان وثلث شاع استعماله بالمدينة ثم انتقل إلى سائر الأمصار . انظر : ابن الجوزي، المصدر السابق، ج٤ ، ص ٤٩٧.

[134] - الطبري،المصدر السابق، ج٤ ، ص١٣٢١.اعتبر البعض هذه المقولة تعبيرا عن تحميل الأمويين المسلمين ما لا طاقة لهم به . انظر : العسلي، فن الحرب ، م١ ، ص ١٣٦ .

[135] - ابن الجوزي،المصدر السابق ، ص ٤٩٠ .

[136] - ابن خرداذبه ، المصدر السابق،ص١٠٤ .

[137] - ستودارد ، المرجع السابق، ص ٢١٦ .

[138] - El-Cheikh,Nadia Maria , Byzantium Viewed by the Arabs, Harvard Press : Massachusetts,2004,.pp210-211.

[139] - Gibbon,Op.Cit, p 7.

[140] - لم يذكر لنا جلوبGlubb عن مصادر هذه الروايات والتي لم نجدها في المصادر العربية ، واغلب الظن انه أخذها من مصادر بيزنطية قديمة ، فصورة المركب البيزنطي بالملحق رقم (٥) أخذها جلوب من مخطوط محفوظ باسبانيا .

لمنع مرور المسلمين ، ومع مرور الأسطول العربي واتخاذ السفن مواقعها تم رميها بالنيران الإغريقية الأمر الذي كان كارثة للأسطول العربي والذي كان مستعدا للقتال مع الأسطول البيزنطي مثلما تعودوا على البر ، ولكنهم لم يكونوا مستعدين لمواجهة السفن الإغريقية والتي كان يوجد بمقدمتها فوهة تطلق النيران . وتم إلقاء النيران على من أبراج المدينة كذلك على القوات التي حاولت اختراق أسوار المدينة ... " [١٤١]. يقول خفاجي : " ... على حين عمل سليمان أمير البحر العربي[١٤٢] إلى سد المنافذ والمسالك المائية التي يمكن أن تحصل منها العاصمة على الإمداد والمؤن ، ثم فرض حصارا على الأسوار البحرية كذلك . واخذ الأسطول العربي ينفذ خطته ، فاحتل مدخل البسفور الجنوبي لقطع الاتصال بين القسطنطينية وبحر مرمرة ، الذي يعد مصدر تموين للعاصمة من الجنوب ، ثم انتهز أمير البحر سليمان فرصة هبوب رياح جنوبية طيبة وبعث شطرا من أسطوله لاحتلال مدخل البسفور الشمال لمنع وصول أي مدد تأتي للمدينة من البحر الأسود ولاسيما إن شواطئ هذا البحر الشمالية كانت غنية بحقول القمح التي تزود القسطنطينية بالغلال . وسارت السفن العربية الكبرى سيرا بطيئا لتحقيق الخطة الخاصة باحتلال المدخل الشمالي للبوسفور ، بسبب التيار المائي الشديد الذي يتدفق من البحر الأسود إلى بحر مرمرة، ثم حدثت حادثة قلبت خطط الأسطول العربي رأسا على عقب ، إذ غيرت الرياح الجنوبية التي اعتمد عليها أمير البحر العربي في إكمال حلقة الحصار البحري على القسطنطينية اتجاها فجأة ، شان الأحوال الجوية في تلك المنطقة فاختل سير السفن لسوء الأحوال الطبيعية ، والتي زادتها قسوة رداءة الملاحة في تلك المياه الإقليمية للقسطنطينية ، والتي ما هي إلا عاملا ثانويا أضيف إلى أعباء العرب، وإنها ليست العامل الأول أو الرئيسي في فشل خطة الأسطول العربي ، إذ يلاحظ إن الإمبراطور ليو الثالث لم يجرؤ على إرسال سفنه المحملة بتلك النار إلا بعد أن لعبت الطبيعة دورها في وجه الأسطول العربي . غير إن القائد العام مسلمة صمم على محاصرة القسطنطينية برا رغم بقاء جبهتها المطلق على القرن الذهبي مفتوحة ، وظل الحصار مستمرا حتى جاء الشتاء فتابع الحصار رغم قسوة الطبية في تلك الفترة من السنة .ومع مطلع الربيع وصلت نجدات بحرية وبرية للقائد مسلمة بن عبدالملك ... واستخدمت القوات العربية لأول مرة النفط ، كما استعانوا بنوع من المجانيق أشبه بالمدفعية في هذا الحصار ، وكذلك أبدى الجند ضروب من الشجاعة ... "[١٤٣]. ورغم نجاح البيزنطيين في القضاء على الأسطول الإسلامي

---

141 – Glubb,Op.Cit, p167.انظر ملحق رقم(٥)لصور المراكب الرومانية المحملة بالنار الإغريقية .

142 – لا يوجد له ذكر بالمصادر أو بالمراجع العربية والأجنبية،إذ كان أمير البحر عمر بن هبيرة الفزاري

143 – لمزيد من التفاصيل انظر خفاجي ، المرجع السابق ، ص ص ٦٤ – ٦٨ .

هذا فإنهم أيضا خسروا الكثير من سفنهم التي لم تستطع تفادي الاصطدام بسفن المسلمين فاحترق الكثير منها ، ولم يعد يرى أي اثر أو بقايا للأسطول البيزنطي[144] . ومع حلول الشتاء لم يستطع الخليفة سليمان المرابط بدابق إن يمد المسلمين بأي قوات برية أو بحرية أو حتى بإمدادات لرفع ما تعاني منه القوات هناك[145] ، حيث أغارت عليهم خيل برجان – البلغار – وهم في قله فأرسل إليهم الخليفة بمسعده أو عمرو بن قيس في جماعه فمكرت لهم فهزموهم، واقتتح مدينة الصقالبة[146] ، وخرب مسلمة ما بين الخليج والقسطنيطينية ،وكما يبدو فإن الخليفة استطاع مع حلول الربيع إرسال قوات وإمدادات جديدة لمسلمة في القسطنطينية ، كما ذكرنا آنفا .كما عمل ليو الثالث على إضعاف الروح المعنوية للمسلمين مع كل ما كانوا يعانوه في القسطنطينية إذ استطاع إقناع البلغار في الدانوب لمهاجمة المسلمين من الغرب كما ذكرنا سابقا ، ليجد المسلمين أنفسهم محاصرين بين أسوار القسطنطينية المنيعة وهجمات البرابرة من البلغار . وعمل ليو الثالث كذلك على نشر شائعة بين المسلمين تفيد إن قوات من فرنسا ومناطق أخرى قادمة للدفاع عن المدينة ومحاربة المعتدين باسم المسيحية ، ليقضي المسلمين صيف سنة ٩٩هـ– ٧١٧م في القتال على جهتين البيزنطية والبلغارية مع ما يعانوه من نقص في المعدات والأسلحة[147] . واستمر الحال بالمسلمين هكذا حتى وفاة الخليفة سليمان بدابق سنة ٩٩هـ/٧١٧م[148] .

وبعد وفاة الخليفة سليمان بن عبدالملك ووصول عمر بن عبدالعزيز للخلافة ، وصلته أنباء ما حدث ويقاسيه المسلمين على أبواب القسطنطينية فأرسل إلى مسلمة وأمره بالعودة لدمشق بمن معه من المسلمين ، وأرسل إليه خيلا عتاقا وطعاما كثيرا لتساعدهم على الانسحاب ، وقيل وجه إليه خمسمائة فرس[149] . ويروي لنا المسعودي من حديث لابي جعده بن هبيرة حيث يقول : " ... كنا مع مسلمة بن عبدالملك عام الخليج بالقسطنطينية إذ ورد عليه كتاب عمر بن عبدالعزيز بنعي سليمان ومصير الأمر إليه ، فبعث إليّ فدخلت عليه ، فرمى بالكتاب إليّ فقراته ، ثم اندفع يبكي فقلت : أصلح الله الأمير! لا تبكي على أخيك ، ولكن ابك على خروج الخلافة من ولد أبيك إلى ولد عمك ، فبكى حتى أخضلت لحيته... "[150]. ويروي صاحب العيون والحدائق إن مسلمة طلب أن يؤخر الخليفة الجديد عودته

---

144 – Gibbon,Op.Cit,p8.

145 – الطبري، المصدر السابق، ج٤ ، ص١٣٢١.

146 – المصدر نفسه .

147 – Glubb,Op.Cit, p169.

148 – الطبري، المصدر السابق ، ص ١٣٢٧.

149 – الطبري،المصدر السابق ، ص ١٣٣٠.انظر أيضا:ابن الجوزي،المصدر السابق،ج٤،ص ٥١٧

150 – المسعودي ، المصدر السابق،ج٣،ص ٢٥٩ .

لبضعة أيام إلا إن الرسول الذي بعثه عمر بن عبدالعزيز رفض وفي هذا يقول :" ... فوجه عمر ساعة ولي مع عامل ملطية يأمر مسلمه بالقفول ... فلما قدم الرسول دافعه مسلمة وقال أقم علي أياما فاني قد أشرفت على فتحها ، فقال لا والله ولا ساعة ... " [151].

وكعادته يورد لنا ابن أعثم الكوفي رواية تفصيلية فردية عن أوضاع حصار القسطنطينية في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز ويذكر فيها ان مسلمة بن عبدالملك وصله كتاب عمر بن عبدالعزيز وهو مقيم بالنقفورية من بلاد الروم ، يطلب منه العودة للشام بقواته بعد ان تمت البيعة له عقب وفاة الخليفة سليمان بن عبدالملك . فعندها نادى مسلمة في الناس، وسار حتى صار إلى عمورية ، فأقام بها أياما حتى عزل عماله عن جميع بلاد الروم ، ثم سار من عمورية حتى صار إلى طرسوس ، ثم رحل عنها إلى دمشق في ٣٠ ألف من الناس بعد ان كان قد دخل بلاد الروم في ٨٠ ألف . ولم يدخل دمشق إلا بأمر عمر بن عبدالعزيز ، فاقبل بجيشه حتى وقف بباب عمر بن عبدالعزيز ثم استأذن ، فلم يأذن له فانصرف إلى منزله ، فلما كان من الغد ركب إليه في ١٠ آلاف فارس فلم يأذن له فانصرف إلى منزله ... فركب إليه من الغد وحده وخلفه غلام له فاستأذن فأذن له ، فلما دخل عليه وسلم فرد عليه عمر السلام وأذن له بالجلوس فجلس ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! أحب أن تخبرني ما ذنبي، إن كنت أذنبت فقد أذنب غيري ، وان كنت أخطأت فالخطأ يكون من بني ادم ، والكمال لا يكون إلا لله عزوجل . فقال له عمر بن عبدالعزيز : يا مسلمة ! إنك ضربت بالناس برا وبحرا وسهلا وجبلا، وقتلت الناس وبلغت موضعا لم تؤمر به وأردت أن يقال : غزا مسلمة وفعل مسلمة وفتح مسلمة وأغار مسلمة ! فطلبت بذلك الاسم والذكر ، فالويل لمن عمل في هذه الدنيا رياء للناس! وقد قيل : انك فعلت وصنعت ، فان كنت فعلت ما فعلته لله تبارك وتعالى لا تريد به الحمد والذكر من الناس فطوباك ! وان فعلت ما فعلت رياء للناس فقد صار عملك هباءا منثورا ، وبعد فغفر الله لنا ولك يا أبا سعيد وتجاوز عنا وعنك فانه متجاوز كريم . ثم قال : حدثني عن القسطنطينية وعن بنيانها . فقال مسلمة : نعم يا أمير المؤمنين، أما بناؤها فقد كنت أراد بالحجارة والجص خلا كنيستها العظمى وقصر ملكها اليون فإنها جميعا من الرخام الأبيض. وأما سورها فلها سبعة أسوار مختلفات الأبواب ، ومع ذلك فإنها أكثر بلاد الله خيرا ، وليس لها من خليج البحر إلا طريق واحد ، فهذه صفتها يا أمير المؤمنين . ثم انصرف مسلمة إلى منزله ، فدعا عمر بن عبدالعزيز رجل يقال له سراقة بن عبدالرحمن التميمي فعقد له عقدا وولاه الثغر،وأمره أن لا يجاوز طرطوس إلى

151 – مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق : من خلافة الوليد بن عبدالملك إلى خلافة المعتصم،مكتبة المثنى : بغداد ،ب .ت ،ج٣ ، ص ٣٣ .

غيرها "[152]. الواقع إن رواية ابن أعثم زاخرة بحكاية طويلة أشبه ما تكون بالقصة المحبوكة منها إلى حدث تاريخي ، فعدا انه انفرد بهذه الرواية والتي لم نجد أي صلة بينهـا وبـين أي رواية في المصادر العربية أو حتى المراجع الحديثة ، فان ابن أعثم يورد أساطير كثيرة فيما يتعلق بحصار القسطنطينية هذا[153] ،كما إن Rotter يؤكد إن المسلمين حولوا الهزيمـة فـي القسطنطينية إلى نصر عن طريق مجموعة من الأساطير[154]، الأمـر الـذي يجعلهـا غيـر موضوعية وبالتالي لا يمكن قبول صحتها ، فمسلمة بن عبدالملك كان مرابطا عند البوسـفور عندما توفي الخليفة سليمان بن عبدالملك ولم يتراجع منهـا حتـى بعـد هزيمـة الأسـطول الإسلامي ، بل ظل صامدا يقاتل على كل الجهات ويرسل الحملات هنا وهناك وصمد لفتـرة طويلة هناك بعد أن انزاح عنهم تعب الشتاء ومشاقه ، وبخاصة مع وصول المدد من الـشام وأفريقيا ، ولم يكن موجود بنقفورية كما يزعم ابن أعثم . أضف إلى إن ابـن أعـثم يـورد انسحاب مسلمة إلى عهد سليمان بن عبدالملك فبدأ بالانسحاب فعليا حتـى وصـل النقفوريـة وشتى بها لمدة ستة أشهر ، إلا إننا كما نعلم وتؤكد المصادر الأولية إن سليمان بن عبـدالملك أمر مسلمة بعدم مغادرة المدينة إلا وهو فاتح لها . ومما يؤكـد إن مـسلمة ظـل متواجـد بالقسطنيطينية طوال هذه الفترة هي المدة بين انسحابه وتولي عمر بن عبدالعزيز للخلافـة ، فسليمان توفي عام ٩٩هـ/٧١٧م لعشر ليال بقين من صفر[155] ، ووصل مسلمة للـشام فـي

---

152 – ابن أعثم ،المصدر السابق، ج٤ ، ص ص ٢٢٩ – ٢٣١ . انظر أيـضا : البـدراني ، المرجـع السابق ، ص ١٠٢ ، حيث يذكرها البدراني في جانب الوفادات العسكرية من حيث المبادرة إلـى سحب الجيوش من المناطق التي كان فيها خوفا عليه من الهلاك .

153 – يذكر ابن أعثم الكوفي إن اليون أرسل لمسلمة يصالحه على الرحيل عن القسطنطينية مقابل ألـف ألف درهم سنوي ، وألف أوقية من ذهب وخمسة آلاف رأس من البقر والغنم وألف رمكة بفحولها سوى ما يتبع ذلك من أنواع البربون والديباج والسقلاطون وأشباه ذلك ، ورد عليه مسلمة رغبته بهذا الصلح لولا يمينه التي كان قد قالها قبل الغزو من عدم الرحيل عن الجزيرة إلا وهو داخـل المدينة ، ثم اقبل ليون بنفسه فكلم مسلمة في الموضوع واقترح عليه الـسماح لمـسلمة بـدخول المدينة وحده وله الأمان حتى يخرج ، فقبل مسلمة العرض ودخل القسطنطينية ووقف أصـحابه على الباب تحسبا لأي غدر من البيزنطيين . ودخل مسلمة حتى وصل إلى قصر اليون فقام هـذا الأخير فقبل يد مسلمة وسار مع مسلمة راجلا حتى صار مسلمة إلى بـاب الكنيـسة ، فـدخلها راكبا، وسط جزع وحنق من الروم فانتزع مسلمة صليبهم الأعظم المصنوع من الذهب المرصـع بالجواهر وقد نصب على كرسي ،وخرج مسلمة من المدينة في وقت العصر والصليب على رأس رمحه وقد هم البطال بن عمرو وأصحابه إن يقتحموا المدينة في ذلك الوقت ، فلما رأوا مـسلمة كبروا فاجمعهم تكبيرة واحده...للتفاصيل انظر:ابن أعثم،المصدر السابق،ص ص٢٢٢– ٢٢٨.

154 – Rotter,Op.Cit p740 .

155 – الطبري ،المصدر السابق، ج٤ ، ص ١٣٢٧ .

١٠٠هـ/٧١٨م ، أي انه قطع هذه الفترة في ترتيب انسحاب الجنود ، ونظرا لطول المسافة فانه استغرق أكثر من خمسة أشهر في العودة لدمشق .

وهكذا عاد المسلمون من حصار عظيم وكبير كادوا في أكثر من مرحلة منه الوصول لتحقيق الهدف الكبير بفتح عاصمة الروم ، ويمكننا إجمال أسباب الهزيمة هذه فيمكن تلخيصها في التالي :

١- استعد المسلمون لغزو القسطنطينية استعدادا كبيرا ومنظما ، بدءا من عهد الوليد بن عبدالملك وحتى التحرك الفعلي نحو القسطنطينية في عهد سليمان بن عبدالملك ، وعليه فان الهزيمة لا تعود لأسباب تنظيميه أو إدارية أبدا .

٢- استطاع مسلمة التخطيط الجيد لمناطق الحصار ، ووزع قواته البرية والبحرية بصورة دقيقه ، وعمل على إدارة العمليات من منطقة قريبه من القسطنطينية ، وعبر الدردنيل إلى القسم الأوروبي من المدينة ، وصمد أمام البرجان الذين أرسلهم ليون للقضاء على المسلمين ظنا منه إن هزيمة أسطولهم ستضعفهم .

٣- كان للطبيعة كلمتها الفاصلة في الحصار . فتغير اتجاه الريح المفاجئ لم يحسب حسابه حتى البيزنطيين أنفسهم أصحاب البحر والأرض ، إذ أدى هذا التغير في الاتجاه إلى احتراق سفن المسلمين والبيزنطيين معا .

٤- استخدام النار الإغريقية[١٥٦] كان أمرا مفاجئا للمسلمين حقا . إذ واجه المسلمون سلاحا لم يعهدوه من قبل ، بل كانوا يتوقعون قتالا وجها بوجه ، فتفاجئوا بالنار الملتهبة تحرق سفنهم موجهة نحوهم من المراكب البيزنطية ومن أسوار القسطنطينية .يقول محمود شيث خطاب بخبرته العسكرية : " ... وتاريخ الحرب في جميع العصور ،يقرر إن من أهم أسباب عوامل النصر هو استعمال سلاح فتاك جديد لا يتوقعه الخصم ؛ أو استعمال أسلوب قتالي جديد لا يتوقعه الخصم ، أو استعمالهما معا في الزمان والمكان المناسبين

---

156 – لوقت طويل ظلت تركيبة النار الإغريقية مجهولة وسميت بهذا الاسم لان مخترعها مهندس إغريقي يدعي كالينكس من مواطني مدينة هليوبوليس السورية ، وقد اخترعها في عهد الإمبراطور قسطنطينية الرابع في أواخر حكم الأسرة الهرقلية ، والذي حوصرت القسطنطينية في عهده على يد العرب أيام معاوية بن أبي سفيان فلم ينقذها إلا هذا السلاح . وهذه النار عبارة عن مزيج من النفط والزيت والكبريت المجمد بنوع من الصمغ القابل للاشتعال ، ويوضع المزيج في أنابيب من النحاس لها فم توقد فيه ، وفي مؤخرتها قوس يدفعها حين تحركه إلى الأمام ، وكانت هذه الأنابيب توضع بكميات كبيرة في اسطوانة هائلة مستديرة ، وتلقى في مدافع المنجنيق وهي قاذفات اللهب والأحجار ثم تقذف على العدو ، وفي فترة الحروب الصليبية استطاع المسلمين الحصول على تركيبة النار الإغريقية . انظر : يوسف ، جوزيف نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية (٢٨٤ – ١٤٥٣ م) . مؤسسة شباب الجامعة : الإسكندرية ، ١٩٨٤ م ، ص ص ١٢٢-١٢٣.
انظر أيضا : Glubb,Op.Cit,p169 .

بشكل لا يتوقعه الخصم ، وكل ذلك يباغت هذا الخصم ويربك قيادته وخططها المرسومة ، والمباغتة كما هو معروف هي أهم مبادئ الحرب على الإطلاق "[157].

٥- مما لا شك فيه فان مناعة القسطنطينية جعلتها بمنأى عن أيدي الراغبين في بسط سيطرتهم عليها لفترات تاريخية طويلة [158]. فالمسلمين كانوا يملكون المنجنيقات المتقدمة ، وآلات تشبه الدبابات يمكنها اختراق الأسوار ، إلا إن أسوار القسطنطينية ظلت صامدة ، حتى فتحها العثمانيون عام٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م [159].

٦- لا يمكن إنكار الدور الكبير الذي لعبه ليو الايسوري في تخليص القسطنطينية من الغزو الإسلامي الكبير عليها ، فلولاه لظلت المدينة ترزح تحت وطأة شقاقا سياسيا وعسكريا ودينيا ، ولما استطاعت الصمود أمام الحصار الإسلامي العظيم ، والروح الكبيرة لدى المسلمين لفتحها .فليو الايسوري هو بالفعل المنقذ للإمبراطورية البيزنطية ومجدد عهدها ، إذ بعد عودة المسلمين من حصارها لم يغزو القسطنطينية أي جيش إسلامي إلا ذلك الذي سيفتحها على يد محمد الفاتح في عام عام٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م .

٧- يرجع البعض من المؤرخين إن سوء إدارة مسلمة بن عبدالملك للحصار كان سببا من أسباب الهزيمة نتيجة انخداعه بالحيلة التي احتال بها ليون على مسلمة من حرق للطعام وإدخال الطعام لأهل القسطنطينية ، وفي هذا نجد الطبري يقول :" ... وخدع مسلمة خديعة لو كان امرأة لعيب بها فلقي الجند ما لم يلق جيش..." [160]. ويقول ابن كثير: "...فقال – أي اليون- قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتحى عنهم ، فقال مسلمة : إني أخشى غدرك ، فحلف له انه يدفع إليه مفاتيحها وما فيها ، فلما تتحى عنهم اخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار ، وغدر اليون بالمسلمين

---

157 – خطاب ، محمود شيث ، سلسلة قادة الفتح الإسلامي : مسلمة بن عبدالملك بن مروان فاتح شطر الأنضول ومحاصر القسطنطينية ، دار قتيبة:دمشق ، ١٩٨٦م ، ص ٨٤ .

158 – انظر الخريطة في ملحق رقم (٦) لتحديد موقع القسطنطينية بالتفصيل .

159 – الفتح العثماني للقسطنطينية في شكله العام والاستعدادات البرية والبحرية له تشبه تلك التي قام بها الخليفة سليمان بن عبدالملك وأخيه مسلمة في حصار القسطنطينية في القرن الأول الهجري/الثامن الميلادي ، إلا إن الظروف ساعدت العثمانيين أكثر ، وهي ذات الظروف التي عملت على هزيمة المسلمين في القسطنطينية منها الأحوال الجوية الجيدة ،واضطراب أحوال –القسطنطينية السياسية والاقتصادية ، وسلاح المدفعية المتقدم لدى العثمانيين . لمزيد من التفاصيل انظر: باربارو،نيقولا،الفتح الإسلامي للقسطنطينية :يوميات الحصار العثماني١٤٥٣م . دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبدالرحمن الطحاوي،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية:القاهرة،٢٠٠٢ ، ص ص ٨١-١٨٢.

160 – الطبري، المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٢١ .

قبحه الله"[161].إلا إن مسلمة بن عبدالملك أثبت حتى في الظروف الصعبة التـي مـر بهـا الجيش الإسلامي في القسطنطينية كفاية عسكرية كبيرة ، وظل محاصـرا للقـسطنطينية عاما كاملا ، دون أن يألوا له جهدا في المبادرة للقتال من جوانب المدينة ، كما انه احكـم الحصار منذ بداية الحصار ، وعبر بجيشه لأول مره إلى أوروبا ، ولم يغادر القسطنطينية إلا وهو باني لجامع فيها عرف بجامع مسلمة وشق عينا عرفت بعين مسلمة كمـا ذكرنـا سابقا . وان كان هناك ما يلام عليه مسلمة كما نتفق مع محمود شيث خطاب هـو : " ... عدم استفادته – أي مسلمة – كما ينبغي من صفحة المبادرة في التركيز على الهجوم على المدينة المحاصرة ، وإدامة زخم الهجوم عليها أولا ، وثقته غير المحـدودة بحليفـه ليـو الايسوري ، لان الذي يخون بلاده وقومه أولى إن يخون غير بلاده وغير قومه ، فكانـت هذه الثقة العمياء بهذا العميل لا مسوغ لها ثانيا ..."[162] .

٨- يشير أحد المؤرخين المعاصرين إن عدم قبول نصيحة موسى بن نصير الذي أشـار باعتماد خطة بعيدة المدى والتي ذكرناها سابقا كان عاملا للهزيمة فـي القـسطنطينية[163]. وترى الباحثة إن هذه الخطة التي اقترحها موسى بن نصير تم تنفيذها فعليـا منـذ أيـام الخليفة عبدالملك بن مروان واستكملها الوليد بن عبدالملك وعليه فان المسلمين لم يكونـوا سوى على بضع أميال من أسوار القسطنطينية ولولا وفاة الخليفة الوليد المفاجئة لكان هـو من سير هذه الحملة .

٩- قد لا يكون المسلمون حققوا نصرا حقيقيا في القسطنطينية ولكنهم حتما تركوا فيها ما يؤكد على قوة هذا الحصار ، وانه كان بإمكانه فتح القسطنطينية في ذلك الوقت ، فمسلمة بن عبدالملك لم يغادرها إلا وتاركا للتاريخ آثارا تدل على وجود المسلمين هنـاك . منهـا مسجد مسلمه ، ومنها عين مسلمه التي ذكرناهما سابقا ، ويذكر ابن خرداذبه انه في مدينة أصحاب الكهف وأربعة حصون فيها قرئ كتاب بالعربية بدخول مسلمه بلاد الـروم[164] ، مما يعطينا فكرة واضحة إن مسلمه بن عبدالملك توجه للقسطنطينية لينال شـرف فتحهـا عازما على عدم الرجوع منها إلا بتحقيق ذلك ، إلا إن أوامر الخليفة الجديـد عمـر بـن عبدالعزيز الذي كان له وجهة نظر غيرت مسير الأحـداث ، وتـنفس الـروم الـصعداء بانسحاب المسلمين .

الواقع كان حصار القسطنطينية كان عظيما من حيث الترتيبات والتحركـات والتعبئـة وحتى المناجزات بين المسلمين والبيزنطيين ، وكان العالم المسيحي يدرك حينها إن وصـول

---

161 – ابن كثير ،المصدر السابق،ج٩،ص ص ٢٤٧١ – ٢٤٧٢ .

162 – خطاب،المرجع السابق،ص ٨٥ .

163 – خريسات ، المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

164 – ابن خرداذبه ، المصدر السابق،ص ١٠٦ .

المسلمين للقسطنطينية ما هو إلا بداية الزحف الإسلامي لأوروبا من الشرق في الوقت الذي كان العرب والبربر يغزون جنوب فرنسا انطلاقا من الأندلس (اسبانيا) كما يرى جلوبGlubb [١٦٥].

المرحلة الرابعة (١٠٠هـ/٧١٨م – ١٠٢هـ/٧٢٠م) :

تمتد هذه المرحلة خلال خلافة كل من عمر بن عبدالعزيز(٩٩هـ/٧١٧م-١٠١هـ/٧١٩م) وخلافة يزيد بن عبدالملك بن مروان (١٠١هـ/٧١٩م – ١٠٥هـ/٧٢٣م)، وتميزت الفترتين بغياب حملات الفتح سواء في المشرق أو في شمال الدولة الإسلامية . كما انه سبق واشرنا لبعض الفتن الداخلية التي قضى عليها مسلمة بن عبدالملك خلال هذه الفترة التاريخية[١٦٦] . وأبقى الخليفة عمر بن عبدالعزيز مسلمة بن عبدالملك بجواره في الشام مستشارا له ، كما بينا في الفصل الأول في الموضع الذي تحدثنا فيه عن علاقة مسلمة بن عبدالملك بعمر بن عبدالعزيز . أما يزيد بن عبدالملك فقد ولى أخاه مسلمة العراقين[١٦٧] مكافأة له على قضائه على ثورة يزيد بن المهلب إلا انه ما لبث أن عزله لأسباب اوضحناها في موضعها ، ومكث مسلمة ما بقي من خلافة أخيه يزيد في اقطاعاته بالشام .

المرحلة الخامسة (١٠٧هـ/٧٢٥م- ١١٤هـ/٧٣٢م):

شملت هذه المرحلة عددا من الحملات المتفرقة لمسلمة بن عبدالملك قام بها إبان توليه ولاية الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان في عهد أخيه هشام بن عبدالملك والذي تولى الخلافة بموجب عهد من أخيه يزيد بن عبدالملك وانتهت بوفاة مسلمة بن عبدالملك سنة ١٢١هـ/٧٣٨م ، والتي ستشمل فترات ولاية متفرقة على هذه المناطق. ولا نجد أي رواية تاريخية تذكر لنا أحوال مسلمة بن عبد الملك خلال الفترة من ١٠٥هـ/٧٢٣م وحتى توليه أولى الحملات سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م كأول ظهور له في الساحة في عهد أخيه هشام بن عبدالملك . وترى الباحثة إن مسلمة قضى هذه الفترة وما قبلها منذ عزله عن ولاية العراقين عام ١٠٢هـ/٧٢٠م قضاها بين مقاطعاته في شمال سوريا ، مستشارا للخليفة وآل البيت المرواني متى ما احتاجوا إليه . فمع دخول سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م عزل هشام بن عبدالملك الجراح بن عبدالله الحكمي عن أرمينية وأذربيجان وولاها لأخيه مسلمة بن عبدالملك ، والذي بدوره جعل من الحارث ابن عمرو الطائي نائبا له عليها [١٦٨] ، وقام مسلمة بعدد من الحملات ضد الخزر ، وافتتح عددا من مدنهم . والواقع إننا لا نجد تفاصيل كثيرة لهذه الحملات لدى

---

165 – Glubb,Op.Cit,p169 .

166 – راجع الفصل الثاني في ثورة شوذب الخارجي وثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .

167 – يقصد بها العراق وخراسان .

168 – انظر تفاصيل هذه الولاية في الفصل الثاني .

المؤرخين الأوائل ، فالطبري لا يذكر ولاية مسلمة في هذا العام بل يكتفي بالقول :" وفيها – أي سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م – غزا الصائفة معاوية بن هشام ، وعلى جيش الشام ميمون بن مهران فقطع البحر حتى عبر إلى قبرص وخرج معهم البعث الذي هشام كان أمر به في حجته سنة ست فقدموا في سنة سبع على الجعائل غزا منهم نصفهم ، وقام النصف وغزا البر مسلمة بن عبدالملك "[١٦٩]. ويبدو إن هشام بن عبدالملك اتخذ نظام الصائفتين اليمنى واليسرى، كل منهما لها قيادة منفصلة في مناطق مختلفة من الحدود الشمالية والشمالية الشرقية ، إذ غالبا ما سنرى إن مسلمة يتولى الصائفة اليمنى لإعادة الاستقرار للحدود الشمالية الشرقية من الدولة ، بينما تركزت الصائفة اليسرى على بلاد الروم أي الحدود الشمالية ويرأسها عددا من أبناء الخليفة هشام بن عبدالملك كما سنرى لاحقا .

ويذكر ابن عساكر فتح قيسارية في سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م في حين يؤكد الطبري وابن كثير إنها فتحت عام ١٠٨هـ/٧٢٦م وهذا هو الثابت ، ففي عام ١٠٨هـ/٧٢٦م غزا مسلمة ابن عبدالملك قيسارية[١٧٠] مدينة الروم مما يلي الجزيرة الفراتية ففتحها[١٧١] . كما فتح في هذا العام مسونة وحصونها[١٧٢] ، وكان على الصائفة اليسرى إبراهيم بن هشام بن عبدالملك إذ فتح حصنا من حصون الروم في هذه السنة [١٧٣]. أما صاحب العيون والحدائق فيذكر إن مسلمه غزا قيسارية عام١٠٧هـ/٧٢٥م ولم يذكر فتحها وقد يعود ذلك للطاعون الذي وقع في هذا العام واهلك الناس كثير [١٧٤] .

وفي سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م ، غزا مسلمة بن عبدالملك وسرح الجيوش في أذربيجان وشتوا بها، وقاتل الترك في هذا العام كذلك[١٧٥] ، ويضيف الذهبي إن مسلمة وصل للحدود الشرقية للدولة الإسلامية وغزا السند[١٧٦] ، في حين يذكر ابن كثير غزو الترك في سنة ١١٠هـ/٧٢٨م حيث قاتل مسلمة في هذه السنة ملك الترك الأعظم خاقان[١٧٧] نحو باب

---

169 – الطبري،المصدر السابق،ج٤،ص ١٣٦٩ .

170 – بلد على ساحل الشام من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . انظر : الحموي ،المصدر السابق،م٤ ،ص٤٢١.

171 – المصدر نفسه ، ص ١٣٧٠ . انظر أيضا: ابن كثير، المصدر السابق،ج٩،ص٢٥٣٦ .

172 – ابن عساكر ،تاريخ ،ج٥٨،ص٣٩ .

173 – ابن الجوزي،المصدر السابق، ج٤ ، ص ٥٨٩.

174 – مجهول ، العيون ، ص ٨٩ .

175 – ابن عساكر، المصدر السابق، ص ص ٣٨-٣٩ .

176 – الذهبي،تاريخ،ج٧،ص ٤٦٩.

177 – خاقان لقب لملوك الترك الذين عرفوا بالخزر لاستيطانهم منطقة بحر الخزر ، مثلما كان الفرس يلقبون ملوكهم بالأكاسرة والروم بالقياصرة .

اللان[١٧٨] ، فزحف مسلمة في جموع عظيمة فتقاتلوا لمدة شهر ، ثم هـزم الله خاقـان زمـن الشتاء ، ورجع مسلمة سالما غانما فسلك على مسلك ذي القرنين في رجوعه إلـى الـشام ، وعرفت هذه الغزوة بغزوة الطين وذلك لأنهم سلكوا على مغارق ومواضع غرق فيهـا دواب كثيرة وتوحل فيها كثير من الناس ، فما نجوا حتى قاسوا شـدائد وأهـوالا صـعابا وشـدائد عظيمة[١٧٩]. ويذكر المسعودي إن مسلمة بن عبدالملك أسكن أناسا من العـرب فـي القلعـة لحراستها وكانت تحمل إليهم المؤن والرزق من ثغر تفليس على مسافة خمسة أيام [١٨٠]. وكان على الصائفة اليسرى معاوية بن هشام بن عبدالملك [١٨١]. وعزل مسلمة عن هذه الولاية سـنة ١١١هـ/٧٢٩م ،ليتولى بعده مرة أخرى الجراح بن عبدالله الحكمي والذي سيقتل مع تجـدد ثورات الترك ليتولى إمارة الثغر سعيد بن عمرو الحرشي [١٨٢]، أما مسلمة فعـاد ليقـيم فـي اقطاعاته بالشام كعادته ،ومستشارا لأخيه الخليفة هشام . لكننا نلاحظ إن الطبري يـذكر لنـا اسم الحارث بن عمرو سنة ١١١هـ/٧٢٩م يقاتل الترك في أذربيجان ، وفـي ذات الوقـت يذكر الطبري تولية الجراح بن عبدالله الحكمي لأرمينية فقط في العام نفسه[١٨٣]، فـي الوقـت الذي تتفق فيه المصادر التاريخية كابن خياط والطبري وابن كثير إن الجراح قاتل الترك فـي أذربيجان خلال فترة توليه إمارة هذا الثغر ، كما إننا لا نجد ذكرا لمسلمة خلال هـذه الفتـرة من عام ١١٢هـ/٧٣٠م-١١٣هـ/٧٣١م[١٨٤] .

ويتجدد ذكر اسم مسلمة بن عبدالملك في هذا الثغر عام ١١٢هـ/٧٣٠م حـين أرسـله أخاه هشام بن عبدالملك لقتال الترك ، فسار في شتاء شديد البرد والمطر والثلوج حتى وصل لمدينة الباب[185] فخلف فيه الحارث بن عمرو الطائي فيها [١٨٦]، وترى الباحثة إن الخليفة هشام ابن عبدالملك أرسل أخاه مسلمة في قوات لدعم الجراح بن عبدالله الحكمي بعد وصول الأنباء

---

178 – بلاد واسعة في كرف أرمينية قرب باب الأبواب مجاورون للخزر وأهلهـا نـصارى . انظـر: الحموي،المصدر السابق،م٥،ص ص ٨-٩.

179 – ابن كثير،المصدر السابق ، ص٢٥٣٩ .

180 – المسعودي ،المصدر السابق،ج١،ص١٥٤.

181 – ابن الجوزي،المصدر السابق ، ص٦٠٣.

182 – الطبري،المصدر السابق، ج٤ ، ص ص ١٣٧٩ – ١٣٨٠.انظر أيضا : ابن عساكر ، تـاريخ ، ج٥٨ ، ص٣٨ .

183 – الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٣٧٩.

184 – ابن خياط ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ . انظر أيضا : الطبري، المصدر السابق ، ص ١٣٨٠ .

185 – هي مدينة الدربند أو دربند شروان ، وتقع على بحر طبرستان وهو بحر الخـزر ، ولهـم زروع كثيرة وثمار قليلة إلا ما يحمل إليهم من النواحي،وعلى المدينة سور من الحجارة ممتد من الجبـل طولا في غير ذي عرض. للتفاصيل راجع:الحموي،المصدر السابق،م١،ص ص٣٠٣-٣٠٦ .

186 – الطبري ، المصدر السابق، ص ١٣٨١ . انظر أيضا : الذهبي ،تاريخ ،ج٧،ص ٤٦٩ .

بأنه انحاز عن القتال ومن ثم وصول الأنباء بمقتله ، وذلك لأنه وبحسب رواية الطبري فـإن الخليفة هشام أرسل سعيد بن عمرو الحرشي لقتال الترك واستطاع هزيمتهم فلم يكن مـن داع إذا لإرسال قوات بقيادة مسلمة ما لم تكن هناك ضرورة وبخاصة انه أرسله في أجواء سـيئة من البرد والمطر الشديدين، وعليه فالباحثة تميل للقول بان سعيد بن عمرو الحرشي اسـتطاع هزيمة الترك في بعض مواقعهم إلا أنهم عادوا للثورة بصورة لم يستطع الحرشي مواجهتهـا بنفسه فأرسل للخليفة الذي بدوره بعث بأخيه مسلمة في قوات إلى هناك بدليل وصول مـسلمة لمدينة الباب وهي مدينة حصينة للترك وخلف عليها الحارث بن عمـرو الطـائي بـدليل إن الترك لم يصلوا إليها بعد وزاد المسلمين من تحصيناتها وفتحوا حصونا أخرى للترك خـلال هذه الفترة .

وفي سنة ١١٣هـ/٧٣١م أرسل الخليفة مسلمة بن عبدالملك مرة أخرى لقتـال التـرك ويبدو إن سعيد بن عمرو الحرشي الذي عين واليا على أرمينية وأذربيجان لم يـستطع قتـال الترك بمفرده لضخامة أعدادهم وعدتهم ، فعزله الخليفة وعين أخاه مسلمة مكانـه [١٨٧]، فقـام مسلمة بتفريق الجيوش في بلاد خاقان ففتحت مدائن وحصون على يديه ، وقتل منهم واسـر وسبى الكثير ، وقام العديد من الأتراك بحرق أنفسهم ، فدان لمسلمة مـن كـان وراء جبـال بلنجر ، وقتل ابن خاقان في هذه المعارك [١٨٨] ، فاجتمعت أمم كثيرة من الترك لحرب مسلمة، من الخزر وغيرهم في جمع كبير جدا ،وكان مسلمة عندما بلغه تجمع تلك القوى ضده ، قـد أوغل عميقا فيما وراء بلنجر فأمر أصحابه بإشعال النيران ، ثم ترك خيامهم وأثقالهم وعـاد هو وعسكره ، وقدم الضعفاء والمرضى وآخر الشجعان ، وطووا المراحل كل مرحلتين فـي مرحله حتى وصل إلى باب الأبواب على بحر قزوين ، مما مكن مسلمة مـن إنقـاذ جيـشه وضحى بكل ما غنمه فعاد للجهاد بقوة اكبر [١٨٩] . وصالح مـسلمة أهـل حيـزان [١٩٠] وأمـر بحصنها فهدم واتخذ لنفسه بها ضياعا وهي اليوم تعرف بحوز حيزان وسالمه ملوك الجبال ، فسار إليه شروانشاه وليرانشاه وطبرسرانشاه وفيلانـشاه [١٩١] وخرشانـشاه [١٩٢] وصـار إليـه

---

187 – تفاصيل هذه الولاية في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

188 – الطبري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص١٣٨٨ .

189 – ابن أعثم،المصدر السابق، ج٤ ، ص ٢٨٢-٢٨٣ . انظر أيضا : العسلي ، رجال ، ص ١٣٦.

190 – انظر هامش رقم (٦١) في الفصل الثاني من الدراسة .

191 – هو ملك مملكة السرير ويدينون بالنصرانية مما جاور مدينة الباب . انظر : المسعودي،المـصدر السابق،ج١،ص١٥٣.

192 – كلمة (شاه) تعني ملك ، ويذكر إن انو شروان حين بنى مدينة الباب اسكن هناك أمما من الناس وملوكا جعل لهم مراتب ، ووسم كل ملك بسمة وحد له حدا معلوما على حسب فعل اردشير بـن بابك حين رتب ملوك خراسان ، فممن رتب منهم انو شروان من الملوك في بعض هذه البقـاع-

صاحب مسقط[193]. ويذكر ابن أعثم الكوفي إن مسلمة صالح أهل الشروان علـى أن لا يقتـل منهم رجلا واحدا ولا كلبا واحدا ، فلما نزلوا من قلعتهم قتلوا جميعا إلا رجلا واحـدا ، كمـا قتل كل كلب كان في القلعة عدا كلب واحد ، ثم أمر بنسائهم وأولادهم فأسكنهم ارض حيزان [194].

ومع وصوله لمدينة الباب وصمد لمدينة الباب ففتحها ، وكان في قلعتها ألف أهل بيـت من الخزر فحاصرهم ورماهم بالحجارة ثم بحديد اتخذه على هيئة الحجارة فلم ينتفع بـذلك ، فعمد إلى العين التي كان انو شروان أوصل منها الماء إلى صهاريجهم ، فذبح البقـر والغـنم وألقى فيه الفرث والحلتيت ،فلم يمكث ماؤهم إلا ليله حتى دود وانتن وفسد ،فلما جن علـيهم الليل هربوا واخلوا القلعة[195]، فبدأ مسلمة في عام ١١٤هـ/٧٣٢م بناء مدينـة البـاب مـرة أخرى وحصنها تحصينا كبيرا[196] . فقد قام مسلمة كذلك بإعادة بناء صهريج الماء الذي سبق أن خربه ، وأنشأ فيها مخازن للطعام والشعير ، وخزانة للسلاح واسكن فيها قوة كبيرة تقـدر بأربعة وعشرين ألف من مقاتلة أهل الشام على العطاء[197]. وتبعا لنظام الأجناد الـسائد فـي بلاد الشام فقد أمر مسلمة بمدينة الباب فقسمت أربع أرباع ، ربعا لأهل دمشق وربعـا لأهـل حمص وربعا لأهل فلسطين وربعا لسائر أهل الشام والجزيرة [198].ويذكر اليعقوبي دون تحديد لسنوات الحملات عددا من المواقع التي فتحها مسلمة كذلك ،حيث يقول :" ... ثم صار إلـى شروان فسالمه أهلها ، ثم أتى مسقط فصالحه أهلها، ووجه خيله إلى ارض اللكز [199] فصالحه

-والمواضع مما يلي الإسلام من بلاد برذعة ملك يقال له شروان ومملكته مضافة إلى اسمه فيقال له شروان شاه وهكذا . للتفاصيل راجع : المسعودي،المصدر السابق،ج١،ص١٤٠.

193 – البلاذري،فتوح،ص ٢٠٥. مسقط : رستاق بساحل بحر الخزر دون بـاب الأبـواب . انظـر : الحموي ،المصدر السابق،م٥، ص ١٢٧.

194 – ابن أعثم،المصدر السابق، ج٤ ، ص ٢٨٢ . يوردها اليعقوبي باسم جرزان . انظر : اليعقـوبي، المصدر السابق ، م٢ ، ص ٣١٨. وهي اسم جامع بأرمينية ملكهم يدعى الطنبغي ومملكـة هـذا الملـك بقـرب مـسجد ذي القـرنين ، وهـم علـى النـصرانية . انظـر :الحموي،المـصدر السابق،م٢،ص١٢٥ . أما حيزان فهي الأقرب لأرض الشروان موضع الحـديث هنـا ، وتـرى الباحثة إن اليعقوبي خلط بين المدينتين إذ إن مسلمة في طريق عودته من جبال البلنجر مر علـى مسجد ذي القرنين أي انه مر بجرزان ، ولكنه قاتل الترك في حيزان .

195 – البلاذري ،المصدر السابق، ص ٢٠٥ .

196 – الطبري،المصدر السابق،ج٤،ص١٣٨٨.انظر أيضا:ابن الجوزي،المصدر السابق،ج٤،ص ٦٢٧ .

197 – البلاذري ،المصدر السابق ،ص ٢٠٥ .

198 – الجنابي ، المرجع السابق،ص ص ٣٢– ٣٣، ٦٩.

199 – اللكز إحدى الأمم التي سكنت الجبل الممتد والمتصل بمدينة باب الأبواب وكانوا كثيـرو العـدد . انظر: الحموي ،المصدر السابق،م٤،ص٣٠٢.

أهلها ، وبعث إلى طبرسران[200] فصالحه أهلها ، فسار في البلاد لا يلقاه احد حتى بلـغ ارض ورثان[201] فلقيه خاقان ملك الخزر وكان مع مـسلمة جماعـة مـن ملـوك البلـدان التـي فتحها..."[202]. ويستطرد ابن أعثم الكوفي في تفاصيل هذه الحملة حيث يؤكد فيهـا مـصالحة ملوك الجبال لمسلمة بن عبدالملك وأدائهم للخراج ، حتى وصل مدينة الباب التي كـان بهـا ألف رجل من الخزر واللذين كان قد رتبهم ملك الخزر هنالك فلم يعـرض لهـم مـسلمة إلا بسبيل الخير لكنه تركهم حتى وصل إلى الحصنين اللذين هنالك فلم ير فيهم أحدا ، ثـم سـار إلى البلنجر فلم ير فيه احد .وحين وصل خبر وصول مسلمة بن عبدالملك إلى خاقان ملـك الخزر بدأ بتجهيز قواته لمحاربته كان عدادها كبيرا . في الوقت نفسه سار مسلمة في جيـشه ذلك حتى وصل إلى الوبندر[203] ، ثم إلى سمندر[204] فلم ير هنالك أحدا ، فجاوزها يريد خاقان ملك الخزر ، ولما علم مسلمة بما قام به ملك الخزر أمر أصحابه أن يوقدوا النيـران ففعلـوا ذلك . فلما نزل الليل تركوا خيامهم مضروبة في موضعها وارتحلوا بعد عـشاء الآخـرة ، وجعل مسلمة يطوي المراحل طيا فجعل كل مرحلتين مرحله ، غير انه قدم الـضعفاء بـين يديه والأقوياء أهل الجلد والشجاعة على الساقة ، فلم يزل كذلك حتى صار إلى مدينة الباب . وهناك أمر أصحابه بحفر خندق حصن فيها نفسه وعسكره واستعد للقتال وعبـئ أصـحابه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحا ، وقدم ملوك الجبال بين يديه وأمرهم بقناديل النشاب، ثـم أمـر بلوائه فنصب بين يديه ، مما أثار ضغينة خاقان الخزر. وبدأت المعركة بجولات من القتـال فخرج في البداية طرخان من طراخنة الخزر في كردوس[205] عظيم نحو المسلمين فتقدم نحوه مروان بن محمد بن مروان فضرب بطن فرس الخزري وتقدم بعدها الناس نحـو كـراديس الخزر . وفي أثناء القتال تقدم سليمان بن هشام إلى عمه مسلمة فقال : أيها الأمير! قتـل والله مروان ، قال مسلمة:كلا ما قتل فاسكت ! فسكت سليمان بن هشام وانكشفت العجاجـة فنظـر مسلمة إلى المسلمين من أصحاب مروان بن محمد فإذا بمروان بن محمد قد لصق بكـراديس الخزر وقد قتل منهم جماعة وأصحابه ، وهو يمسح سيفه على معرقة فرسه من دماء الخزر.

200 – يوردها الحموي باسم طبرستران وهي من نواحي أرمينية وهي ولاية واهية افتتحها سلمان بـن ربيعة سنة ٢٥هـ/٦٤٥م . انظر : الحموي ،المصدر السابق ،م٤،ص١٦.

201 – بلد هو آخر حدود أذربيجان بينه وبين وادي الرس فرسخان ، أعاد مروان بن محمـد بناءهـا . انظر : المصدر نفسه ، م٥ ، ص ص ٣٧٠- ٣٧١ .

202 – اليعقوبي،المصدر السابق، م٢ ، ص ٣١٨ .

203 – لم نجد لها ذكر عند الحموي .

204 – مدينة خلف باب الأبواب بثمانية أيام بأرض الخزر ، بناها انو شروان بن قباذ كسرى . انظـر : الحموي ،المصدر السابق،م٣،ص٢٥٣.

205 – مفرد كراديس وهي كتائب الخيل أو القطعة من الخيل العظيمة أي هي فرقة من فـرق الجـيش . انظر : ابن منظور ، لسان ،ج١٢ ، ص٦٣.

ثم حمل مروان بن محمد وأصحابه على كراديس الخزر فقتل منهم أكثر مما قتل في المرة الأولى ، وجرح منهم بشرا كثيرا ... ودعا مسلمة بالطعام فجعل يأكل هو وبنو عمه ووجوه الناس وخاقان واقف على فرسه مغتاظا ينظر إليه لا يدري ما يقول ، فلما أصبح خاقان عبئ أصحابه كما كان يعبئهم بالأمس ، ثم انه انتخب الخزر خاصته فجعلهم بين يديه وفي القلب ، وأوصاهم وتقدم إليهم أن لا يقصروا في القتال . في الوقت نفسه عبئ مسلمة الناس فجعل على ميمنته مروان بن محمد ، وعلى ميسرته سليمان بن هشام ، وعلى القلب العباس بن الوليد بن عبدالملك ، وعلى الجناح الهذيل بن زفر بن آل حارث الكلابي، فدنا القوم بعضهم من بعض فالتحموا ، واشتبك الحرب بين الفريقين ، ثم دعا مسلمة رجل من رجاله يدعى ثبيت النهراني وامره بالولوج لعسكر الخزر وقتل زعيمهم او اسره . فقام ثبيت النهراني وضرب القبة التي عليها خاقان الخزر بسيفه فخرقت الضربة الديباج ووصل السيف إلى خاقان فلم يصبه شيء ، ففزع خاقان من ذلك ووثب من العجلة مسرعا إلى برذون له قد شد بجنب العجلة فاستوى عليه ، ومر منهزما فلم يقدر عليه ، وحمل المسلمون على الخزر حملة فولوا الأدبار منهزمين وقد تفرقت عساكرهم حتى صاروا هاربين إلى بلادهم ، فأنشأ ثبيت النهراني أبياتا مطلعها :

كم وكم وكم لي من يوم له رهج وسط العجاجة بالهندية البتر

قال : وجمع مسلمة غنائم الخزر فقسمها بين المسلمين بعد أن اخرج منها الخمس ، ثم نادى في أصحابه واقبل نحو مدينة الباب ...[206].

وعاد مسلمة بعد بنائه لمدينة الباب إلى دمشق وترك واليا وقائدا عسكريا قديرا لتولي الأمور هو مروان بن محمد الذي اتبع نهج مسلمة أثناء الحملات واعمار المدن [207]. ولا نجد بعد هذا التاريخ ذكر لحملات قادها مسلمة عدا تلك التي نجدها عند ابن الجوزي من إن مسلمة غزا الروم سنة ١٢١هـ/٧٣٨م وافتتح مطامير [208]. إلا إن الذي فتح مطامير في هذا العام هو مسلمة بن هشام بن عبدالملك وليس مسلمة بن عبدالملك[209] ، أضف إلى إن مسلمة قضى جل حياته في الغزوات وفتت في عضده كثيرا ، كما إن عام ١٢١هـ/٧٣٨م هو العام الذي اتفق فيه المؤرخين على وفاة مسلمة بن عبدالملك بعد عمر قضاه في الجهاد وفي

206 – ابن أعثم ،المصدر السابق، ج٤ ، ص ص ٢٨٢ – ٢٨٧.

207 – يذكر البعض إن هشام عزل مسلمة من منصبه لوشاية من مروان بن محمد لتخاذل مسلمة عن قتال الترك ،إلا إن الباحثة رأت إن عودة مسلمة للشام جاءت اختياريه قبل قرار تعيين مروان بن محمد واليا على أرمينية وأذربيجان لعلة أصابت مسلمة ، لتفاصيل هذا راجع الفصل الثاني من هذه الدراسة .

208 – ابن الجوزي ،المصدر السابق، ج٤ ، ص٦٧٣ .

209 – ابن كثير،المصدر السابق، ج٩ ، ص ٢٥٩٣.

الفتوحات منذ أواخر أيام والده عبدالملك بن مروان وحتى سنة ١١٤هـ/٧٣٢م ،لا يألوا جهدا في تمكين الاستقرار على حدود الدولة الشمالية والشمالية الشرقية منها ، مستعينا بخيرة أمراء آل مروان وخيرة قادة الدولة العسكريين الذين يحسب لهم القدرة والقوة والشجاعة في ساحات الجهاد ، في كافة الأيام والشهور والفصول . وشبهه ابن كثير بخالد بن الوليد حيث يقول: "...وكان في زمانه في الغزوات نظير خالد بن الوليد في أيامه ،في كثرة مغازيه ، وكثرة فتوحاته ، وقوة عزمه، وشدة بأسه ، وجودة تصرفه في نقضه وإبرامه..." [٢١٠].

واني لا أجده شبيها به حتى في مماته ، فخالد بن الوليد مات حتف نفسه على كثرة غزواته وصولاته في ميادين القتال ، وكذلك مسلمة بن عبدالملك مات على الأغلب في احد اقطاعاته في شمال سوريا حتف انفه كذلك .

[210] – ابن كثير،المصدر السابق، ج٩ ، ص٣٥٩.



الخاتمة

الخاتمة

بعد هذا الاستعراض لحياة مسلمة بن عبدالملك بن مروان الأمير والقائد الأموي ، والذي يذكره المؤرخون بأنه كان من كبار الأمراء الأمويين فتوحات ، وأعظم قادتهم العسكريين بعد معاوية ابن أبي سفيان ، وأفصحهم لسانا ، وأكثرهم كرما ، والأمير الأموي الوحيد ممن أجمع أغلب المؤرخين على أحقيته بالخلافة رغم انه ابن جارية ، خلصت الباحثة إلى عدد من النتائج هي:

١- هناك الكثير من الحلقات المفقودة في تاريخ مسلمه بن عبدالملك والتي تشكل في معظمها تاريخ الفتوحات الأموية على الحدود الشمالية والشمالية الشرقية للدولة ، والتي كان هذا الأمير الأموي المتزعم لها إداريا وعسكريا .

٢- كل مرحلة من مراحل الحملات العسكرية التي قادها مسلمه وبخاصة تلك التي كانت مع بلاد الروم هي تاريخ لوحده ، ينبغي دراسته على حده ، ففتوحاته في أرمينية وأذربيجان وإخضاعه لأكثر القبائل إثارة للقلاقل هناك ونعني بهم الخزر ودخوله بلادهم أكثر من مرة دليل على قيمة هذه الفتوحات ، والتي لا تقل عن تلك التي قادها قتيبة بن مسلم الباهلي في المشرق و محمد بن القاسم الثقفي في السند أو تلك التي قادها عقبة بن نافع في شمال أفريقيا أو حتى فتوحات موسى بن نصير للأندلس ومحاولة المسلمين الوصول لفرنسا ، فهي تعد بذات الأهمية وذات المكانة نظرا لموقعها وأهميتها الاقتصادية كذلك .

٣- يمثل حصار القسطنطينية حدث تاريخي مهم ليس بالنسبة للتاريخ العسكري للدولة الأموية وإنما لتاريخ المد الإسلامي في أوروبا عامة . فالقسطنطينية شكلت منذ تأسيسها حلما عربيا راود الأمويين منذ قيام دولتهم سنة ٤١هـ/٦٦١م . وحصار مسلمة بن عبدالملك للقسطنطينية رغم عدم نجاحه في الوصول لعقر المدينة نفسها ولكنه كان حصارا عظيما هدد الروم وجعلهم يسعون بأنفسهم –حتى بعد رجوع مسلمه وجيشه – إلى عقد اتفاقيات الصلح والمهادنة مع الدولة الأموية، إلا إن تدهور الدولة مع وصول مروان بن محمد للحكم أعطى للروم الفرصة لاستعادة عددا من الأراضي التي استولى عليها مسلمه بن عبدالملك سابقا .

٤- ما كتبه عدد من المؤرخين الأوائل عن مسلمة بن عبدالملك كالبلاذري وابن كثير حول مناقبه وسيرته فيما خلا الحياة العسكرية ، والتي نجدها ما هي إلا تجسيدا لأخلاق فارس عربي و أمير نبيل جعلتهم يثنون عليه ، ويوضحون ولو باختصار أبرز ملامح حياته الاجتماعية ، سواء مع أسرته أو مع الرعية .

٥- كان لمسلمة بن عبدالملك علاقات جيدة ومتينة مع خلفاء وأمـراء البيـت المروانـي ، وكانت علاقته بالخليفة الزاهد عمر بن عبدالملك تعبيرا واضحا لتلك المكانة التي كانت لـه مـع خير خلفاء بني أمية عمر بن عبدالعزيز وتكليف هذا الأخير له بالصلاة عليه في حـال مماتـه ، ويكفيه شهادة هذا الخليفة عليه ، حيث قال عمر في سياق خطابه لكل من الاحـوص ونـصيب وكثير عزه : " ... أوولست ضيف أبي سعيد ؟ قلت : بلى . قال : ما احسب من كان ضيفه ابن سبيل ولا منقطعا به ...."[1] .

٦- إن الباحث في سيرة حياة مسلمة بن عبدالملك يجد نفسه وكأنه يتتبع حياة والـده عبـدالملك ابن مروان قبل توليه الخلافة ، فقد كان بذات المقام وذات الشأن مع أخوته الآخرين مما يعطـي الباحث دلالة واضحة إن الأمويين كانوا يعاملون أبنائهم بمساواة تامة في كافة النواحي . ويكفـي للباحث تحليل وصية عبدالملك بن مروان ليعلم أي ابن كان مسلمه لدى أبيه ، فهو لم يذكره شفقة عليه من إخوته ولكن تأكيدا لمكانته وأهمية إبقائه على منصبه بقيادة الجيوش ، ومكانتـه كأحـد أبنائه الذين كانت لهم كلمتهم بالبلاط الأموي .

٧- مع رفعة مقامه لدى أهله ولدى العامة إلا انه ما حاول إن يتولى الخلافة لا بالقوة ولا بالـسلم رغم إن عداد الجيوش التي كانت بيده يفوق الأربعين ألف ، ضاما بـه خيـرة أمـراء الجـيش الأموي، ولكن المتتبع لشخصيته ليجد إن مسلمه بن عبدالملك رأى بالخلافة تكليف لا يستقيم له ، وإنما رباه أبوه على الجلد والقتال وان الجهاد في سبيل الله خير له من أن يجلس على عـرش لا يدوم له ، والواقع لا نجد في مجال المقارنة بين خالد بن الوليد ومسلمه بن عبدالملك اجـل مـن موقعة اليرموك[2] التي وقعت سنة ١٥هـ/٦٣٦م التي قضى فيها المسلمون علـى نفـوذ هرقـل وتوابعه بالشام، ففعل مسلمه فعل خالد بن الوليد في الروم بالشام و تبعهم إلى الثغور الإسـلامية مع بلاد الروم . فالقائدان بطلان سعيا للجهاد في سبيل الله ، لا هم لهما سواه ، وأفعالهما أوضـح دليل على ذلك .

٨- خلف مسلمه بن عبدالملك بعده ذرية لم نجد لها أثرا كبيرا في المـصادر العربيـة ، وممـن ذكروا وجدناهم إما قادة عسكريين كابنه محمد بن مسلمه الذي كان في المعارك أشبه الناس بابيه، وكذلك حفيده محمد بن يزيد بن مسلمه بن عبدالملك حيث كان شاعرا فصيحا له مكانته في الدولة العباسية برفقة عبدالله بن طاهر ، وهاذين المثالين ما هما إلا انعكاسا لبقيـة أبنـاء مـسلمه بـن عبدالملك حتما وان كانت أخبارهم لم تصلنا ، ولكنه حتما كانت لهم مكـانتهم ، ويكفـي سـمعة

---

[1] - الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ص ١٤٧-١٥٠.

[2] - لتفاصيل المعركة راجع الطبري ، المصدر السابق ،ج ٢ ، ص ص ٦٥٥- ٦٥٦ .

والدهما ورفعة أخلاقه قد رفعتهم حتى بأيام الدولة التي قضت على دولتهم وسلبت منهم الخلافة ، وهذا يعطينا كذلك برهان تاريخي إن العلاقة بين الأمويين والعباسيين على مستوى أمراء البيتين لم تكن دوما وغالبا كما صورتها العديد من المصادر والمراجع التاريخية العربية منها والأجنبية أنها علاقة عدائية ، ومكانة أبناء مسلمه بالدولة العباسية خير دليل على ذلك .

فتاريخ الفتوحات الإسلامية لن ينسى قائدا وأميرا كمسلمة بن عبدالملك ، الخليفة المتوج دون كرسي خلافة ، والمستشار الأمين للخلفاء الكبار من بني مروان في المجالين السياسي والإداري ، والأخ الكبير الجامع لشمل الأسرة الأموية وموحد كلمتها مبعدا عنها عن الاضطرابات التي قد تثيرها مسائل كولاية العهد ، ويكفيه شرفا ورفعة تسخيره لأمواله ومكانته في سبيل الله ، وشرف الجهاد وحمل راية الإسلام وإيصال الإسلام لأصقاع بعيدة متعمقا في أرمينية وأذربيجان وبلاد الروم ، ويكفيه شرفا كذلك إدارته لكثير من المناطق المهمة والمؤثرة على استقرار الدولة وقدرته على إخماد الثورات فيها وقضائه حاجات الرعية وإصلاحها .

فرحمة الله على هذا القائد الفاتح المجاهد والإنسان مسلمه بن عبدالملك بن مروان .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،،،



قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر المطبوعة

١. ابن الأثير ،عز الدين الجزري (ت:٦٣٠هـ-١٢٣٢م) . الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري. ٦ج . ط٢ . دار الكتاب العربي : القاهرة ، ١٩٩٩م.

٢. الأصفهاني ، أبو الفرج (ت:٣٥٦هـ / ٩٦٧م) . الأغاني ؛ تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء . ٢١ ج . الدار التونسية : تونس ، ١٩٨٣م .

٣. ابن أعثم ، احمد الكوفي (ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م) . كتاب الفتوح ؛ تحت مراقبة محمد عبد المعين خان .٨ ج . دار الندوة الجديدة: بيروت ، ١٩٦٨ .

٤. البلاذري ، أبو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت:٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) . جمل من كتاب أنساب الأشراف ؛ تحقيق محمد حميد الله . دار المعارف : القاهرة ، ١٩٥٩.

٥. ________ . فتوح البلدان ؛ تحقيق لجنة تحقيق التراث في دار ومكتبة الهلال . دار ومكتبة الهلال : بيروت ، ب .ت .

٦. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت:٨٦٨ هـ/١٤٦٣م) . البيان والتبيين ؛ تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون . ٤ ج . ط ٢. دار الجيل : بيروت . ب.ت .

٧. ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت:٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . ١٣ جزء . دار الفكر : بيروت،١٩٩٥م .

٨. ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت : ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) . تهذيب التهذيب . ٢١ مج . دائرة المعارف النظامية : حيدرأباد الدكن ، ١٩٠٧-١٩٠٩ .

٩. ابن حزم ، أبو محمد علي بن احمد سعيد (ت:٤٥٦هـ/١٠٦٣م) . جمهرة أنساب العرب ؛ تحقيق عبدالسلام هارون . ٣ج . ط٥. دار المعارف : القاهرة ، ١٩٨٢م.

١٠. الحموي ، ياقوت بن عبدالله (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م) . معجم البلدان .٧مج . دار صادر : بيروت ؛ ١٩٧٩ .

١١. ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (٣٠٠هـ/٩١٢م) . المسالك والممالك. مكتبة المثنى : بغداد ؛ ب . ت.

١٢. ابن خلدون ،عبدالرحمن بن محمد (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م) . تاريخ ابن خلدون . ٧مج . مؤسسة جمال : بيروت ، ١٩٧٩م .

١٣. ابن خياط ، خليفة (ت:٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) . تاريخ خليفة بن خياط ؛ راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه مصطفى نجيب فواز وآخرون.دار الكتب العلمية : بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

١٤. ديوان الوليد بن يزيد ؛ تحقيق حسين عطوان .دار الجيل : بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

١٥. الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ؛ تحقيق عمر عبدالسلام تدمري. ٣٩ ج . دار الكتاب العربي : بيروت ، ١٩٨٧م .

١٦. ________ . سير أعلام النبلاء ؛ أشرف على تحقيق الكتاب و أخرج أحاديثه شعيب الأرناؤط. ٥٢ مج . ط٣ . مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٩٨٥-١٩٨٨ .

١٧. الزبيري ، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله (ت:٢٣٦هـ/٨٥٠م). نسب قريش؛عنى بنشره لأول مره وتصحيحه والتعليق عليه ليفي بروفنسيال . ٩ ج . ط٣ . دار المعارف: القاهرة؛ ١٩٨٢.

١٨. ابن سعد ، أبو عبدالله محمد (ت : ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) . الطبقات الكبرى . ٩مج. دار صادر : بيروت ،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

١٩. السمعاني ، أبو سعيد عبدالكريم بن محمد (ت:٥٦٢هـ/١١٦٦م) . الأنساب ؛ تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي. ٥ مج . دار الفكر: بيروت ؛ ١٤١٩هـ /١٩٩٨م .

٢٠. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م) . تاريخ الخلفاء ؛ تحقيق احمد إبراهيم زهوة وسعيد بن احمد العيدروسي . ٤ ج . دار الكتاب العربي: بيروت ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

٢١. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م). تاريخ الرسل والملوك ، راجعه وقدم له واعد فهارسه نواف الجراح . ج.ط٢.دار صادر: بيروت، ٢٠٠م.

٢٢. ابن عبد ربه ، شهاب الدين احمد الأندلسي (ت:٣٢٨هـ/٩٣٩م) . العقد الفريد . ٧ج . دار مكتبة الهلال : بيروت ، ١٩٨٦م.

٢٣. العجاج ، عبدالله بن رؤبه . ديوان العجاج رواية عبدالملك بن قريب الأصمعي ؛ تحقيق الدكتور عبدالحفيظ السطلي . ٢ مج . مكتبة أطلس : دمشق ،١٩٧١م

٢٤. ابن العديم ، الصاحب كمال الدين عمر بن احمد(ت : ٦٦٠هـ / ١٢٦١م) . بغية الطلب في تاريخ حلب ؛ حققه وقدم له الدكتور سهيل زكار. ١١ مج . مطابع البعث: دمشق ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .

٢٥. ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن (ت:٥٧١هـ/١١٧٥م) . تاريخ مدينة دمشق ؛ تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامه العمروي . ج٥٨. دار الفكر: دمشق ، ب . ت .

٢٦. ________ . تاريخ دمشق : تراجم النساء ؛ تحقيق سكينة الشهابي . دار الفكر : دمشق ، ١٩٨٢ م .

٢٧. ________ . تهذيب تاريخ دمشق الكبير ؛ هذبه ورتبه الشيخ عبد القادر زيدان (ت : ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م) . ٧ أجزاء. ط٣ . دار إحياء التراث العربي: دمشق، ١٩٨٧م .

٢٨. العوتبي ، سلمه بن مسلم (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) . الأنساب . ٢ ج . ط ٣ . وزارة التراث القومي والثقافة : مسقط ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

٢٩. القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت: ٣٥٦هـ /٩٩٦م) . كتاب ذيل الامالي والنوادر . دار الكتاب العربي : بيروت ، ب. ت .

٣٠. ابن قتيبة ، أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت : ٢٧٦هـ/٨٨٩م) . الإمامة والسياسة ؛ تحقيق طه محمد الزيني . ٢ مج . مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع : ب. م : ١٩٦٧م .

٣١. ________ . عيون الأخبار . ٤ مج . دار الكتاب العربي : بيروت ، ١٩٨٠-١٩٨٩م

٣٢. القلقشندي ، أحمد علي(ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م) . قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ؛ تحقيق إبراهيم الابياري .ط٢.دار الكتاب المصري:القاهرة.١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٣٣. ________ . نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . دار الكتب العلمية : بيروت. ١٩٨٤م.

٣٤. ابن كثير ، الحافظ الدمشقي (ت:٧٧٤هـ/١٣٧٢م) . البداية والنهاية ؛ راجع نصه وضبطه وقدم له سهيل زكار .١٥ ج . دار صادر : بيروت ، ٢٠٠٥م .

٣٥. المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت : ٢٨٦هـ/٨٩٩م) . الكامل في اللغة والأدب ؛ عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم . ٤ ج . دار الفكر العربي : القاهرة ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٣٦. مجهول . العيون والحدائق في أخبار الحقائق : من خلافة الوليد بن عبدالملك إلى خلافة المعتصم. مكتبة المثنى : بغداد ، ب .ت .

٣٧. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت : ٣٤٦هـ /٩٥٧م) . مروج الذهب ومعادن الجوهر ؛ شرح وضبط عفيف نايف حالوم . ٤ ج . دار صادر : بيروت ، ٢٠٠٥ .

٣٨. ابن المعتز ، عبدالله بن المعتز بن المتوكل (ت: ٢٩٦هـ/٩٠٨م) . طبقات الشعراء ، تحقيق عبدالستار احمد الفراج . دار المعارف : القاهرة ، ١٩٨١م.

٣٩. ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم(ت:٧١١هـ/١٣١١م) . لسان العرب ؛ اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبدالوهاب وآخرون. ١٨ج . ط٣. دار إحياء التراث العربي: بيروت ، ١٩٨٦م.

٤٠. ـــــــــ . مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ؛ تحقيق روحية النحاس وآخرون . ٢٠ج . دار الفكر : دمشق ، ١٩٨٤ م .

٤١. اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت : ٢٨٤هـ/٨٩٧م) . تاريخ اليعقوبي . ٢ مج . دار صادر : بيروت ، ب .

ثانيا : المراجع العربية والمعربة

١- الآلوسي ، محمود شكري . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب؛ شرحه وصححه محمد بهجت الأثري . ٣ج . ط٢. دار الكتب العربية : بيروت، ب . ت .

٢- الاعظمي ، عواد مجيد . الأمير مسلمة بن عبد الملك (٦٣-١٢١هـ/٦٨٢ – ٧٣٩م). اتحاد المؤرخين العرب : بغداد ، ١٩٨٠م .

٣- باربارو ، نيقولا . الفتح الإسلامي للقسطنطينية :يوميات الحصار العثماني١٤٥٣م ؛ دراسة وترجمة وتعليق الدكتور حاتم عبدالرحمن الطحاوي. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: القاهرة ،٢٠٠٢م .

٤- البدراني ، جاسم محمد جاسم . الوفادات على الخلفاء الأمويين . دار الكتاب الثقافي : اربد ، ٢٠٠٥ م.

٥- البطاشي ، سيف بن حمود . تاريخ المهلب القائد وال المهلب . ب.د:ب.م ، ١٩٨٨م .

٦-بيشوف ، ثيودور . تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء ؛ شرح وتحقيق الدكتور شوقي شعث والأستاذ فالح بكور . ط٢ . دار الوسيم : دمشق ، ١٩٩٢م .

٧- بيضون ، إبراهيم . ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري . دار النهضة العربية : بيروت ، ١٩٧٩م .

٨-جاد المولى ، محمد احمد وآخرون . قصص العرب . ٢ ج . ط٥.دار الفكر:ب .م ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

٩- الجنابي،خالد جاسم . تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي . ط٢ . دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد ، ١٩٨٦ م.

١٠- الجنذوري ، عليه عبدالسميع . الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى . مكتبة الانجلو المصرية : القاهرة ، ١٩٧٩م .

١١- الحايك ، سيمون . عبدالرحمن الداخل صقر قريش . ب.د:ب.م؛١٩٨٢م .

١٢- أبو حبيب ، سعدي . مروان بن محمد و أسباب سقوط الدولة الأموية . دار الفكر: دمشق ، ١٩٨٢ م.

١٣- حسين ، صابر محمد دياب . أرمينية من الفتح الإسلامي إلى مستهل القرن الخامس الهجري . دار النهضة العربية : القاهرة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٤- حسين ، علي صافي . مسلمة بن عبدالملك حياته العسكرية والأدبية . الدار القومية للطباعة والنشر : القاهرة ، ١٩٦٤م .

١٥- حمدان ، حمدان عبدالرحمن احمد . شعر الكميت بن زيد بين الرغبة والرهبة . مطبعة الأمانة : القاهرة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

١٦- حمزة ، عفت وصال . سيرة عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين . دار ابن حزم : بيروت ، ١٩٩٨ م.

١٧- خريسات ،محمد عبدالقادر . الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط (٤١هـ-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م) . مؤسسة حمادة : اربد ، ٢٠٠٥م م.

١٨- خطاب ، محمود شيث . سلسلة قادة الفتح الإسلامي : مسلمة بن عبدالملك بن مروان فاتح شطر الأنضول ومحاصر القسطنطينية . دار قتيبة : دمشق ، ١٩٨٦م.

١٩- خفاجي ، محمد عبدالمنعم وآخرون . معارك فاصله في التاريخ الإسلامي (٤١ - ١٣٢ هـ) . الدار المصرية اللبنانية : بيروت ، ١٩٨٩م .

٢٠- خماش ، نجدت . الشام في صدر الإسلام : من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية . دار طلاس للنشر : دمشق ، ١٩٨٧م .

٢١- ستودارد، لوثروب . حاضر العالم الإسلامي . وفيه فصول وتعليقات وحواشي مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية للأمير شكيب ارسلان. ط٢. دار الفكر:القاهرة ، ب. ت .

٢٢- السرحاني ، سلطان طريخم المدهن . جامع أنساب قبائل العرب . دار الثقافة: الدوحة ، ب.ت .

٢٣- سليمان، سليم . مئة أوائل من النساء .ط٢ . دار الحكمة للطباعة والنشر : دمشق؛١٩٨٦م.

٢٤- شعبان ، محمد عبدالحي.صدر الإسلام والدولة الأموية (٦٦٠-٧٥١م (١٣٢هـ)). ٢ج . الأهلية للنشر والتوزيع : بيروت ، ١٩٨٧ م.

٢٥- ضرار ، صالح ضرار . العرب من معين إلى الأمويين . ط٥.الدار السودانية للكتب : الخرطوم ، ١٩٨١م .

٢٦- عاقل ، نبيه. خلافة بني أمية . ط٣ . دار الفكر: دمشق ،١٩٧٥ م.

٢٧- العسلي ، بسام . رجال ومواقف تحت راية الإسلام . ٢ مج . دار الفكر : دمشق ، ١٩٨٣م .

٢٨- ــــــــــ . فن الحرب الإسلامي في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين . ٥مج . دار الفكر : بيروت ، ١٩٨٨م .

٢٩- عطوان ، حسين . الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي.دار الجيل : بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٧٨م .

٣٠- فوزي ، فاروق عمر . الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي ٤١هـ/٦٦١م – ٣٣٤هـ / ٩٥٦م : دراسة تاريخية .دار مجدلاوي: عمان ، ٢٠٠٥م .

٣١- كحاله ، عمر رضا .أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام . ٥ ج . مؤسسة الرسالة : بيروت ، ب.ت .

٣٢- كرم ، كرم ملحم . صقر قريش قصة وتاريخ . ط ٢ . دار مكتبة الحياة: ب.م ، ١٩٦٠ م.

٣٣- لسترنج، كي . بلدان الخلافة الشرقية ؛ نقله للعربية ووضع فهارسه بشير فرنسيس وكوركيس عواد . ط٢ . مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٩٨٥م.

٣٤- المنجد ، صلاح الدين . معجم بني أمية : استخرجه من تاريخ دمشق وزاد فيه. دار الكتاب الجديد: بيروت. ١٩٧٠م.

٣٥- ناصر الدين ، مهدي محمد . شرح ديوان جرير . دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٩٨٦م .

٣٦- الناطور ، شحاده . تجديد الدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٩هـ/٦٨٥م – ٨٦هـ/٧٠٥م) . دار الكندي للنشر والتوزيع : اربد ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٣٧- الوكيل ، محمد السيد .الأمويون بين الشرق والغرب : دراسة وصفية تحليلية للدولة الأموية .٢ مج . دار القلم : دمشق ، ١٩٩٥ م .

٣٨- ولهاوزن ، يوليوس . الدولة العربية وسقوطها . نقله إلى العربية يوسف العش . الجامعة السورية : دمشق ، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م .

٣٩- يس ، عبد علي . تاريخ صدر الإسلام : من البعثة النبوية إلى نهاية الدولة الأموية. دار يافا :عمان ، ٢٠٠١ م .

٤٠- يوسف ، جوزيف نسيم . تاريخ الدولة البيزنطية (٢٨٤ – ١٤٥٣ م) . مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية ، ١٩٨٤ م .

ثالثا: المراجع الأجنبية

1-El-Cheikh,Nadia Maria . Byzantium Viewed by the Arabs. Harvard Press : Massachusetts,2004 .

2-Gibbon, Edward. The history of the decline and fall of the Roman Empire/ Edited with introd, notes, and appendices by J. B. Bury .7Vols. Methuen&CO.LTD: London,1912.

3-Glubb,John Bagot,Sir. The Empire Of the Arabs.Englewood Cliffs: New Jersey , Prentic – Hall, c1963 ; 1965 .

4-Hawting , G.R . The First Dynasty of Islam : The Umayyad Caliphate AD 661 – 750 . Croom Helm: London&Sydney , 1986 .

5- Hitti,Philip. The Origins of the Islamic State , khayats: Beirut , 1986 .

رابعا : البحوث في الدوريات العربية والأجنبية

١-تدمري ، عمر عبدالسلام.الفتح الإسلامي وسياسة الإسكان لساحل دمشق ولبنان، بحث القي في الندوة الثانية من المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في صدر الإسلام / تحرير محمد عدنان البخيت وآخرون . الجامعة الأردنية : عمان ، جامعة اليرموك : اربد ، ١٩٨٧م .

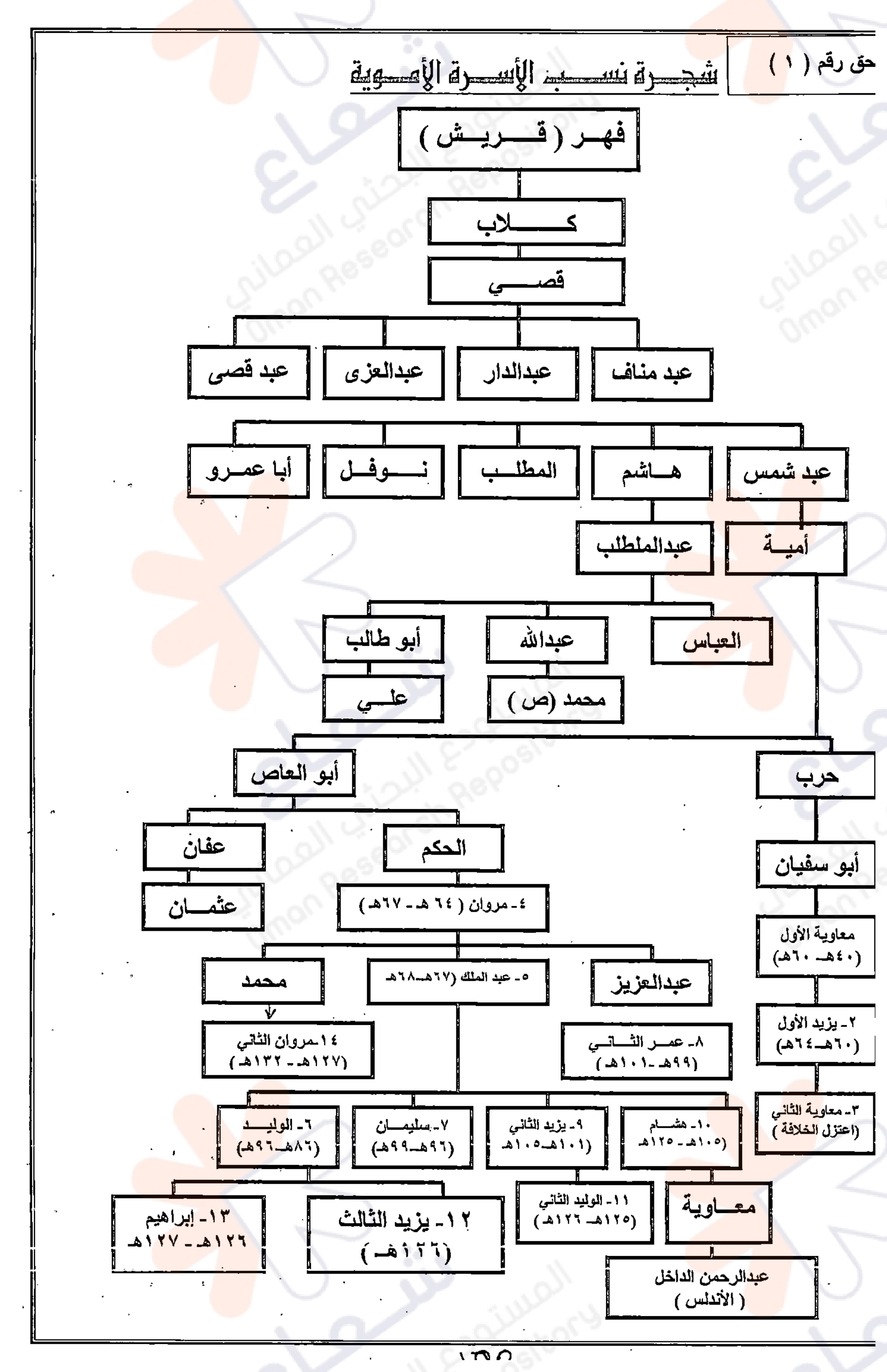
٢-علي ، محمد كرد . مميزات بني أمية . مجلة المجمع العلمي العربي . ج١٠ . دمشق: شوال ١٣٠٠هـ / تشرين الأول ١٩٤١م .

3- Canard, M. Al-Battal Abd Allah . Encyclopedia Of Islam , Edited by an editorial committee . E.J.Brill : Leiden ; Vol I, 1968.

4- Rotter, G. Maslama B.Abd Al-Malik B. Marwan . Encyclopedia Of Islam , Edited by an editorial committee. E.J.Brill: Leiden ; Vol VI , 1968 .



الملاحق


ملحق رقم (١)
شجرة نسب الأسرة الأموية
فهر (قريش)
كلاب
قصي
عبد مناف
عبدالدار
عبدالعزى
عبد قصى
عبد شمس
هاشم
المطلب
نوفل
أبا عمرو
أمية
عبدالملطلب
العباس
عبدالله
أبو طالب
محمد (ص)
علي
حرب
أبو العاص
أبو سفيان
الحكم
عفان
عثمان
٤- مروان (٦٤ هـ - ٦٧هـ)
معاوية الأول (٤٠هـ ٦٠هـ)
عبدالعزيز
٥- عبد الملك (٦٧هـ-٦٨هـ
محمد
٢- يزيد الأول (٦٠هـ-٦٤هـ)
٨- عمر الثاني (٩٩هـ-١٠١هـ)
١٤-مروان الثاني (١٢٧هـ-١٣٢هـ)
٣- معاوية الثاني (اعتزل الخلافة)
١٠- هشام (١٠٥هـ-١٢٥هـ
٩- يزيد الثاني (١٠١هـ-١٠٥هـ
٧- سليمان (٩٦هـ-٩٩هـ)
٦- الوليد (٨٦هـ-٩٦هـ)
معاوية
١١- الوليد الثاني (١٢٥هـ-١٢٦هـ)
١٢- يزيد الثالث (١٢٦هـ)
١٣- إبراهيم ١٢٦هـ - ١٢٧هـ
عبدالرحمن الداخل (الأندلس)

التبر وخلاصة الزيوف والستوقة والبهرجة ، ثم اذن للتجار وغيرهم في ان تضرب لهم الأوراق ، واستغلها من فضول ما كان يؤخذ من الاجرة للصناع والطباعين وختم ايدي الطباعين . وهو أول من أجرى في البحر السفن المقيّرة المسمرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الجآجئ (واحدها جُؤجُؤ وهو الصدر او عظامه شبهوا به مقدم السفينة) وكان اول من عمل المحامل ولم يرض عن عمله هذا بعض الرجاز الأكرياء فقال :

أول عبد عمل المحاملا أخزاه ربي عاجلاً وآجلا

وكان من زياد بن ابي سفيان مثل ما كان من الحجاج : بنى في البصرة دوراً واحياء ومساجد وحفر ترعاً وانهاراً وكل ما بنى فيها او صنع فانه نسب الى غيره . قال عمر بن عبد العزيز : قاتل الله زياداً جمع لهم كما تجمع الذرّة ، وحاطهم كما تحوط الأم البرة ، واصلح العراق بأهل العراق ، وترك اهل الشام في شامهم ، وجبي العراق مائة الف الف وثمانية عشر الف الف . وهذا عتبة بن أبي سفيان اخو معاوية واخطب رجل في بني أمية كان يطفئ الفتن ببلاغته اكثر مما يطفئها بجيش دولته . وهذا موسى بن نصير فاتح الاندلس ما التوى له علم منذ خرج من مصر في جيش ضئيل حتى وصل الى الاندلس ففتحها ، واذا قرأتم ترجمته بامعان تقولون معي ان الولادة ماولدت اعظم منه ولا أعقل .

ومن المتعذر في ساعة ضيقة كهذه ان نتناول الكلام على رجال القوم ونذكر بعض مالهم من المزايا النادرة ، ونحن لذلك نكتفي بالاشارة الى واحد منهم ، وكل واحد من رجالهم يحتاج الى دراسة خاصة مشبعة ، ونعني به مَسلمة بن عبد الملك . فقد كان على جانب عظيم من العقل والسياسة والعلم والادب . غزا الروم غير مرة واثخن فيهم . وفتح الامهات من مدائنهم ، وتولى الاعمال الجليلة ومنها العراقان وارمينية ، وأبان في كل مكان عن كفاءة منقطعة النظير وعن حب للخير غريب في بابه ، واوصى بجزء من ماله عظيم لأهل الأدب قائلاً انهم اهل صناعة ...

ا بها على من سواهم بل
بني العباس . فان
ال الأمويين يشتغلون
ل ما يجب ان يعمل
لنفسه اولاً ثم لدولته ،
عمال بني أمية . وعلى
لا للعرب ، ولا يأمنون
أعجوبة في تساهلهم .
أموال فقال مدافعاً
أغرمت عشيرته أو
ف مكانه ، فوجدت
منكم ، مع أني قد

ية تدهشك في جملة
استه بأمور لا يخطر
ج والزراعة ، ووضع
على من لا يعلم القرآن
ان مما يجتمع له من

ة الأموية كسائر اخوته
عالم الجليلة .

رب نحو ثلاثة قرون ،
خذ الخليفة مالا يحلّ .
صار ان يأتيهم مع كل
ه الناس واجنادها فلا
د مافيها دينار ولا درهم
لدرية ، بعد ان اخذ كل
. و كانوا لا ينقلون
بهم ، فما فضل منه نقلوه

نواع ضرائبهم كثيرة ،
. وما عهد عند الأمويين
ى هواه لحسابه الخاص ،
لخطبة له والدعاء لدولته .
هم وفض عرى كلتيهم
ال كما تصادر الرعية ،
عذبون انواع التعذيب
الجور قلما عهد في دولة
صحاب الشرف وارباب
ا ذكر التاريخ ان قائداً
واد العباسيين وولاتهم

ووزراؤهم ، ولا سيما في الدور العباسي الثاني ، والسبب في ذلك انتظام طرق الجباية وقلة انواعها عند الأمويين . و كان هشام بن عبد الملك في تنظيم ميزانية الدولة المثل الأعلى وموازنته خير موازنة عرفت . ثم الى هذا كانت الأخلاق على العموم في العصر الأموي أرقى مما آلت اليه في العصر العباسي ، كان في عمال الأمويين الصحابة والتابعون وتابعو التابعين ، وكلهم غاية في فهم روح الدين ، والبعد عن الصغائر والسفاسف . ودخل في عمال العباسيين أخلاط الزمر ، ومنهم من لا يعرف ابوه ولا أمه ، اوصلته المصادفات الى المراتب العالية ، ومنهم من اظهر الاسلام وابطن خلافه ، كبعض الاتراك والفرس ظلوا في باطنهم على عبادة الكواكب او عبادة النيران .

سر تفوق الأمويين

الذكاء يورث وينتقل بالدم ، والعلم لا يورث لأنه خاص بدارسه ، وابن الذكي على الأغلب ذكي ، وابن البليد بليد على الاكثر . كذلك كان الناس في كل زمان يجعلون للرجل المنسوب الى جد كان له شأن عظيم في الحياة مالا يجعلون مثله لرجل عادي كان لأحد اسلافه شيء من المكانة ، والدم الطاهر ينم عن صاحبه ولا يكذب رائده . و كان البشر منذ القديم يقول بالوراثة عرفها من طريق عملي لا من طريق علمي ، وكان للعرب في باب تخير البنات الأصيلات غرام شديد منذ ابعد ازمنة تاريخهم وما زالوا على ذلك الى اليوم ، حتى كادت الأمة العربية تعد في هذا المعنى ارستقراطية مع ان اعمالها كلها تدل على تأصل الديموقراطية في دمها . ولذلك رأينا بعض مؤلفي التراجم يحرصون على وضع نسب المترجم له من جهة أهل ابيه وأمه ، وبهذا ساغ لنا ان نستنتج بأن بني أمية لم يظهر ما ظهر منهم من الصفات الغر في الجاهلية والاسلام إلا بدم نقي انتقل من الأجداد الى الأحفاد ، وتسلسل العقل والذكاء في رجالهم ونسائهم ، وانتقلت الشجاعة والنجدة في بنيهم وبناتهم . وفي الحديث : الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا

في الأرض منهم سماوات وألوية ونيرات وأنواء وعقبان

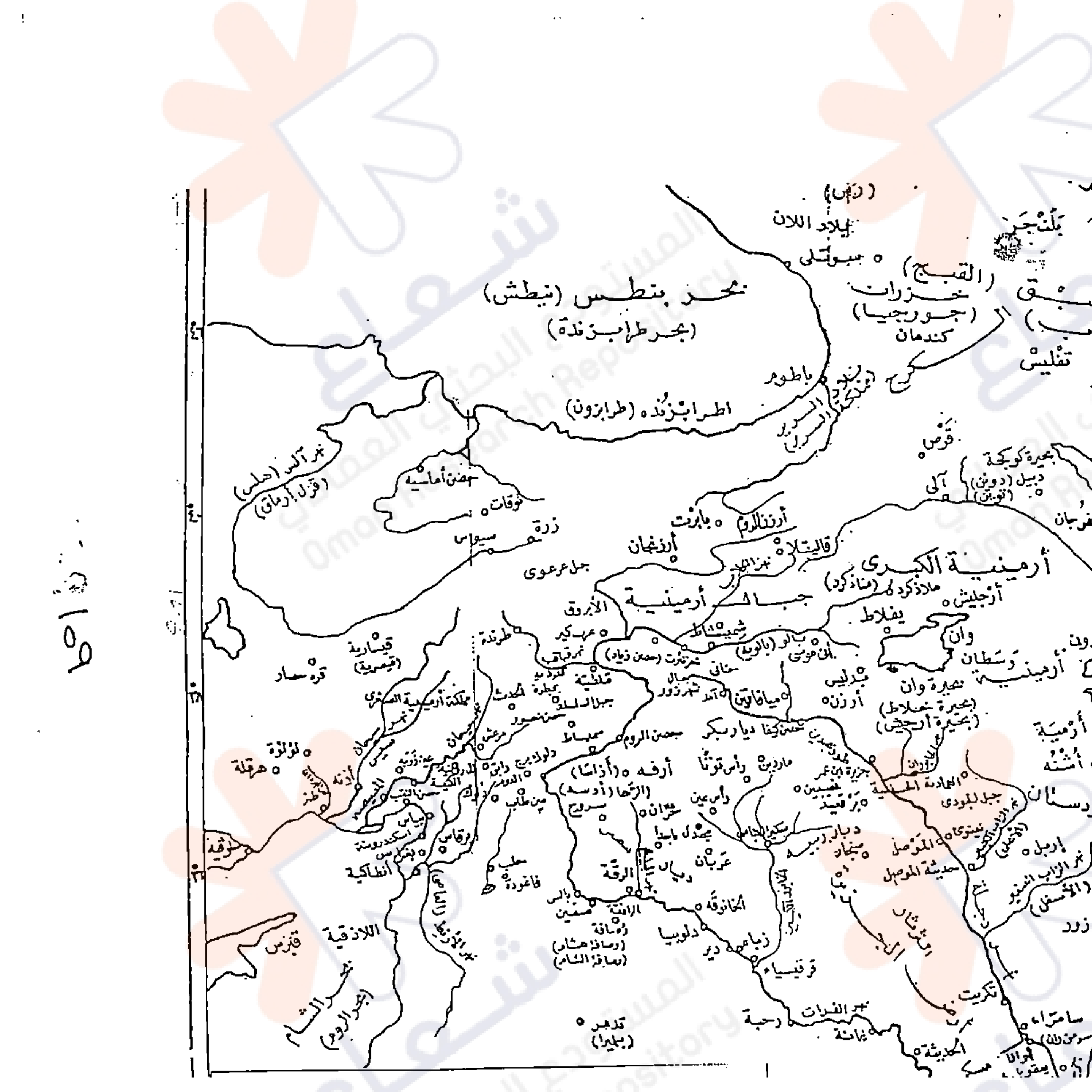
معادن العز قد مال الرغام بهم لو هان في تربه الابريز ما هانوا

لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت ببني العباس بغدان

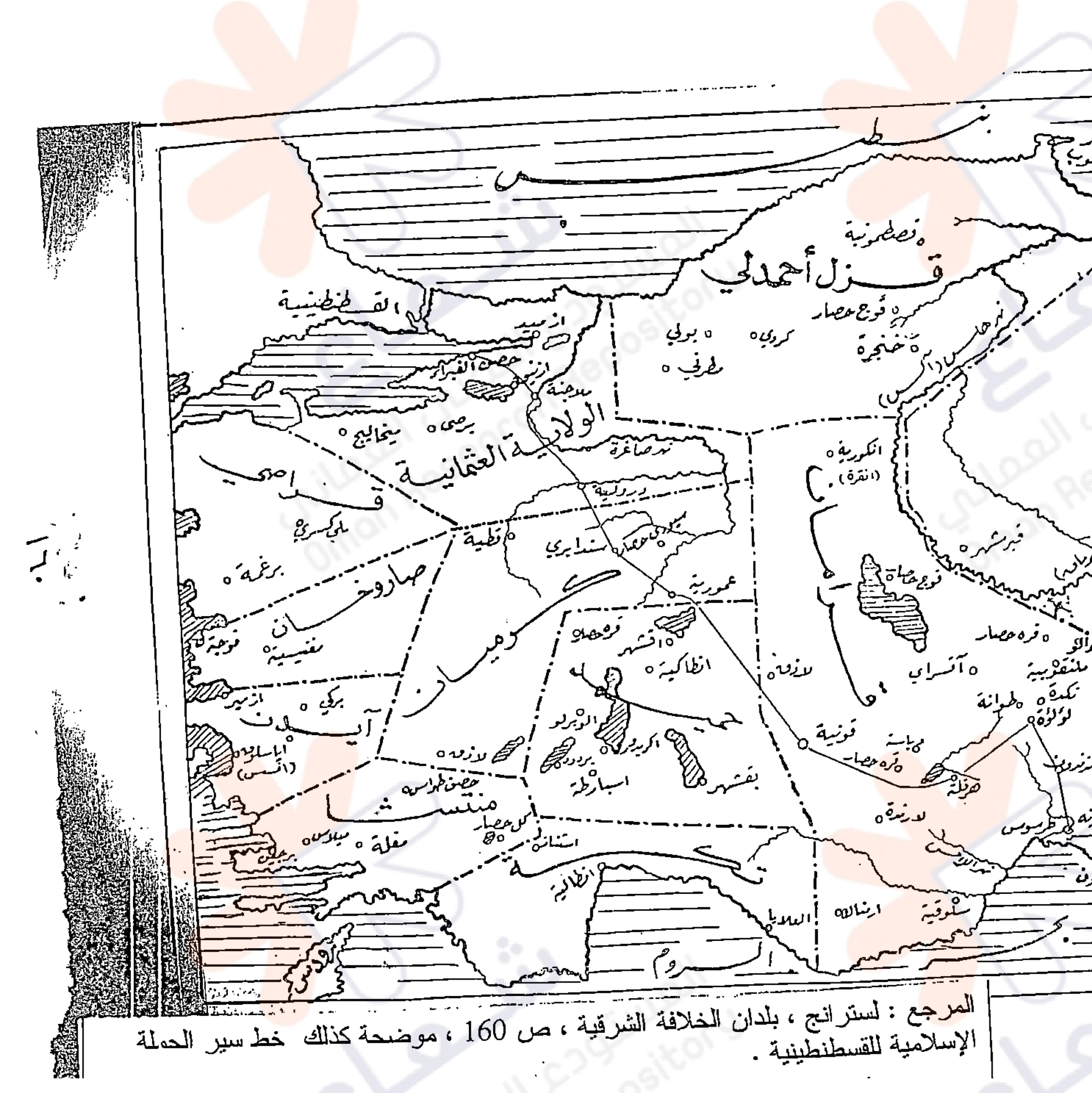
مررت بالمسجد المحزون اسأله هل في المصلى او المحراب مروان

تغير المسجد المحزون واختلفت على المنابر احرار وعبدان

فلا الأذان أذان في منارته إذا تعالى ولا الآذان آذان



بلاد اللان
بحر بنطس (نيطش)
(بحر طرابزندة)
اطرابزندة (طرابزون)
باطوم
تفليس
كندمان
خزران
(جورجيا)
قرص
آني
أرمينية الكبرى
جبال أرمينية
أرزنجان
بايرت
قاليقلا
ملاذكرد (مناذكرد)
أرجيش
بدليس
أرزن
وان
بحيرة وان
(بحيرة خلاط)
ميافارقين
آمد
حصن كيفا
ديار بكر
حصن الروم
الأبرق
سيواس
زرة
توقات
حصن أماسية
قيسارية
(قيصرية)
قره حصار
ملطية
سميساط
مرعش
الحدث
أرفه (أذاسا)
(الرها) (أدسه)
سروج
حران
رأس العين
ماردين
نصيبين
جزيرة ابن عمر
الموصل
حديثة الموصل
نينوى
جبل الجودي
إربل
سنجار
ديار ربيعة
الخابور
الرقة
الرافقة
صفين
بالس
منبج
حلب
أنطاكية
إسكندرونة
بغراس
أذنه
طرسوس
هرقلة
لؤلؤة
اللاذقية
قبرص
بحر الشام
(بحر الروم)
تدمر
(بلميرا)
قرقيسياء
رحبة
نهر الفرات
عانة
الحديثة
تكريت
سامراء
زرد
دلوسيا



المرجع : لسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص 160 ، موضحة كذلك خط سير الحملة الإسلامية للقسطنطينية .

A NAVAL BATTLE: USE OF GREEK FIRE. FROM THE MS. OF SKYLITZES

مركب بيزنطي خلال معركة بحرية ، ويظهر بالصورة استخدام النار الإغريقية من فوهة في
البيزنطي ضد أعدائهم .(المصدر: Gibbon, The History Of the Decline and Fall Of
(the Roman E

المرجع : العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ص ١٤٩

ملحق رقم (٧) :

الأدوار الادارية و العسكرية لمسلمة بن عبدالملك من ٨٦هـ/ ٧٠٤م- ١١٤هـ/٧٣٢م

م	السنة	الخليفة	الوجهة	النتائج
١	٨٦هـ / ٧٠٤م	عبدالملك بن مروان	بلاد الروم	* فتح حصون (بولق – الاخرم)
٢	٨٦هـ/ ٧٠٤م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	بلاد الروم	فتح حصن قونس
٣	٨٧هـ / ٧٠٥م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	بلاد الروم	* فتح حصون عده منها حصن بولس وقميقم وبحيرة الفرسان
٤	٨٨هـ/٧٠٦م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	بلاد الروم + الجرجومه	*فتح حصن الطوانة * فتح الجرجومه وخربها وأجلى الجراجمه عنها . * فتح حصون منها حصن قسطنطين وغزالة والاخرم
٥	٨٩هـ/٧٠٧م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	بلاد الروم + اذربيجان	• فتح عمورية • غزو مدينة الباب بأذربيجان
٦	٩٠هـ/ ٧٠٧ – ٧٠٨م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	الثغور الشمالية	• فتح الحصون الخمسة بسورية
٧	٩١هـ/٧٠٩م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان	غزا الترك حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصون كثيرة فيها
٨	٩٢هـ/٧١٠م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان	* طريدة * جلا أهل سوسنة إلى جوف ارض الروم
٩	٩٣هـ/٧١١م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان	• فتح ماسة • فتح حصن الحديد • فتح غزاله • فتح برجمه • فتح ملطية
١٠	٩٤هـ/٧١٢م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	*الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان * مكة المكرمة	* فتح سندرة * كان امير الحج في هذا العام .
١١	٩٥هـ/٧١٣م	الوليد بن عبدالملك بن مروان	*الجزيرة الفراتية وأرمينية وأذربيجان *بلاد الروم	• دخل مدينة الباب ودمرها وأجلى أهلها . • فتح طولس والمرزبانين وهرقلة
١٢	٩٧هـ/٧١٥م	سليمان بن عبدالملك بن مروان	بلاد الروم	• فتح برجمه وحصن عوف • غزا ارض الوضاحيه

١٣	٩٨هـ/٧١٦م – ٩٩هـ/٧١٧م	سليمان بن عبدالملك بن مروان	بلاد الروم	• حصار القسطنطينية • بناء مسجد مسلمه وشق عين مسلمه عند القسطنطينية • القضاء على البرجان . • فتح مدينة الصقالبة • عبور العرب لأول مره إلى أوروبا من الجهة الشرقية لها .
١٤	١٠٠هـ/٧١٨م – ١٠١هـ/٧١٩م	عمر بن عبدالعزيز بن مروان + يزيد بن عبدالملك بن مروان	العراق	• القضاء على ثورة شوذب الخارجي
١٥	١٠٢هـ/٧٢٠م	يزيد بن عبدالملك بن مروان	العراق	• القضاء على ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة • تولي إمارة العراقين
١٦	١٠٧هـ/٧٢٥م	هشام بن عبدالملك بن مروان	أرمينية وأذربيجان	• تولي ولاية هذه المنطقة • غزا الخزر في هذه السنة
١٧	١٠٨هـ / ٧٢٦م	هشام بن عبدالملك بن مروان	أرمينية وأذربيجان	• غزا قيسارية وفتحها • مسونة وحصونها
١٨	١٠٩هـ/٧٢٧م	هشام بن عبدالملك بن مروان	أرمينية وأذربيجان	• غزا مسلمة بن عبدالملك وسرح الجيوش في أذربيجان وشتوا بها . • غزا السند
١٩	١١٠هـ/٧٢٨م	هشام بن عبدالملك بن مروان	أرمينية وأذربيجان	• قاتل الخزر وهزم الخاقان وفتح مدينة اللان .
٢٠	١١٢هـ/٧٣٠م	هشام بن عبدالملك بن مروان	أرمينية وأذربيجان	• فتح الباب وجعل عليها الحارث بن عمرو الطائي. • افتتح عدة مدائن وقلاع في تلك المناطق .
٢١	١١٣هـ/٧٣١م	هشام بن عبدالملك بن مروان	أرمينية وأذربيجان	• تولى إمارة الثغر • دان كل من كان وراء جبال بلنجر ، وقتل ابن خاقان في هذه المعارك • صالح اهل حيزان • صالح أهل الشروان
٢٢	١١٤هـ/٧٣٢م	هشام بن عبدالملك بن مروان	أرمينية وأذربيجان	• عمّر مدينة الباب مرة أخرى و أجرى العطايا لأهلها • فقسمت أربع أرباع ، ربعا لأهل دمشق وربعا لأهل حمص وربعا لأهل فلسطين وربعا لسائر أهل الشام والجزيرة